
أعماق نفسي
الشفاء الإلهي
للقلوب الكسيرة
Red Label
JOHNNIE WALKER
د. بروس
تومسون

أعماق نفسى

الشفاء الإلهى للقلوب الكسيرة

تأليف

د. بروس طومسون وباربرا طومسون

ترجمة

د. أوسم وصفى

طبعة ثانية أغسطس١٩٩٩

"Walls of my heart" "أعماق نفسي"

الشفاء الألهى للقلوب الكسيرة

Author:Dr.Bruce &Barbara Thompson تأليف:- د.بروس طومسون

Publisher: Crown Ministries International P.O.box 5278
BEUAVISTA,AR 22714 U.S.A

Publisher of the Arabic Edition الناشر للنسخة العربية :-

Lighthouse Book Center مكتبة المنار

17,Murad El Sherei Str.Saint FATIMA ١٧ش مراد الشريعي-سانت فاتيما

Heliopolis - Egypt. مصر الجديدة-مصر

Tel: (02)2495030 ت : ٢٤٩٥٠٣٠ (٠٢)

Fax: (02) 5191077 ف :٥١٩١٠٧٧ (٠٢)

ISBN : 977-5674-06-9 الترقيم الدولى :٩-٠٦- ٥٦٧٤- ٩٧٧

رقم الايداع بدار الكتب ١٤١١٢ /٩٦

طبع بدار نوبار للطباعة :

المحتويات

مقدمة المترجم

هذا كتاب مفيد رائع نافع لكل فرد وأسرة إذ أنه يغوص فى أعماق القلب البشرى، ويحلل الشخصيات المختلفة، ويقدم الشفاء الالهى، ويقود الشخص للتحرر من العقد النفسية، والمشاكل المختلفة التى نتجت عنها.

كما يهدم ما بناه الشخص حول نفسه من جدران مائلة بحسب زيج[×] البشرية، ليبدأ الروح فيه بناء أسوار جديدة للخلاص والتسبيح، فيغدو الشخص سعيداً بين يدى المخلص الوحيد والمحرر والشافى العظيم، الذى فى نعمته يقيم.

(×) الزيج هو ميزان الخيط الذى يتكون من خيط يتدلى من آخره ثقل ويستخدمه البناؤون للتأكد من استقامة الحوائط رأسياً.

الفصل الأول

موقف غامر بالتحديات والبركات

فى ظهيرة أحد أيام إبريل الحارةِ الرطبة. كانت حبَّات العرق تتجمع على جبهتى إذ كنت أسرع الخطى داخل مكان إنتظار السيارات.

وكانت السماء فوقى تبدو ملبدة بغيوم تتزايد وتنذر بعاصفة إستوائية أخرى. وقلت لنفسى: «على الأقل سوف يخفض المطر من الرطوبة بعض الشىء» وقد لاحظت أن الإشراق المعتاد للنهار فى هاواى يقف منتظراً فى ترقب لتلك العاصفة أن تمضى.

وتسلل إلى أنفى عَبق زهور البلوميريا إذ كان ذلك العبير يغزو الهواء حولى ويملأ أنفى برائحة طيبة.

دفعت الباب وخطوت إلى داخل مكتب المشورة مستمتعاً ببرودته المرُحّبة وبدأت فى مراجعة جدول أعمالى فى الجزء الباقى من اليوم وكان الموعد الأول مع شخص يأتى للعبادة لأول مرة واسمه «لارى» كومبز LARRY COOMBS وفى تمام الثانية وصل ذلك الشخص. كان طويلاً نحيلاً ذا شعر أسود داكن مصفف بعناية. التفتُّ إليه لأحييه فلاحظت أن أصابعه الطويلة ،انحيلة تعبث بملابسه بعصبية وقلق كما أن لديه عادة مضغ شاربه لطويل بطريقة تنم عن التوتر وعدم التركيز.

وبالرغم من ضوء الحجرة الخافت إلا أنه – لدهشتى – لم يحاول خلع نظارته الشمسية وتساءلت فى نفسى «كيف يمكننى أن أخترق هذا التحفظ والقلق؟»

ماذا عساى أقول حتى أجعل هذا الشخص يسترخى قليلاً ويخفض بعض من دفاعاته؟

موقف صعب

وقد كنت أقابل زوجة «لارى» لعدة أسابيع مضت وهى سيدة مسيحية مؤمنة تعيش على حافة الانهيار. فقد كان نمط حياة «لارى» بما فيه من إدمان الكحوليات والمخدرات، لا يدمر مواردهم المالية فقط بل حتى علاقتهما الزوجية وقد كنا نصلى معاً من أجل «لارى». ومنذ يومين فقط اتصلت بى تليفونياً وهى فى قمة السعادة والإثارة لتقول لى أنه قد وافق أن يقابلنى.

والآن وهو ماثل أمامى مسترخياً على الكرسى البرتقالى الوثير مشيحاً بوجهه بعيداً تساءلت كيف يمكننى مساعدة هذا الشخص. ولكننى بدأت المحاولة بأن وجهت إليه بعض الأسئلة الاستكشافية. ««لارى» ... هل كان والدك يقضى معك وقتاً؟ هل كان يقومك؟ هل كان يؤدبك؟...»

كان علىَّ أن أميل بجسمى كله مقترباً منه لكى ألتقط بصعوبه كلماته التى جاءت مضغومة وتكاد تكون غير مرتبطة. وبعد دقائق بدا وكأنه لا يستطيع أن يصمت أكثر من ذلك فنهض فجأة وراح يمشى فى الحجرة جيئة وذهاباً بسرعة وشلال من الكلمات يندفع من فمه.



«أبى. هه! إنه لم يهتم بى مطلقاً. لقد كان كل ما يفعله بين الحين والآخر هو أن ينهال علىَّ ضرباً إلى أن يطرحنى أرضاً. ولم أستطع أبداً أن أعرف متى سوف يفقد أعصابه فكان كثيراً ما ينفجر فىَّ دون سابق إنذار ثم قبض بفمه على شاربه بعصبية قائلاً: «لا أستطيع أن أتذكر أبداً أنه قال لى إنه يحبنى!»

وبينما كان «لارى» يمشى بعصبية رائحاً غادياً فى الغرفة الصغيرة، أضاف قائلاً: «إننى أتذكر عندما ..... آه. سرقت شيئاً. مجرد شيء صغير جداً.

جن جنون أبى وغضب لدرجة أنه دفعنى أمامه إلى قسم البوليس وتركنى هناك لمدة أسبوع. وقال إنه - كان يريد أن يعلمنى درساً. ولقد تعلمت بالفعل درساً! فقد عاهدت نفسى منذ ذلك اليوم ألا أثق بهذا الرجل مطلقاً!» ومع أننى لم أستطع أن أرى إلاَّ جزءاً صغيراً من وجه «لارى» الذى كان لا يزال مختفياً خلف نظارته الشمسية إلا أننى أستطيع أن أقول إن وجهه كان جامداً بارداً كالرخام.

وسألته: «كم كان عمرك يا «لارى» عندما حدث هذا؟»

أجاب: «حوالى اثنتى عشر أو ثلاثة عشر سنة»

ولاحظت أنه كان قابضاً يديه فى عصبية وهو يقول بمرارة: «لقد كان ظالماً جداً، قاسياً جداً! لم يكن يفكر إلا فى نفسه دائماً. وحالما استطعت أن أعتمد على نفسى. هربت من البيت.»

ثم عاد «لارى» وغاص فى الكرسى الكبير وصمت وباءت بالفشل كل محاولاتى أن أجعله يكمل كلامه عن نفسه. وبات واضحاً أنه لم يستطع أن يثق بى أكثر من ذلك حتى يعطنى المزيد من المعلومات.

عندئذ قرعت السكرتيرة على الباب معلنة أن صاحب الموعد التالى قد حضر. فقلت للارى: «انتهى وقتنا اليوم يا «لارى».» وحاولت أن أخفى إحباطى. فقد بدت على وجهه نظرة ارتياح ونهض متوجهاً لمقبض الباب. قلت له: ««لارى»، أود أن أراك ثانية.» فأجاب متمتماً وهو يخرج من الباب: «حسناً».

جلست بعد ذلك بمفردى فى المكتب، ونظرت للملاحظات التى دونتها بسرعة عندما كان «لارى» يتحدث. لقد كان متحفظاً جداً فيما يكشفه لى حتى أننى كنت متحيراً كيف يمكننى أن أساعده؟. لقد كتبت عدة كلمات في دوائر مثل: لا يشعر بالأمان، خائف، قلق، إذلال. ويبدو أن شيئاً ما فى ذلك القلق المكتوم فى هذا الإنسان أعادنى لذكرياتى المؤلمة عندما كنت فى الثامنة من عمرى.

ذكريات قوية

لقد عاد المشهد إلى ذاكرتى مفعماً بالحياة وكأنه حدث بالأمس رأيت معلمة الصف الرابع، بقامتها الفارعة الواثقة وشعرها الخفيف الذى يزحف عليه الشيب. لم تكن بالطبع من المعلمات اللاتى أحببهن.

فى صباح أحد الأيام طلبت منى أن أذهب وأعرف لها الوقت من أحد الفصول الأخرى. لقد كانت ساعة المدرسة كبيرة ومستديرة ولها عقارب سوداء ضخمة واضحة لذا فقد بدا الطلب بسيطاً. ولكننى عندما أسرعت إلى الدهليز الخشبى الواسع صدمتنى المفاجأة – أنا لا أعرف أن أقرأ الوقت! وبينما كنت أحملق فى ساعة المدرسة العملاقة. كنت

أصارع تياراً متصاعداً من الخوف داخلى. كيف أعترف بهذه الحقيقة أمام الفصل كله؟ ومضت الدقائق تحدث صوتاً خفيفاً منتظماً وأنا واقف أصارع مع نفسى. وأخيراً خطرت لى فكرة - ربما أستطيع أن أخمن الوقت الصحيح! وعدت للفصل وعندما توجهت كل العيون نحوى منتظرين الإجابة. فتمتمت متلعثماً: «م م م . آه. السادسة» وفى الحال نظرت إلىَّ المدرسة وقد رفعت حاجبيها بقدر ما تستطيع. وفجأة ابتسمت وهنا انفجرت ضحكات التلاميذ المكبوتة وضج الجميع بالضحك. عندئذٍ شعرت بحرارة وجهى وهو يحمرّ خجلاً وشفتىّ وهما ترتعشان وهرعت إلى مكانى وأنا أمسح يدىّ المبللتين بالعرق فى قميصى محاولاً أن أختفى عن الأنظار وراء كتبى وكراريسى. ولكى تزداد الأمور سوءاً، كانت المدرسة بين الحين والآخر تستخدم نقطة ضعفى هذه كمادة للفكاهة لتشيع بها المرح فى جو الفصل. وكلما كان يحدث ذلك أزددت أنا خوفاً وانسحاباً وبمرور الوقت. أصبحت أى مشاركة لى فى الفصل تسبب لى مغصاً وكأنما تنعقد أمعائى مائة عقدة عندما كنت أخطىء كانت تضربنى على ظهر أصابعى بالمسطرة حتى صرت أرتعب من هذه السيدة فلا أستطيع حتى أن أنظر إلى وجهها.

عقدة شائعة

وعندما تذكرت ألمى السابق أعطانى هذا بصيرة جيدة فقد رأيت تشابهاً بين القصتين. وهو الصراع مع شخص يمثل السلطة. ففيما كنّا ننتظر الحب والفهم لم نجد سوى الظلم والجروح.

لقد قضيت سنوات طويلة فى التعامل مع هذه المشاعر التى كانت

تهزنى بعنف. وعندما غمرتنى تلك المشاعر، قررت أن أبعد تلك الملاحظات وأتهيأ للجلسة القادمة.

وبعد ذلك بأسبوع، عاد «لارى» مرة أخرى. وبرغم السحب الرمادية الكثيفة التى منعت أى شعاع من الشمس من أن يخترق الغرفة المظلمة إلاَّ أن «لارى» كان لا يزال مختفياً خلف نظارته الشمسية.

ولكنه أصبح أقل خوفاً وقلقاً فقد استرخى على الكرسى أمامى وبدأ يتحدث بحرية أكثر. وإن كنت لازلت أستشف منه إحساسه الداخلى بعدم الراحة إلا أنه على الأقل لم يعد يمشى فى الحجرة فى عصبية كالأسد الحبيس.

أفضى لى «لارى» أنه عندما كان مراهقاً كان من الهيبيز وألقى بكل كيانه فى أحضان المخدرات والحياة اللا أخلاقية وسرعان ما تورط فى الجريمة ليحصل على المال اللازم لإدمانه، وتنقل من علاقة لأخرى تاركاً وراءه علاقات محطمة وجروحاً لا حصر لها. وهو الآن متزوج وله طفل ويحاول أن يثق بالناس ولكنه ينفجر غاضباً كلما تعرض لجرح أو إحباط.

تقدمت مقترباً منه وسألته. «ماذا تشعر حيال ما يحدث لك الآن؟».

تحرك «لارى» بتوتر فى كرسيه وقرع بأصابعه على جانب الكرسى الخشبى وقال «الوحدة. إننى أشعر بالاكتئاب والخوف أيضاً. الخوف مما قد أفعله مع زوجتى أو طفلى فى إحدى نوبات غضبى العارمة.»

أومأت برأسى بينما أكمل «لارى» الحديث. وبنهاية هذه الجلسة كنا قد أصبحنا نتحدث باسترخاء. وعندما أنهيت الجلسة بالصلاة وأقبلت

نحوه وأمسكت بكتفه. وضغطت عليه. بدت ابتسامة خفيفة على شفتيه وهو يعد بأن يعود في الجلسة التالية.

وعندما أصبحت وحدى فى المكتب جلست متأملاً فيما سمعت وواجهت تحدياً لم أواجهه من قبل. لقد كانت هناك أشلاء كثيرة ممزقة في حياة «لارى». هل يمكن أن تلتئم هذه الحياة مرة أخرى؟ لقد كان الأمر يحتاج لسحر كما يستعيد الساحر جسد الفتاة التى مزقها بالسيوف. وواجهت ذلك التحدى وحدى فصرخت «يارب إنى أحتاجك، أحتاجك لكى تفتح الباب لهذه الحياة من جديد بعد أن سحقت فى الألم والمرارة» ولم أكن أعلم أن هذه يمكن أن تكون بداية إعلان مجيد ومرحلة جديدة في خدمتى.

العثور على الإجابات

عندما عاد «لارى» لجلسة المشورة الثالثة له، شعرت أن لدى شيئاً جديداً أقدمه له. فقد طلبت الرب منذ كنت معه المرة السابقة وشعرت أن هناك بعض المفاتيح لمشاكله يريد الله أن يكشفها لنا.

- «أهلاً .. عامل أيه؟» قال «لارى» هذا وهو يدخل الغرفة وألقى بنفسه على الكرسى مسترخياً وهو يتنهد تنهيدة بسيطة.

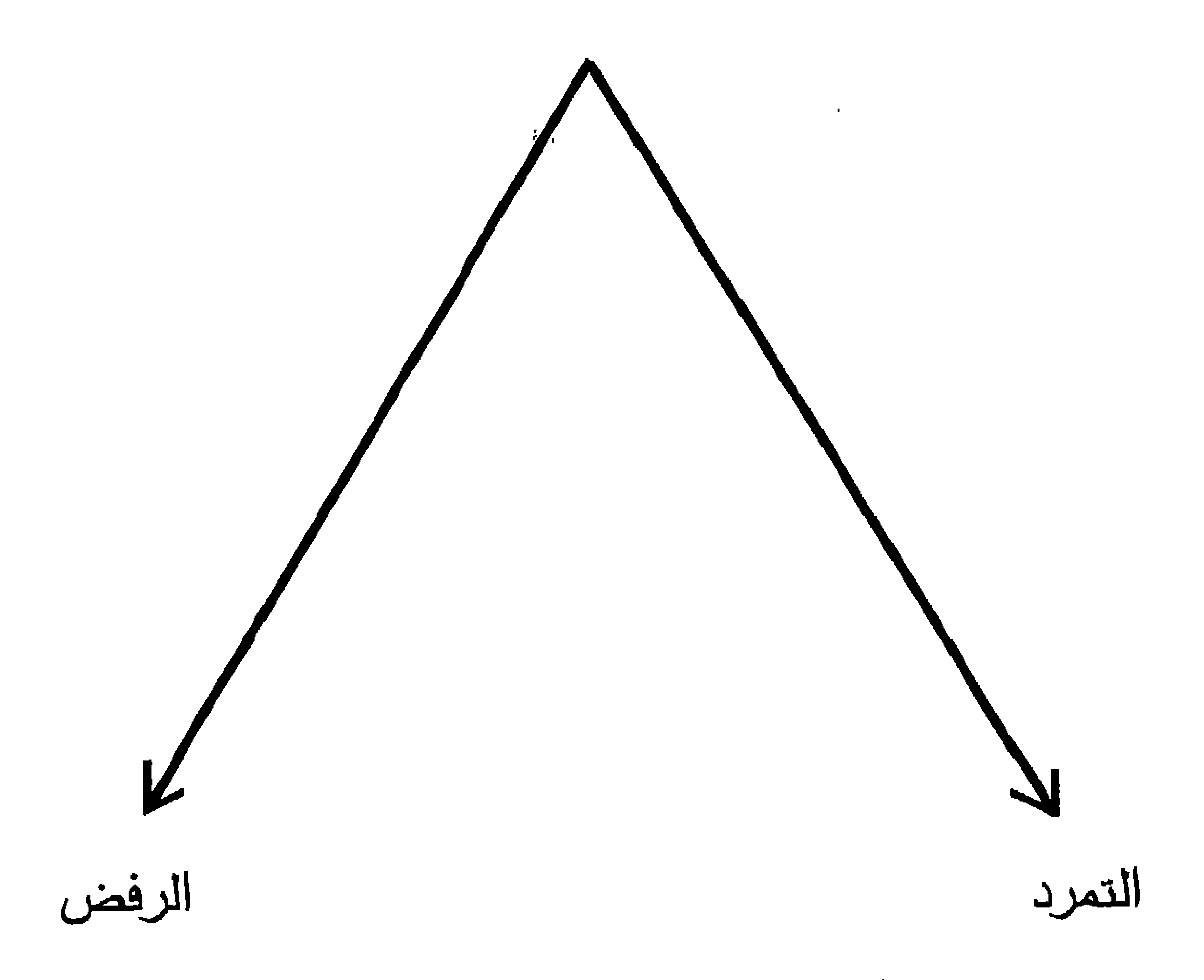
أجبته «بخير. شكراً يا «لارى»» محاولاً بكل قوتى أن أخفى شعوراً غامراً بالارتياح لطريقته واسترخائه. وأضفت «كيف كان الأسبوع الماضى؟»

- أفضل، لقد فكرت كثيراً فيما تحدثنا عنه المرة السابقة».

وأضاف: «نعم. لقد تحدثت عن بعض الأمور مع زوجتى»

وهكذا بدأنا الحديث عن العلاقات، وسألته أذا كان قد اختبر علاقة حب من قبل. فهز رأسه بالنفى قائلاً: «لا، لم تكن لى أى علاقة حب، إلى أن قابلت زوجتى» ومضى يصف كيف وقفت زوجته بجانبه ورفضت أن تهجره مهما كان الأمر. وكيف أنها بدلاً من أن تنتقده وتدينه كما كان الآخرون يفعلون، كانت هى أول شخص يحبه ويرعاه بصدق.

وقال «لارى»: «لقد كان صعباً علىّ أن أقبل هذه المحبة، لقد كنت دائماً أشعر أنى وحدى ولا يهتم أحد بما يحدث لى.» وعندما استرسلنا فى الحديث عن حب زوجته له وماذا يعنى ذلك الحب بالنسبة له وجدت «لارى» يتناول نظارته الشمسية ببطء وترو ويخلعها.



وكانت هذه أول مرة أرى عينىّ «لارى»: عينان بُنيتان داكنتان تميلان للسواد كانتا مبللتان بدموع قليلة ومملوئتان بفراغ موحش!

فَتح جديد! أردت أن أقفز مهللاً من الفرح ولكن بدلاً من أن أفعل ذلك صُليت سراً صلاة شكر قصيرة. واستمر «لارى» يتحدث عن علاقته المحطمة مع والديه وبعض الصعوبات مع زوجته بينما توجهت أنا نحو السبورة المعلقة على جدار مكتبى. وفيما أنا أتأمل فى مدى التأثير الأبوى على حياة «لارى» التقطت قطعة طباشير وبدأت فى رسم بعض الخطوط دون أن أدرى تماماً ماذا كنت أفعل. فجأة بدأت أفكارى تتبلور. رسمت خط يميل ٤٥ درجة يمثل الرفض فى حياة «لارى». وعندما بدأت أسترجع فى ذهنى تلك الذكريات المؤلمة فى حياة «لارى»، رأيت أن مدى التمرد فى حياته وتورطه فى المخدرات والجريمة، نبَع أساساً من إحساسه بالرفض.

ومن نهاية هذا الخط، رسمت خطاً آخر مائلاً لأسفل ليصنع الخطان معاً رقم (٨) إذ يلتقى الخطان فى القمة وكان هذا الخط الثانى يمثل التمرد (أنظر الرسم ص ٨) وعندما تكلمنا معاً عن هذا الرسم، بدأت أرى الارتباط بين ممثل السلطة المهيمن فى حياة «لارى». فقد تلقى «لارى» الرفض من والده والوقت الذى قضاه فى الحبس جرح نفسه وروحه. فتعاهد مع نفسه ألاَّ يثق بوالده مرة أخرى.

واستطعت أن أرى تأثيرات هذا العهد واضحة فى حياة «لارى» فقد أصبح الآن لا يستطيع الثقة بأى إنسان وكان تمرده وانغماسه فى حياة الفجور والجريمة والإدمان هو تعبير عن رفضه المضاد. وتقدم «لارى» منحنياً فى كرسيه ونظر بتركيز للسبورة ولمعت عيناه بوميض من الرجاء.

«آه. كلام معقول!» قالها «لارى» وقد لاحت ابتسامة على وجهه.

وبدأت أبحث فى صفحات الكتابى المقدس لما أقول وتسارع ذهنى يسبق أصابعى فأخيراً بدأت أجمع بعض الأجزاء المفقودة من لغز حياة «لارى» الشديدة الشبه بحياتى.

لقد كان واضحاً أنى عثرت على حقيقة هامة جداً فيما يتعلق بتأثير ممثلى السلطة فى حياتنا. وعندما غادر «لارى» المكتب بعد ذلك، علّقت سكرتيرتى على ابتسامته وعينيه المشرقتين. فغمرتنى السعادة البالغة.

عملية الشفاء

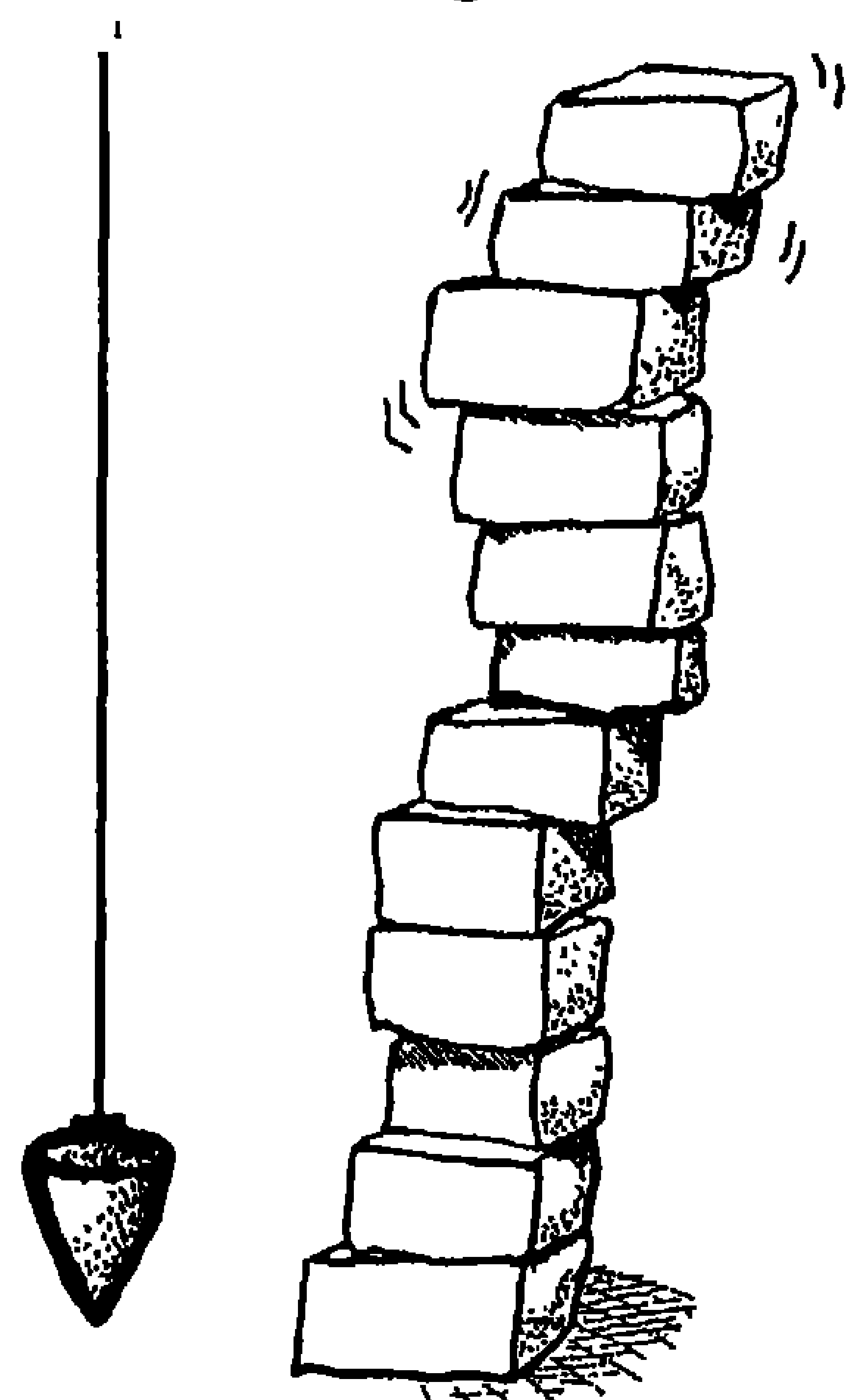
وفى الأسابيع التالية، كنت أرى «لارى» بصورة منتظمة ورويداً رويداً بدأت بإصرار أكشف أمامه مقاييس الله للحياة كما جاءت فى الكتاب المقدس ويدأ «لارى» يتغير. أصبحت عيناه أكثر صفاءً وسرى سلام جديد فى كل كيانه ليحل محل التوتر والقلق. وأخذته فى خطوات من التوبة مساعداً إياه أن يرى مسئوليته عن الإختيارات التى اختارها والتى اجتذبته لأعماق اليأس والفشل.

وشرحت له كيف أن «التوبة» تعنى أن تتحمل مسئولية حياتك وتتخذ قراراً واعياً وأن تتحول عن الممارسات التى تدمرك إلى الحياة الصالحة المكتملة النقية.

وأشرت عليه أن يقرأ الكتاب المقدس يومياً لكى يحافظ على ما قدمه الله له من رحمة. وعندما جاءنى للمرة الأخيرة كان «لارى» شخصاً جديداً تلامس مع الله فى أعماقه وروحه وغير الله عذابه وأبدله سلاماً.

تحد جديد

لقد شعرت أن حياة «لارى» وغيره ممن يأتون فى طلب المساعدة تتحدانى كيف يمكننى أن أساعد «لارى» ومن هم فى مثل حالته؟ ما هى الأدوات التى استخدمها؟ وهكذا بدأت أفتش فى الكتاب بكل أمانة لكى أجد حلولاً وأعلانات جديدة وفى أحد الأيام اكتشفت حقيقة مثيرة تتعلق بما رسمته على السبورة فى ذلك اليوم فالأصحاح السابع من سفر عاموس يتكلم عن إسرائيل باعتباره حائطاً معوجاً ولا يستقيم مع الزيج الذى يمسك به الله. والزيج (ميزان الخيط وهو خيط فى آخره ثقل) يستخدمه البناؤون لكى يتأكدوا من استقامة الحوائط رأسياً.



وعندما تتبعت هذه الفكرة، رأيت أن الخط الذى رسمته ويمثل الرفض فى حياة «لارى»، كان زيجاً خاطئاً وهكذا الخط الذى يمثل التمرد فقد كان الخيطان خارج خطة الله. الزيج الإلهى الذى يقع فى مكان ما بين الخطين الإنسانيين الخاطئين. وهذا هو المكان الذى كان «لارى» يبحث عنه ولا يجده بل كان على العكس يذهب كل مرة مع أحد الخطين المائلين، الرفض أو التمرد. اللذان أثرا فى حياته عن طريق والديه

وغيرهم من رموز السلطة فى حياته. وعندما جاء «لارى» لمكتبى، كانت حياته تتأرجح كحائط مائل ينذر بأن يهوى فوق رأسه وفى نفس الوقت وجدت نفسى على أعتاب إعلان هام كان يبنى تدريجياً فى حياتى على مدار سنين كثيرة، دون أن أدرى. وكانت حياة «لارى» بمثابة مفتاح أشاع نور الإعلان فى ظلام حياتى الماضية.

كانت الشمس فى ذلك الصباح تسطع على صفحة البحر الشاسعة وتتلألأ مياهه عاكسة كل ألوان الطيف الزاهية. لقد كان نهاراً جميلاً دافئاً والسماء صافية بلون أزرق جميل.

جلست على كتلة صخرية مدلياً قدمى فى المياه الضحلة التى خلفها المد تاركاً جسدى يتشرب بشمس هاواى الدافئة.

فى ذلك الوقت كان عقلى منشغلاً جداً يجوب دهاليز حياتى بينما كانت أسرتى تلهو على الشاطئ وأطفالى يبنون بيوتاً وقلاعاً من الرمال.

بالأمس فقط قلت للارى إنه لا يحتاج لرؤيتى مرة أخرى وهذه بالنسبة له لم تكن النهاية بل البداية ولاحظت أيضاً أنها البداية بالنسبة لبحثى عن إعلان أكبر وأعظم. لقد استثارتنى حياة «لارى» لكى أنظر للوراء لحياتى بطريقة جديدة وعندما جلست مسترخياً تحت أشعة الشمس، سمحت لأفكارى وذكرياتى أن تأخذنى للماضى.

ماذا عسانى أفعل بحياتى، يارب ؟

لقد صرت مؤمناً فى سن الثالثة عشر من خلال خدمة «الشباب الناشئ» وبعد ذلك بسنة، بدأ الله يكلمنى عن أن أكون مرسلاً وكان

ذلك فى مـؤتمر للكتـاب المقـدس تابع للكنيـسـة المعـمـدانيـة فى ديف كمبريدج، بنيوزيلندا.

وصـارعت لمدة سنين من الدراسـة بدت وكـأنهـا لا تنتـهى حـتى أصبـحت مؤهلاً لدخول الجـامعة وعنـدئذ صـدمنى هذا السؤال - مـاذا عساى أفعل بحياتى؟ لم تكن فكرة دخول الجامعة سارة بالنسبة لى لذا فكانت مفاجأة عندما سألنـى أحد أصدقائى إن كنت قد فكرت فى دخول كلية الطب.

«الطب!» ضحكت. «هذا كثير! بالتأكيد أنت تمزح! لقد سئمت من الدراسة!»

ولكن على مـدار الأسـابيع التـاليـة، وجـدت أن هذا التعليق لا يزال عالقاً بذهنى بل وثابتاً. كلمات الكتاب المقدس كـانت تلمع أمامى حتى تكاد تقفز من الصفحات. كما أن تعليقات الآخرين كانت تؤكد اقتناعى. ثم اكـتـشـفت أن المواد الثلاثة الجـديدة التى إختـرتهـا بـالصدفة لدخول امتحـان القبول بالجامعة، كانت - علم الأحياء، والطبيعة والكيمياء - وكـانت هذه العلوم هـى بالتـحديد مـا أحتـاج ليه لأدخل كلية الطب! لقد كان الله يؤكد بوضوح دعوتى للطب، عكس تصوراتى تماماً. فبدلاً من أن أذهب لحـقل الخـدمـة الإرسـاليـة دون تدريب سـوف أصبح طبـيبـاً مرسلاً.

وعندما بـدأت دراستى التمهيدية لدخول الطب كنت أذاكر بضمير حى من الفجر حتى ساعة متأخرة من الليل فقد كانت المنافسة حامية والتحدى شديداً حيث أن نسبة ضئيلة جداً من المتقدمين سوف يقبلون فى كلية الطب.

لذا لم تكن مفاجأة لى أن أفشل فى التأهل فى نهاية السنة. وقبلت هذا باعتباره أمراً طبيعياً وصممت أكثر على النجاح.

ومرة أخرى كرست نفسى لساعات طويلة من المذاكرة لكى أتقدم للإمتحان مرة أخرى.

وبمجرد انتهاء الإمتحانات، كنت أنتظر النتيجة بترقب ونفاذ صبر وما حدث بعد ذلك ظل محفوراً فى ذهنى بشكل حىّ وواضح لا يُمحى. ففى صباح يوم إعلان النتيجة، استيقظت مبكراً وأخذت دراجتى البخارية الصغيرة وهرعت بها مخترقاً المدينة وأنا مُفعم بالترقب والانتظار ووصلت مبكراً لأنضم لمجموعة من الطلبة الذين تجمعوا فى الفناء المواجه للوحة إعلان النتيجة وبسرعة نظرت إلى القائمة المرتبة بحسب الحروف الأبجدية أين اسمى؟ وفزعت إذ لاحظت أن اسمى ليس موجوداً. وهذا ليس له سوى معنى واحد هو إنى رسبت مرة أخرى!

ألم الرفض الرهيب

هالتنى الصدمة ووقفت مذهولاً أحاول أن أغالب دموعى حتى لا تنهمر. لقد لاحظت أننى بالرغم من أدائى الجيد لم أستطع بعد أن أُقْبَل بين تلك الصفوة وبأقدام ثقيلة كالرصاص وقلب مثقل بالهموم تراجعت ذاهباً من حيث أتيت وعاصفة رهيبة من الألم بدأت تهب فى داخلى.

«إننى فاشل. لقد كنت دائماً أعرف ذلك. أنا غبى! لا فائدة!» وغمرنى فيضان من أفكار إدانة النفس والإشفاق على الذات. كنت مستعداً أن أكف عن ذلك السعى السخيف وراء حقل الإرساليات! كل الأفكار السلبية التى جالت فى ذهنى عبر السنين تجمعت كلها فى ذلك

الوقت وتركزت فى عقلى مكونة بشدة ذلك الإحساس بالفشل وعدم القيمة.

وبدا لى النظام بأكمله خاطئاً جداً. لقد ذاكرت بكل قوة ربما أكثر من الكثير من زملائى الذين جاءت أسماؤهم فى القائمة. وقد علمت بعد ذلك إنى اجتزت الامتحان ولكن فى ذلك الوقت كنت أتألم متساءلاً: «لماذا لم يقبلونى؟»

والقيت بنفسى بجانب جدول مياه صغير فى داخل فناء الجامعة. وبدأت أفرغ مشاعرى المكبوتة بأن أصرخ ألى الله.

«أين أنت يارب؟ ألا تهتم؟» وكنت أعبث فى الأرض بإبهامى محاولاً التخفيف من الألم والإحباط وبدأت ألوم الله. «لقد أتيت إلى هنا فقط لأنك دعوتنى والآن قد خذلتنى. لماذا؟»

ولمدة أسابيع كنت أصارع وأتساءل من هو الله؟ وما هى طبيعته؟ تماماً كأيوب فى القديم كنت أطالب بتفسير. وإذا لم أجد تفسيراً فمن الطبيعى أن أترك الدراسة وأتجه للإرسالية. لابد أن الأمر هكذا! وشعرت وكأنى حاصرت الله فى ركن حيث لا يمكنه الهرب وهكذا قررت أنه يجب أن أترك الدراسة وأتجنب سنوات طويلة من الدراسة المضنية.

وهكذا بدأت أشعر بالإرتياح لمخططى المرسوم. ولكن الله فجأة جاء من الركن الذى حاصرته فيه فى إحدى الليالى وبكتنى تبكيتاً غامراً فعندما كنت أصلى أرانى الله أننى سوف أكون بلا ثمر إذا ذهبت لحقل الإرساليات وأنا أحمل بين ضلوعى قلباً لم يتعلم بعد هذا الحق الأساسى وهو أن «الطاعة أفضل من الذبيحة».

الاستسلام لمشيئة الله

وببطء بدأت أرى أن الله يهـتم بمؤهلاتى الروحـيـة أكـثـر من الشهادات التى سوف أحـملها معى. لقد كان يأمرنى أن أطيع. وبقلب مـتثقل بدأت أحمل نفسى حـملاً عـائداً مـرة أخرى لروتين المذاكـرة الطبية القاسى.

وعلى مـدى السنين الست التـاليـة، جاهدت وصـارعت مع الكتب والمراجع مصمماً على النجاح مهما يكن الثمن. وقد كان يوم الانتصار والغلبة عندما حـصلت على شهادة فى الطب وكان سنى وقتها ٢٨ سنة. فبعد سنين طويلة من المذاكرة الشاقة وصلت لهدفى فى النهاية وهو أن أصير مرسلاً طبياً.

ولمدة سنة، سافرت مع الهيئـة متعددة الطوائف (شباب له رسالة Y.W.A.M.) للكرازة فـى بلاد مـختلفـة من العـالم وانتـهـى بى المطاف فى غانا بغرب إفريقيا. وهناك أصبح الباب مـفتـوحـاً للعمل مع حـملة الكرازة العالمية (WEC) وكـمـا كـان الحـال فى (YWAM) هكذا أيضـاً فى WEC كان الهدف هو الكرازة لكل أمم العالم المختلفة. ومع زوجتى باربارا بدأنا خدمـة طبـيـة مـتنقلة نواجـه فيـهـا يومـيـاً تحـديات توصـيل الإنجيل للقبائل البدائية الذين هدفهم الأول فى الحياة هو الحصول على الطعـام والماء ليـبـقوا علـى قيـد الحـيـاة. وخـلال صـراعنا لكى نتـواصل معهم، اكتشفنا طريقاً إلى قلوبهم من خلال الطب وشهدنا كنائس كثيرة تبدأ وتنمو حيث لم يكن هناك أى كنائس على الإطلاق.

وبعد ذلك بأربع سنوات رجـعنا لنيوزيلندا لنقضى سنة كنا نعتقد أننا سوفـ نستريح فيها ولكن على العكس وجـدت نفسى متورطاً بشدة فى عمل طبى عام حيث كنت أرعى مرضى كثيرين كل يوم وعندما كنت

أقابل مشكلة صحية كنت أصلى سراً طالباً من المسيح أن يرشدنى للتشخيص الصحيح والوصفة الدوائية المناسبة ولكن إحباطى الشديد جاء عندما لاحظت أنه بدون تغيير حقيقى فى نمط حياة المرضى فسوف يعودون بسرعة وقد عاودهم المرض مرة أخرى.

وذات يوم جاءتنى فرصة أن أشارك متاعبى مع شيوخ الكنيسة التى كنت أذهب إليها ولم يعرضوا على فقط استخدام مبنى الكنيسة بل عرضوا علىّ أيضاً أن يشترك بعض الخدام معى أنا وزوجتى فيما أصبح بعد ذلك مركزاً للمشورة والرعاية الصحية. ولم يمض وقت طويل حتى تطلب العمل الكبير بالمركز أن أستقيل من عملى الخاص وأصبح متفرغاً لهذه الخدمة الطبية. ووصلت هذه الأيام بنا إلى قمة الإشباع عندما قرر الله أن يقطع ما ظننا أنها خدمة حياتنا - ودعانا لنذهب إلى هاواى وأكد لنا ذلك شيوخنا المتحفظون. ووجدنا أنفسنا بعد مرور ١٨ شهراً من بداية خدمتنا هذه نطير فى إحدى طائرات الخطوط الجوية النيوزيلاندية متوجهين إلى هونولولو.

آفاق جديدة

قالت مضيفة الطائرة فى نهاية الرحلة: «مرحباً بكم فى كونا!» وفتحت لنا باب الخروج بينما كانت الموسيقى الخفيفة تنساب فى الطائرة. وتمتمت فى سرى، «كونا هاواى! مستحيل» فالأرض تبدو وكأننا هبطنا على القمر فعندما نظرت بعينى من النافذة رأيت رقعة سوداء كبيرة من الصخور البركانية! وتعاقبت موجات من أشعة الشمس الحارة تومض عبر مهبط الطائرة كما ظهرت فى الأفق الجبال أما إلى اليمين من مهبط الطائرة فقد تكسرت أمواج المحيط الهادى على شاطئ

متعرج من الصخور. وكانت زوجتى باربارا تصارع مشاعرها المضطربة بالإضافة إلى طفلنا البالغ من العمر ثلاث سنوات، مايكل، وهو طاقة متوثبة تتحدانا كل لحظة. وحملت طفلنا الآخر البالغ من العمر خمسة أشهر وهممت بالخروج من باب الطائرة.

ولم يخطر ببالى وأنا أخرج من الطائرة فى ذلك اليوم من شهر يناير سنة ١٩٧٦ أننا سوف نبقى أكثر من عقد من السنين فى هذا المكان – هاواى –! لقد أرسلتنا كنيستنا فى بالميرستون نورث. نيوزيلاندا للخدمة لثلاث سنوات حتى يمكننى أن أساعد فى تأسيس برنامج طبى لهيئة YWAM وكان المطلوب هو إقامة وحدة طبية متنقلة يمكن أن تحمل على ظهر سفينة أو تؤخذ لأى مكان فى العالم. ولكننى سرعان ما وجدت أن الله عنده خطة أخرى لحياتى. فبعد عدة محاولات فاشلة للبدء بهذا العمل، تسلمت خطاباً من المجلس المنوط به التصريح لى بالعمل كطبيب فى هاواى يفيد بأنه لكى يصرح لى بالعمل يجب أن أقضى ثلاث سنوات فى إحدى المستشفيات المعتمدة بالولاية وذلك بالإضافة إلى دخول الإمتحانات النهائية مرة أخرى!

شعرت عندئذ بالحيرة والإرتباك فها أنا الآن مع زوجة وطفلين على بعد أميال من الوطن، واثق من قيادة الله ولكنى أجد أن الباب يصفع فى وجهى هكذا ببساطة! ومما زاد الأمور سوءاً أن باربارا كانت مقتنعة بأنى أسبق إرشاد الرب لى ولا أنتظره بما فيه الكفاية لذا واجهتنى برأيها وكان رد فعلها غاضباً وساخطاً فهتفت «حسناً! لنحزم إذن أمتعتنا ونعود أدراجنا للوطن».

لم تكن هاواى هى الفردوس المفقود بالنسبة لنا وأضافت محاولات YWAM وصراعها من أجل بقائنا فى هذه الأيام الأولى المزيد من

المبـررات لقناعـة باربارا بأننا أخطأنا بتـركنا خـدمـتنا المشـبـعـة فى نيوزيلاندا.

المثابرة

تأرجحت كثيراً فى تفكيرى المنقسم إلى فكرتين رئيسيتين: هل سمعت فعلاً صوت الله، أم كان هذا مجرد افتراض؟ هل نعود لبلادنا أو لا يزال لدى الله فكر آخـر؟ وإذا اشتـد الصراع، بدأت أراجع إرشادى وظروفى ولكن وسط كل الأصوات المتصارعة داخلى، لم أستطع أن أزحزح ذلك الإعتقاد الداخلى الذى شجعنى كثيراً وفى النهاية، صارعت حتى وصلت لقرار بأن أبقى وأواجه المصاعب متمنياً أن تظهر بعض العلامات المشجعة على الطريق لترشدنى.

ولم تظهر هذه العلامات إلا متأخراً جداً. وفى الفترة السابقة لها بدا لنا وكأننا فقدنا كل شىء فلم تكن هناك خدمة ولا عمل على عكس انشغالنا الكامل عندما كنا فى نيوزيلاندا. وبالإضافة لهذه المصاعب حدثت حادثة لإبننا الأكبر اقترب فيها من الموت فقد كان يلعب مع بعض الأصدقاء عندما سقط من فوق سلم وهو على أرضية خرسانية ولما هرعنا به إلى المستشفى ونحن نخشى حدوث أسوأ الفروض وجدنا لديه شرخاً بالجمجمة وتجمع دموى يخفى عينه اليمنى تماماً ولكن الكثيرين من أصدقاءنا فى هاواى وفى بلادنا كانوا يصلون من أجل مايكل وكان ارتياحنا كبيراً عندما شفى مايكل سريعاً دون أى تأثيرات باقية. وبينما بدأنا فى القيام بمهام غريبة تطلبتها خدمة YWAM المتنامية فى كونا، بدأت بعض العلامات تظهر على الطريق وبدأنا نرى بعضاً من مقاصد الله بدعوته لنا إلى هاواى.

ففى أحد الأيام عندما كنا نتحدث إلى لورين كاننجهام المدير الدولى لـ YWAM وزوجته دارلين، شاركناهما بخدمة المشورة المتنامية التى كانت لنا فى نيوزيلاندا وعندما أخبرنا لورين أن الله أرانا بوضوح أن الخدمة الطبية كانت تُكمِّل خدمتنا الرئيسية فى المشورة اقترح أن نصلى من أجل ذلك معاً. وعندما صلينا كان لدى كل واحد منا انطباع قوى أن الله كان يشير إلى خدمة جديدة داخل YWAM. وأرشد الله باربارا ودارلين إلى إشعياء ٥٤: ٢-٣ الذى يدعونا لتوسيع نطاق خدمتنا «أطيلى أطنابك وشددى أوتادك» وبدا أن الله يقول إن الخدمة ستمتد وتتسع أكثر من كل توقعاتنا.

وبعد زيارة العديد من مراكز المشورة فى الولايات المتحدة وجدنا شخصين يمكنهما مساعدتنا وهكذا بدأنا أول مركز مشورة فى كونا فى يناير ١٩٧٧ وهناك قابلنا «لارى» وغيره الكثيرين وبدأ الله يستخدمنا حتى نفتح الأبواب الموصدة فى حياتهم.

وسرعان ما قادنا الله لبدء دورة لتدريب آخرين يحملون الرسالة فى العالم كله وبعد عدة سنوات كثرت الدورات ونمت وأصبحت برنامجاً يمنح شهادات من جامعة «الباسيفيك وآسيا» المسيحية التابعة لـ YWAM وبعد ذلك امتدت لبلاد أخرى كثيرة على هيئة مدارس تابعة لهذه الجامعة.

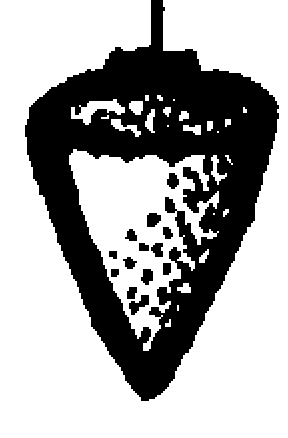
فى هذا الكتاب سوف أشارك بالحديث عن الأسلوب الكتابى للوصول للشفاء والإكتمال الذى تعلمته على مدار السنين من الدراسة والخدمة هيا ابدأوا معى هذه الرحلة من اكتشاف الذات الحقيقية من خلال ضوء أعظم مراجع الحياة أمانة وأكثرها أهلاً للثقة ... وهو الزيج الإلهى.

الفصل الثانى

«الجدار المائل»

الزيـــــج

فى القـرن الثـامن قـبل الميـلاد وقت حُكم عُزيّا، ملك يهوذا، كـانت إسـرائيل تنعم بالسـلام والخـيـرات. ولكن مـع هــذه الوفـرة المادية كـان هناك للأسف فـقـر أخـلاقى ينخـر فى جــذور المجـتمع وكـان ضباب الظلم الإجـتماعى القاتم يحـجب رؤية إسـرائيل ويفـصلها عن الإرشـاد الإلهى الذى كانت تتمتع به. ومن وسط هذا الجو الخـانق الذى يتـحدى أكـثـر الأشـخـاص براً وصلاحاً، دعى الله عاموس (عاموس ٧: ٧-٨)، الذى كان راعياً وجانى جميز لكى يقيم دعواه على شعبه. وكانت إرسالية عاموس هى أن يفضح ويهاجم الفساد الإجـتماعى والأخلاقى ويحـذر الناس من دينونة الله الوشيكة. حـتى أن اسـمـه «عاموس» هو مشتق من الفعل العبرى الذى يعنى «يَحْمِل»(×) وإذا كان الله فى أيام موسى قد إستخدم



شكل (١)

(×) (New Scofield Reference Bible P.932)

عصاً ليعلن بها حقه ووصاياه ففى أيام عاموس اختار لنفس الغرض ما يسمى بالزيج – الزيج الإلهى.

مقاييس الله

وهذا الزيج فى أبسط أشكاله هو قمع مقلوب من الرصاص مربوط بخيط فى نهايته قطعة اسطوانية من الخشب لها نفس سمكه. وهو آلة بسيطة يستخدمها البناؤون للتأكد من الإستقامة الرأسية للحائط أثناء البناء. فالنهاية الثقيلة (الرصاص) دائماً ما تشير إلى مركز الأرض حيث أنها تنجذب لقوة غير مرئية هى الجاذبية الأرضية (أنظر الشكل رقم ١)

لقد وجد البناؤون فى هذه الآلة البسيطة القيّمة عوناً لا يقدر بثمن فقد لاحظوا أنه لكى يكون البناء مستقراً وثابتاً يجب أن تستقيم حوائطه ودعاماته مع هز الريح وإذا لم تستقم فالبناء كله يكون معرضاً للسقوط.

ووسط هذه الوفرة التى كانت تعيش فيها إسرائيل كان هناك فساد أخلاقى والله هنا يصور الأمة كحائط غير مستقيم يكاد يسقط فى أى وقت ولكى يظهر الله مدى انحراف هذا الحائط وعدم ثباته، يدلى بزيج الناموس الإلهى بجانب الحائط حتى يظهر كم ابتعد هذا الحائط عن الإستقامة وأنه فى أى وقت يمكن أن تنهار هذه الأمة ويتشتت الشعب أمام أعداءه كما يتناثر الطوب من الحائط المنهدم.

وهكذا لم يزل الله يدلى بهذا الزيج على حياة كل الذين دعاهم ليكونوا شعبه وهو يفعل ذلك معنا الآن، نحن أبناء هذا القرن، حتى نعرف الحق ونهتدى للحياة المتزنة الآمنة.

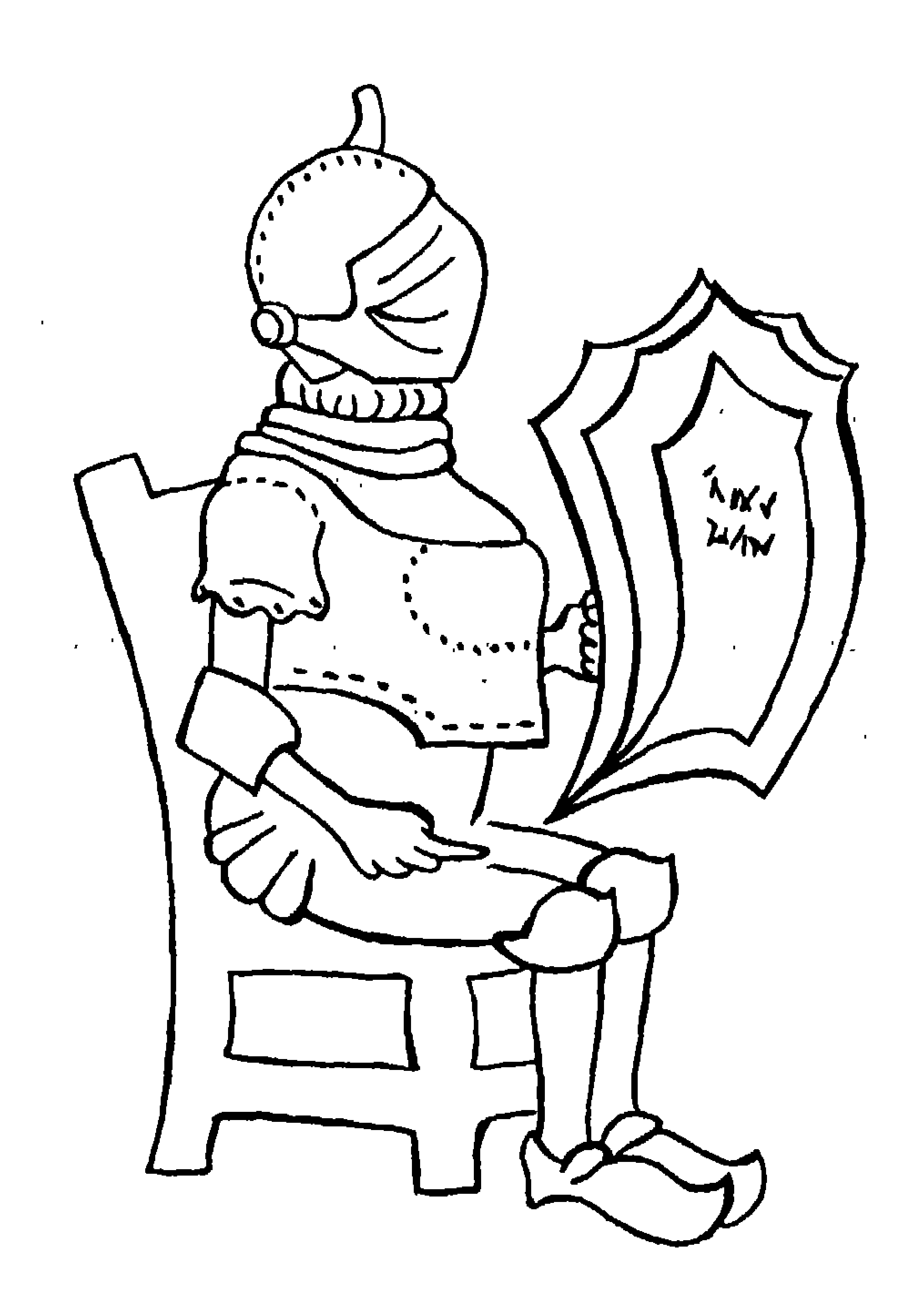
السؤال الأساسى

إننا نعيش فى عصر لم يعد فيه أحد يعترف بكلمة الله باعتبارها زيجاً يكشف استقامة الحياة إلا أن هذا العصر فى نفس الوقت لا يزال منشغلاً بهذا السؤال الأساسى: «ما هى الحياة وكيف نحياها؟» ويظهر مدى الإهتمام بهذا السؤال من خلال الأعداد من الطلبة الذين تزدحم بهم فصول دراسة علم النفس فى الجامعات وذلك المد المتزايد من الرجال والنساء الذين يجربون الوجودية وما يسمى بالوعى الجديد والمخدرات والسحر والممارسات الروحية الغريبة وغيرها من الأنواع الكثيرة للواقع المزيف. وهذا السؤال المحورى يمكن أن ينقسم إلى أربعة أجزاء

أولاً: السؤال الأساسى المتعلق بالأنطولوجيا (أى علم الوجود): «من أنا؟». ولكى نقترب أكثر من الإجابة وتعريفها نحتاج لأن نراجع بعض السمات المختلفة للشخصيات.

التجاوب السلبى

أولاً لنلق نظرة على الشخص الذى يغلف نفسه «بدفاعات شخصية» كما نرى فى (شكل ٢). أولاً ما هو الإنطباع الذى تتركه فينا رؤيتنا لهذا الإنسان؟ فيما يلى قائمة من الإنطباعات التى قالها بالفعل أشخاص بعد أن رأوا شكل ٢



(شكل ٢)

شخص يقف موقف المدافع	هَش
شخص خائف	سلبى
أعمى	أخرس وأصمّ
وحيد	مكتئب
ضعيف	محبط

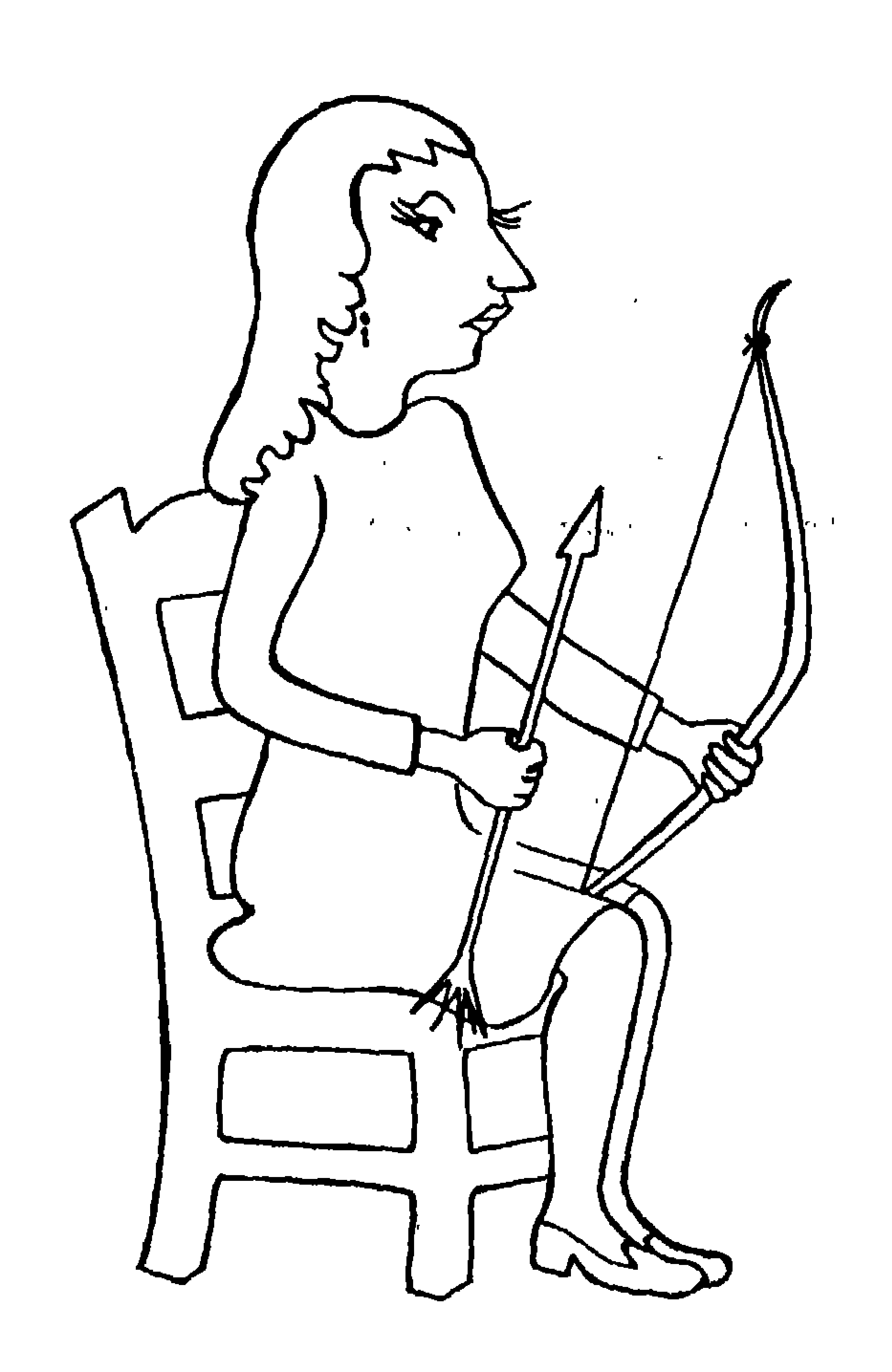
إن الشخص الذى يغلف نفسه بكل هذه الأسلحة والدفاعات هو شخص يمر بأزمة هوِيَّة فهو يتحاشى الإجابة عن السؤال: «من أنا؟» وقد تكون محاولاته السابقة للتعامل مع هذا السؤال قد باءت كلها بالفشل لذا فهو قد قرر أنه بدلاً من مواجهة هذا السؤال والتعامل مع الألم الذى يسببه، سوف يختفى خلف أسلحته ودفاعاته مبتعداً عن كل ما قد يهدد إحساسه بالأمان.

التجاوب العدائى

وهناك شخصية أخرى من الشخصيات التى تصارع مع هذا السؤال الرئيسى ونمثلها هنا بامرأة تحمل قوساً وسهماً كما فى (شكل ٣).

تأمل هذه الصورة وحاول أن تذكر بعض الصفات التى قد ترد بذهنك

عنيفة	تقف موقف النقد دائماً
سلبية	تدافع عن نفسها
مستاءة	لا تشعر بالأمان
وحيدة	خائفة



(شكل ٣)

تمثل هذه السيدة وهى تمسك بقوسها وسهمها اتجاهاً آخر فى التعامل مع أزمة الهوية فهى على عكس الأسلوب الدفاعى السلبى تتخذ موقفاً أكثر عنفاً وعدوانية، وهى بموقفها هذا ترسل تحذيراً لكل من يحاول الاقتراب منها بأنّ عليه أن يبقى على المسافة المناسبة وإلا فسوف يتعرض لسهامها الجارحة. وإذا دققنا فى الشكل نجد أنها لم تضع السهم فى القوس بعد وهذا يدل على أنها فى الواقع لا تريد أن تكون عدوانية ولكنها تضطر لذلك إذا استدعت الظروف.

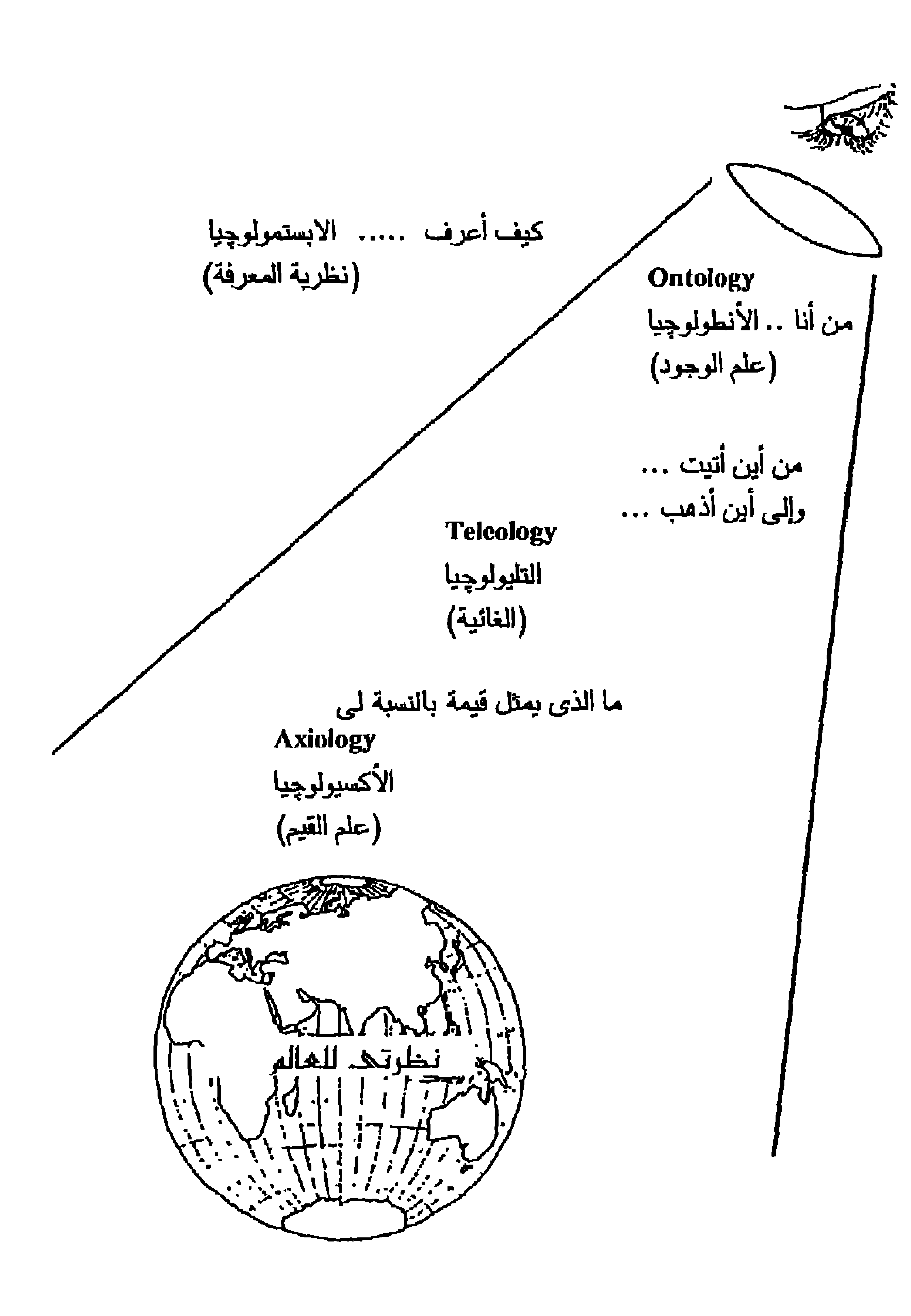
إذا وضعنا الاثنين معاً نستطيع أن نرى مِن بعض الأوجه كيف يمكن لهاتين الشخصيتين أن تتوافقا. فالمرأة تستطيع أن تطلق أسهمها متى شاءت والرجل الآخر المتسلح على الأقل سيعرف من وراء حصونه أن هناك شخصاً آخر معه يخفف من وحدته. وهكذا يصبح التواصل بينهما هو فقط صوت ارتطام السهم بالدرع الحديدى! دون أن يصاب أحد بأذى!

وللأسف كثيراً ما يصور هذا المثال لأى درجة تتدهور الزيجات والعلاقات فى مجتمعاتنا.

أين تبدأ الهوية؟

إن هاتين الصورتين هما مجرد أمثلة لاشخاص لم ينجحوا فى الوصول لإجابة السؤال الخاص بهويتهم. كيف تحاول أنت الإجابة عن هذا السؤال الهام؟ ولكى ما نبدأ فى حل مشكلة الانطولوچيا الشخصية ونجيب عن هذا السؤال: «من أنا؟»، نحتاج لأن نعود لأصولنا.

الأسئلة الأساسية فى الحياة



(شكل ٤)

إن نظرية الخلق فى الكتاب المقدس: «فى البدء ... **الله** ...» (تكوين ١:١) . ثم يسترسل الكتاب المقدس فيكشف عن سر الأصل والنشأة عندما يطلب موسى من الله أن يعرفه بنفسه، وذلك من أجل شعب إسرائيل (خروج ٣:١٣-١٤ كتاب الحياة) . ونرى كيف أجابه الله قائلاً: **«أهيه الذى أهيه» (ومعناها أنا الذى هو أنا، أو الكائن الدائم)** .

ويضيف **المسيح** ابن الله إلى ذلك فى العهد الجديد بُعداً آخراً يتعلق بشخصه ودوره بالنسبة لنا فيقول

أنا هو الطريق والحق والحياة،
لا أحد يأتى إلى الآب إلا بى» (يوحنا ١٤ :٦)

والآن لنفحص عن قرب ما قد قيل فى هاتين الفقرتين. أولاً: الله يقول إن الهوية كلها تبدأ فيه أى أن هوية كل الخليقة تنبع منه هو.

وإذا كنا نريد أن نفهم من نحن يجب أولاً أن نحاول أن نفهم من يكون هو؟ لأنه هو بدايتنا الحقيقية وكياننا كله يصرخ لكى يعود يتواصل ويرتبط به(مزمور ٤٢ :١-٢) .

ثانياً: يصف يسوع نفسه بأنه الطريق إلى معرفة الله. إنه صورة الله إلينا لذا فهو يقدمنا لله أبيه وهنا تبدأ الإجابة عن سؤال الحياة الأساسى: **«من أنا ؟»**

مكونات الهوية

لكى نجيب على الأسئلة الخاصة «بما هى الحياة وكيف نحيا فيها» يجب أن نسأل أنفسنا ثلاثة أسئلة فرعية كما نرى فى (شكل ٤)

١- *من أين أتينا؟*

٢- *إلى أين نذهب؟*

يتعلق هذان السؤالان بتاريخ الجنس البشرى ومصيره وهو ما يعرف **بالتليولوچيا أو الغائية**: هما يعبران عن تلك الرغبة الدفينة فى كل منا أن يكون له تَوَجّه أو هدف فى الحياة. فإذا كنا دائماً نهدف إلى لا شىء فنحن عادة ما نصيب هذا الهدف! والكتاب المقدس يعبر عن ذلك قائلاً «بدون رؤية يجمح الشعب».(أمثال ٢٩ :١٨) إن فكر الصراع المتغلغل فى مجتمعنا اليوم ينبع إلى حد كبير من فقدان الإحساس بالهدف والاتجاه فى الحياة وذلك عند هؤلاء الذين لم يستطيعوا أن يجدوا إجابة شافية لهذين السؤالين.

٣- *ما الذى يمثل قيمة بالنسبة لى؟*

هذا السؤال الثالث يقع تحت عنوان الأكسيولوچيا أو (علم القيم) وهو يعنى دراسة القيمة، فلكل إنسان ما يسمى «بمجموعة القيم» وهى كل ما نستثمر فيه حياتنا ومجهوداتنا ووقتنا وأموالنا فهى الأشياء التى نؤمن أن لها قيمة ولذا نستثمر فيها. وعادة ما تكون هناك هوة بين القيم «الفكرية أو العقلية» والقيم «الشخصية أو القلبية». أما القيم الفكرية فتعبر عن نفسها من خلال ما نقوله وأما القيم القلبية فتعبر عن نفسها من خلال ما نفعله. فمن القلب تنبع توجهات الحياة المحورية وقناعاتها.

كيف نعرف ؟

والسؤال الأساسى الذى تنبع منه هذه الأسئلة الثلاثة هو السؤال

«كيف نعرف؟» «ما هى العدسة التى ننظر بها للعالم؟» فنحن نريد أن نحدد ما إذا كانت معلوماتنا حقيقية أم لا - وهذا هو سؤال الأبستمولوچيا (أى نظرية المعرفة) نحن كمسيحيين مؤمنين نؤمن أن الله قد أعلن لنا الحقيقة. والمسيح يؤكد أنه هو الحقيقة كما ذكرنا فى (يوحنا ١٤: ٦). إن الإجابة عن أسئلة الحياة وكيف نحياها ينبغى أن نبحث عنها فى إعلان الله من خلال كلمته المقدسة وابنه يسوع المسيح الكلمة المتجسد وهذا هو الزيج الإلهى.

اكتشف رؤيتك للعالم

وعندما نصل لفهم بعض الإجابات عن أسئلة الوجود فنحن عندئذ نبدأ فى اكتشاف رؤيتنا للعالم world view فلكل منا رؤيته للعالم وهذه الرؤيا ببساطة تحدد ما نؤمن به ولماذا نؤمن به. وإذا أردنا تعريفاً أكثر شمولاً فرؤية العالم تتضمن ما نعتقده عن أصل وطبيعة ومصير الإنسان والكون بالإضافة إلى دور الإنسان وهدفه فى ذلك الكون.

إن استجابة البشر لهذه الأسئلة الرئيسية يختلف ويتباين تبايناً رهيباً، حتى فى الفلسفة النظامية. فهى تعتمد كلها على العدسة التى ينظر الإنسان من خلالها إلى العالم وفيما يلى ملخص صغير لبعض الرؤى التى يعتنقها البشر والمرتبطة بالفلسفات المختلفة كما نشأت وظهرت خلال القرون المتعاقبة. والأمثلة على كل رؤية مذكورة فيما يلى توجد فى العالم اليوم بكثرة.

الديانات التوحيدية: أب وإله واحد لنا كلنا.

Monotheism

الديانات متعددة الآلهة: Polytheism
آلهة متعددة لها مناطق سلطان وقوة.

الإلحاد: Atheism
عدم وجود آلهة على الإطلاق فليست الآلهة سوى نتاج خيال الإنسان نفسه.

الإنسانية الملحدة: Humanestic atheism
إذا كان هناك إله فيجب أن يكون الإنسان هو هذا الإله. الإنسان هو الله.

العقلانية الملحدة: Rationalistic atheism
الإنسان يصنع إلهه بنفسه وذلك بأن يعظم ويعلى من منطقه الإنسانى ويجعل منه المرجع الوحيد والطريق الواحد لكل الحق.

الوجودية الملحدة: Atheistic existentialism
قفزة غير منطقية إلى ما وراء العقل للوصول إلى معنى الوجود الفردى وهى اعتراف غير مباشر من وجهة نظر عقلانية بأن الإنسان قد فشل فى أن يكون إلهاً.
إنها قفزة الإنسان نحو العالم غير المرئى وغير المحسوس لكى يكتشف هويته هو وعندما يقوم الإنسان بهذه القفزة يجد نفسه وجهاً لوجه أمام إله آخر يسمى نفسه «إله هذا العالم»(يوحنا ١٢:٣١) أو الشيطان

وهو شـديد المكر والدهاء حـتى أن
الكثيرين من رعاياه يخدمونه دون
أن يؤمنوا بوجوده أصلاً.

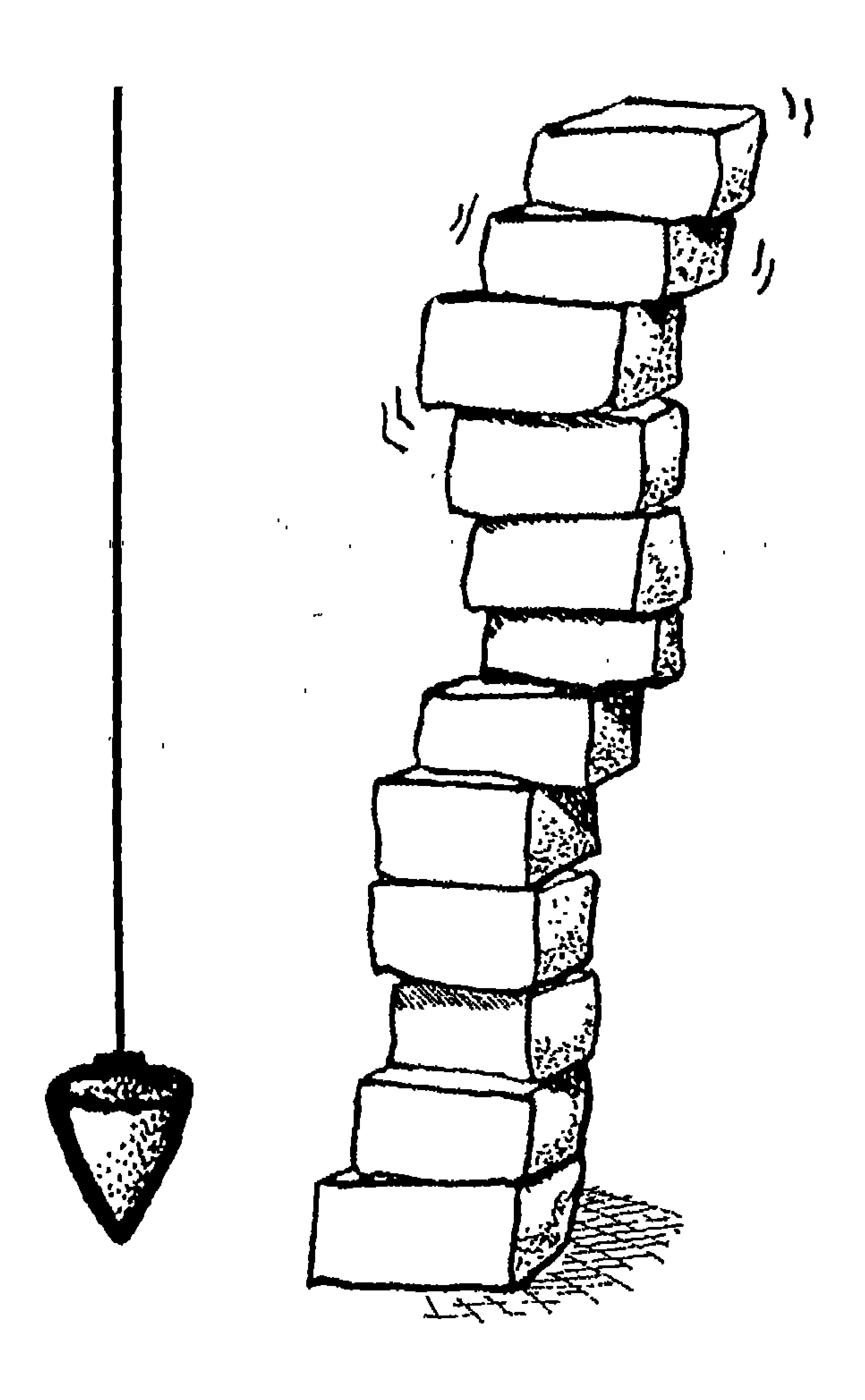
إن كل هذه الرؤى للعالم تصف بحث الإنسان عن إجابات بعيداً عن **الكائن** فيما عدا الرؤية الأولى وهى **الدين التوحيدى** أما بالنسبة **لتعدد الآلهة** فهى إضفاء الألوهية لكائنات مخلوقة تؤثر فى حياة الإنسان مثل الشمس أو الشجر أو الريح.

وفى **الإلحاد** يقول الإنسان «**للكائن**» «أنت غير كائن!» ولعله يجب أن يتبع ذلك بقوله: «الكائن الوحيد هو بالتأكيد أنا» أى الإنسان. وبمعزل عن الله نرى الإنسان يحاول أن يكون إلهاً فى رؤى **الإنسانية** الملحدة **والعقلانية** الملحدة.

أما فى الوجودية، فنرى الإنسان ينتقل بعيداً عن المنطق، ويعزل نفسه عن الأمور المحورية فى الحياة لينظر بطريقة أخرى محاولاً تحقيق وجوده الفردى وعندما يستنفذ كل موارده الداخلية لتحقيق الذات يصبح على بعد خطوة صغيرة من عالم الأرواح لكى يكتشف قوة تأثير أخرى. ودون أن يلاحظ يجد الإنسان نفسه فى دائرة نفوذ «رئيس هذا العالم» (٢كورنثوس ٤: ٤) وتنزلق قدماه إلى **السحر والشعوذة**.

إن هذه الدائرة موضوعة لكى تغوى الإنسان بعيداً عن يدىّ الله المحب وتدفعه نحو قيود العبودية للشيطان.

ففى داخل قلب كل إنسان فراغ لا يمكن أن يملأه تماماً إلا الله ويحاول الإنسان أن يملأه بأى طريقة وإلا فسوف يعيش فى فراغ روحى.



(شكل ٥)

قصد الله

من الدراسة المختصرة السابقة يتضح السبب الذى يجعل الكثيرين من الناس يجدون أنفسهم فى قلب أزمة هوية شديدة يصارعون أمواجها لكى يصلوا إلى شاطئ الإجابة عن أسئلة الحياة الأساسية. وبمجرد أن نبتعد قليلاً عن ذلك «**الكائن**» فإننا على الفور نفقد الاتصال بمصدر الحقيقة الذى من خلاله وحده نستطيع أن نعرف «**من نكون نحن**».

وهذا بالتحديد ما حدث لإسرائيل وقت النبى عاموس. فعندما اختاروا ألاّ يكون الله هو مصدر حياتهم، دعا الله عاموس ليدخل المشهد ليقودهم للعودة مرة أخرى إلى الحالة التى كان فيها **يهوه هو إلههم** وحقه المعلن هو الزيج الذى به تستقيم حياتهم.

لقد ضلت أمة إسرائيل بعيداً جداً عن الله حتى أنه وصفهم بحائط معوج مترنح يمكن أن ينهار فى أى وقت (عاموس ٧:٧-٨). (انظر شكل ٥)

إن هذه الصورة لحائط مهتز مترنح وأمامه زيج مدلى باستقامة رأسية متقنة يعكس بكل قوة الفرق بين رؤية للعالم يكون الله مركزها والرؤى الأخرى الخالية من وجوده وبعض من الأمثلة على هذا الفرق هى:

المطلق مقابل النسبى

الناموس مقابل الاستحسان الشخصى

النظام مقابل الفوضى

الحرية مقابل العبودية

وبدون أن يكون الله هو المرجع النهائى فإننا نضل الطريق إلى الحياة وكل ما يمكن أن تعنيه بالنسبة لنا.

الحفاظ على النظرة الصحيحة

منذ عدة سنوات مضت، بينما كنت أخدم فى بولندا، تعلمت درساً قيماً عن أهمية أن تكون لى نقطة مرجعية صحيحة وصادقة. فعبر الطريق من مكان إقامتى كانت هناك غابة وحيث أنى من عشاق الطبيعة الخلوية لم يمضى وقت طويل حتى أغرتنى هذه الغابة بأن أتمشى فيها وأنا أصلى وانطلقت فى ذلك الصباح الصيفى المنعش وتنهدت بارتياح عندما رأيت خيوط الشمس تنساب من خلال مظلة فروع الأشجار المتشابكة المورقة فى كل موسم.

وفى كل خطوة كنت أخطوها وأنا أصلى وأتواصل مع الله كنت مأخوذاً بجمال الطبيعة حولى وجمال صانعها العظيم. وبالطبع لم ألق بالاً لبعض الأمور الثانوية مثل المكان الذى أنا فيه أو إلى أين أنا ذاهب! وهكذا رحت أسير بطريقة عشوائية بين الشبكة المتقاطعة من الدروب الضيقة فى هذه الغابة وفجأة اكتشفت الحقيقة، لقد ضللت الطريق! وشعرت كم أنا أحمق ولكننى كنت لا أزال أثق بذاكرتى المشوشة وقررت أن أعود من حيث أتيت. وبدأت أختار بطريقة عشوائية الدروب التى بدت مألوفة لى ولكن ارتباكى تضاعف عندما وجدت نفسى أتوغل أكثر دون هدف فى غابة غير معروفة لى. وغمرنى إحساس رهيب باليأس والضياع.

وعندئذ وجدت نفسى فى وسط تلك الغابة لا أستطيع أن أحدد ولا نقطة مرجعية واحدة لتساعدنى على الخروج من هذه المتاهة فكل الأشجار وكل الطرق بدت متشابهة تماماً. ولم يكن هناك أى علامات أتّبعها. فكل الأفكار بالاتجاه هنا أو هناك كانت نسبية تماماً بالنظر إلى موقعى الذى لا أعرف أين هو بالضبط فقد كنت تائهاً تماماً!.

ولاحظت وأنا فى وسط هذه الحالة المرعبة أن الأمر خرج من يدى تماماً ووصلت لنهاية قدراتى. نظرت لأعلى إلى الرقع الصغيرة من السماء التى بدت من بين الفروع المتشابكة لتلك الأشجار العملاقة وجاءتنى هذه الفكرة. «هو يستطيع أن يرى ما لا أراه ويعرف أين أنا بالضبط ... لماذا لا أسأله ؟» لقد تركت أفضل مصدر للمعلومات وجعلته آخر قائمة المصادر!

وتبعت تشجيع الله لى على المسير وبدأت السير من طريق لآخر وهكذا أصبح الأمر تسلية ممتعة مع أبى السماوى، وهكذا وجدت نفسى وقد قادنى الله إلى حافة الغابة ومن هناك استطعت أن أجد طريقى لمكانى وكل ما استطعت أن أفعله وأنا أسير هو أن أحمد الله من أجل أمانته معى.

لقد أعطتنى هذه الخبرة الصعبة بصيرة قوية لا تنسى عن العلاقة بين حالتى عندما كنت ضالاً فى الغابة وحالة جموع الناس الذين لا يتجهون إلى الله يسألونه أين الطريق إلا فى آخر حياتهم أو من يموتون فى «أدغال الضياع».

جدران قلبى

بينما يشبهنا الله بجدار إلا أن الجدار ليس هو التحدى بل إن التحدى هو تغيير القلب الذى قد بنى حوله هذا الجدار! إن الله يدلى بزيجه مقابل قلب الإنسان وقلب الأمة. وفى سفر الأمثال (أمثال ٤ :٢٣) يحثنا الله: «فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة». إن ميلنا هو أن نحافظ على أفكارنا وعقولنا، كما لو كانت الحياة

تدور حول ما نتعلمه بأذهاننا. ولكن سفر الأمثال يُرينا أن الحقيقة هى العكس تماماً.

ما هو القلب ؟

إن الكتاب المقدس يستخدم كلمة قلب بطرق مختلفة ففى اللغة العبرية توجد كلمتان تستخدمان للإشارة للقلب «لب» و«لباب» وبمراجعة سياق استخدام هذه الكلمات فى الكتاب المقدس نجد أنه فى ٢٠٤ مرة ترجمت هذه الكلمة «ذهن أو عقل» وفى ١٩٥ موضع آخر ترجمت هذه الكلمات مع التركيز على «الإرادة» بينما فى ١٦٦ مرة استخدمت فى إطار الإشارة للمشاعر ولكن أكثر استخدامات هذا اللفظ على الإطلاق ٢٥٧ مرة هو ما يُقصد به «الإنسان الباطن ككل» ولعل كلمة «لب» العبرية قريبة من كلمة «لُب» العربية وهى تعنى الجوهر الداخلى أو «الشخصية»(×).

أما الكلمة اليونانية المترجمة «قلب» فهى كلمة «Kardia» وهى لاتزال تستخدم فى مجال الطب لتشير للقلب وأمراضه cardiac diseases ومن خلال دراستنا المختصرة هذه نجد أن «الشخصية» هى ما يقابل الإنسان الباطن كله، أى النفس والروح معاً.

إن الجوانب القابلة للتغيير فى الإنسان الباطن هى ما يختبره الله بالزيج الإلهى ويجعل كل منا مسئولاً عمّا فى باطن نفسه وما يستثمر فيه حياته.

(×) New Bible dictionary, J.D.Douglas, Editor, (Grand Rapids: Eerdmans, 1962) p.1375.

خاتمة

إن علماء الاجتماع قد تكلموا كثيراً عن المقابلة بين (الطبيعة والتربية) أو كما يقال (الطبع والتطبع).

فجانب الطبيعة من هذه المقابلة يقول أن الناس يخضعون لما تحدده چيناتهم الوراثية ولا يمكنهم التغيير، أما جانب التربية فيؤكد أننا قد تعلمنا ما نفعله وأن ما تعلمناه هذا يمكنه أن يتغير ويُطوَّر. ومعظم الأفراد فى الوقت الحاضر يعلمون ليس فقط أننا يمكننا أن نتغير بل إننا نحتاج بشدة للتغيير حتى يمكننا أن **نعيش**.

إن تغيير الذهن قد لا يعنى بالضرورة تغيير فى الحياة ولكن تغيير الحياة يعنى بالتأكيد تغيير القلب! وكما يقوم ملاحظ البناء باستخدام الزِّيج ليحدد ما إذا كان البناء آمناً للسكن فإن الله يستخدم الزيج الإلهى ليقيِّم بناء حياتنا. وبقدر ما تنحرف حياتنا عن حقه المستقيم بقدر ما نختبر عدم الأمان وعدم الاستقرار والضعف فى مواجهة ضغوط الحياة ومتاعبها. ولكن كلما أعدنا حياتنا إلى الاستقامة مع الزيج الإلهى، نبدأ الرحلة المثيرة الممتعة نحو معرفة هويتنا الحقيقية!

الفصل الثالث

فى مواجهة العواصف

«إنه منافق ... كثير الكذب» هكذا قالت «آن» منفجرة.

كنت أستمع بهدوء بينما كانت تلك الجدة الوقورة ذات الشعر الفضى والتى مضى على زواجها ثلاثون عاماً تحاول أن تطلق العنان لمشاعرها المكبوتة فطوال العشرين سنة الماضية كان زوجها يخونها. لقد تاب زوجها بالفعل وقرر أن يعيد تصحيح حياته ولكن على مدار السنين نمت الشكوك والمخاوف فى قلب تلك السيدة كما ينمو السرطان البطىء والآن أصبحت متأكدة أن زوجها قد عاد مرة أخرى للخيانة الزوجية وإلا لماذا يحتضن كل امرأة تقابله.

وراحت تقول: «إنه يسلم على السيدات ويطيل السلام أكثر من اللازم. بل ووجدته مرات سارحاً فى الخيال.»

وقالت أيضاً كيف إنها عندما واجهته، انفعل وغضب وقال إن الأمر كله لا يعدو أن يكون فى خيالها وأوهامها ولكنها كانت تعرف – تعرف فقط – أن لديه علاقة غرامية وانه يكذب عليها.

وصليت مع هذه السيدة ووعدتها بأن أبحث أزمتها الزوجية هذه بتدقيق أكثر وبعدما تحدثت مع زوجها واثنتين من السيدات اللائى توجهت إليهن تهمة إقامة علاقة معه، بدأت الحقيقة تتضح. فقد كانت

«آن» تصارع عدم قدرتها على الثقة بزوجها منذ أن عرفت أنه يخونها ولأن أولادهما قد كبروا وتركوا البيت كان لديها متسع من الوقت لتكرسه لزوجها وكلما كانت تفكر وتسترجع الأحداث كان الشك يصيبها فترتاب فى أى اتصال لزوجها مع الجنس الآخر.

واتضح وأنا أتحدث إليها كيف أنها قد تعرضت لخداع قاسى وأن مخاوفها من الخيانة قد خيمت كغمامة كثيفة تمنعها من الرؤية السليمة للحقيقة.

إن هذه الدرجة من خداع النفس كانت تحرمها وتحرم علاقتها الزوجية من القوة الكامنة التى يمكن أن تتحقق من خلال تعرفها على هويتهما الحقيقية. إن «حديثها المستمر مع نفسها» وتلك الكلمات التى كانت تفكر فيها طوال الوقت كانت بمثابة نبى كذّاب يقودها إلى أعماق اليأس وخداع النفس. وعندما اكتشفنا ذلك وأعدنا حياتها للتوافق مرة أخرى مع الزيج الإلهى تحررت هذه السيدة تماماً.

وبالمثل فإننا خلال بحثنا عن القيمة، يجب أن نكون حذرين من أى زيج مزيف أو طرق قد نسلكها.

إنه من الغريب أننا ننخدع بسهولة وننقاد لطرق فرعية تشتتنا عن الطريق الرئيسى فما يبدو منطقاً سائداً فى كثير من الأحوال قد يكون فى حقيقة الأمر خداعاً سائداً حيث أن منطقنا البشرى كثيراً ما يضللنا.

الأنبياء الكذبة

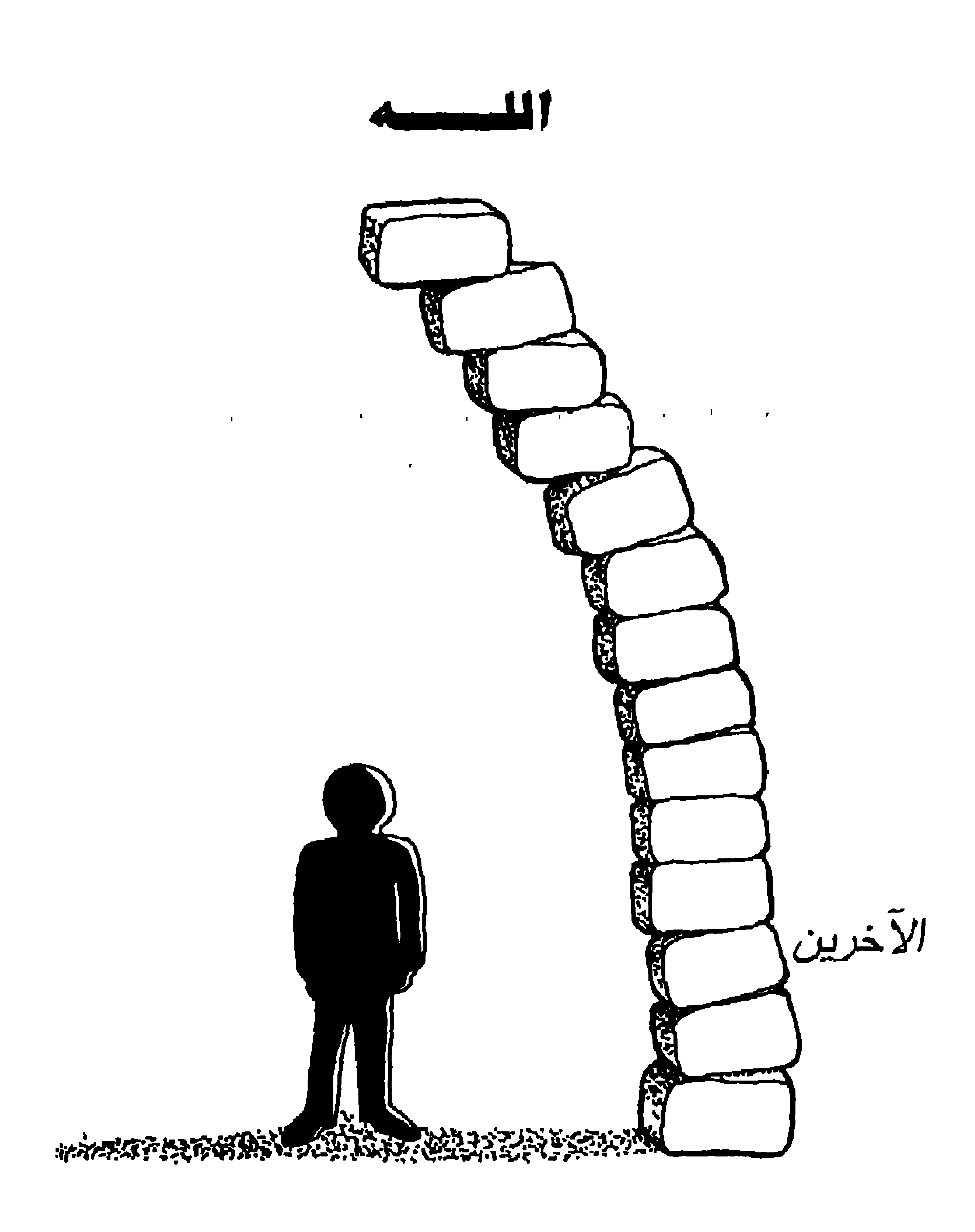
إن الأنبياء الكذبة سواء كانوا أشخاصاً خارجيين أو أفكاراً داخلية يشكلون دائماً خطراً على شعب الله وفى سفر حزقيال

(حزقيال ١٣:١٥-١٦) يُظهر الله غضبه على هؤلاء الذين يعلنون بفخر عن رسائل ونبوات منسوبة إلى الله ولكنها فى الواقع ليست منه. ونتيجة لهذه الأكاذيب بنى بنو إسرائيل حياتهم من جدران ضعيفة متقلقلة بيضاء من الخارج ولكن السوس ينخر فيها من الداخل. وبينما يمتدح الأنبياء الكذبة الشعب على هذا البناء الذى يبدو جميلاً إلا أن الله لايزال ينبه الناس لخطر العواصف الوشيكة التى سوف تزيل الدهان الأبيض الخارجى وتقوض جدرانهم الهشة.

وفى هذه الصورة من سفر حزقيال نجد شرحاً أكثر تفصيلاً للمبدأ الوارد فى عاموس (عاموس ٧:٧-٨) بشأن الجدران.

وفى شكل ٦ نرى شخصاً واقفاً وراء حائط هش من الخوف بناه ليحمى به نفسه. ومن الواضح أن هذا الشخص قد اختبر جرحاً داخلياً ولا يريد أن يصير معرضاً للجرح مرة أخرى. ولكنه إذ يحيا خلف هذا السور يجد نفسه غير قادر على الاستمتاع بالصداقات العميقة الدافئة وغالباً ما يشعر بالوحدة بل قد يختبر أيضاً فترات من الاكتئاب الشديد هذا بالإضافة إلى مشاعر الاستياء والمرارة الدفينة بل وحتى الكراهية تجاه الذين أساءوا إليه كيف تعلم هذا الشخص أن يبنى مثل هذا الجدار المائل؟ من أراه الاحتياج له وكيف يبنيه بأن يضع طوبة فوق الأخرى من الصفات السلبية؟

ومراراً وتكراراً رأيت أن الكثير من الأنبياء الكذبة الذين تكلموا باندفاع وعدم حكمةبكلمات لم تخرج أبداً من فم الله وهكذا يمارسون التأثير فى سامعيهم وحثهم إما بخبث أو عن دون قصد أن يبنوا حولهم أسواراً من الخوف والشك وقد يكون ذلك حتى باسم الله. من هم هؤلاء الأنبياء الكذبة وما هى الطرق التى يستخدمونها ليخدعونا؟



(شكل ٦)

الوالـدان

إن أول نبوة كـاذبة فى حيـاتنا قد تأتـى من والدينا. وحتـى أفضل الوالدين قـد يسيـئـون – للأسف – فـهم الله، فـلا يتكلمـون بـحـقـه ولا يسيرون فى طرقه. وبسبب الأزمة الحالية الناشئة عن الفشل فى تربية الأطفـال. فى إطار من تعاليم الكتاب المقدس فإن الحـاجة إلى إعـادة النظر فى التنشئة الأبوية أصبح أمراً ضرورياً جداً. فعلى سبيل المثال، شبّت چولى وهى تسمع أمها تقول لها مراراً وتكراراً: «أنت طفلة شريرة وسيئة!» «إن الله يكرهك!» لذا فلا عـجب إن كبرت چولـى وهى تكره نفسها وتعانى الاكتئاب العميق لسنوات فقد صدقت هذه الكذبة الفظيعة عن الله وعن نفسها.

وفى حـالة أخـرى، حـاول أحـد الآباء حث ابنه على المزيد من الاهتمام بدروسه فكان يهاجمه باستمرار قائلاً له عبارات مثل «انت غبى» و«انت حـالة مـيئـوس منهـا!» وعندمـا رأيت هذا الولد كـان فى الثلاثينات من عمره وكان يصف باكـياً كيف عاش بالفعل الصفات التى كـان يصفه بها أبوه فترك المدرسة الثانوية وتعاطى المخدرات والكحوليات لكى يهدئ من الأصوات التى تصرخ داخله مرددة ما قاله أبوه من إدانة واتهام وتحقير. إن الكلمات السلبية أدت إلى فقد ثقته بنفسه على مدى السنين. بينما كان يمكنه أن يتخرج من الجامعة إذا كانت نسبة ذكائه فوق المتوسط.

عندمـا يتـحـدث الوالدين عن تنبـؤاتهم بشـأن قـدرات ومـهـارات أطفالهم وكذا شكلهم ومستقبلهم فإن الأطفال دائماً ما يقتنعون بما يقوله والديهم حرفياً فالأب والأم هما أهم الأشخاص فى حياتهم. إن الكثيرين من الآباء والأمـهات لا يلاحظون أنهم بمثابة الآلهة بالنسبة لأطفالهم،

وأن أطفالهم يأخذون كلماتهم باعتبار أنها الحق النهائى، وهكذا فإن العبارات القاسية والخاطئة هذه يمكن أن تعوق النمو النفسى للطفل وتحرمه من الحياة الطبيعية.

المدرسون

إن بوسع المدرسين إذا أرادوا أن يصيبوا نفوس الأطفال بجروح عميقة من خلال الاتهامات الكاذبة أو التعامل معهم بظلم وإجحاف وفى إحدى المرات، عندما كنت أحاضر أمام جمع كبير من التلاميذ فى إحدى المدارس الثانوية عن موضوع الأخلاقيات، عرفت أن بعض المدرسين يتهاونون مع الطلبة أو يدفعونهم أحياناً لتصرفات غير سليمة كالغش والتزوير نظير بعض المال.

الزملاء

إننا نعيش فى عصر غزا فيه التحرر معظم حصون الالتزام والتحفظ فى محاولة للوصول إلى الحرية. ولا يوجد مجال تظهر فيه هذه الحقيقة بقدر ما تظهر فى مجال الجنس. إن المراهقين بصفة خاصة يقعون تحت ضغط رهيب من أقرانهم ليمارسوا الجنس قبل الزواج وليصدقوا الكذبة بأن الممارسة الجنسية هى حق مشروع لأى شاب وفتاة غير متزوجين وطريقة طبيعية جداً. وهكذا أصبحت هناك عبارات جديدة مثل «الجنس الترفيهى»، عبارات معروفة بل ومقبولة اجتماعياً فى المجتمع الغربى. وفى تقرير للأكاديمية القومية للعلوم[×]

(×) الأكاديمية القومية للعلوم National Academy of Sciences ديسمبر ١٠/١٩٨٦.

يظهر تأثير هذا النشاط الإقناعى المدمر بين الأقران. ففى الولايات المتحدة، ٦٤٪ من المراهقين الذكور و٤٤٪ من الإناث يصبحون نشطين جنسياً بحلول سن الثامنة عشر.

ولكن هؤلاء الداعين لممارسة الجنس لا يقدمون رسالة الممارسات اللا أخلاقية كاملة فهم مثلاً لا يناقشون نتائج أفعالهم من آلام جسدية ونفسية بسبب عدوى هربز Herpes ولا إمكانية العقم وضعف الخصوبة بسبب عدوى كلاميديا Chlamydia ناهيك عن أخطر الجميع وهو فيروس الإيدز القاتل.

ويشير التقرير التالى عن الحالات الجديدة من المصابين بهذه الأمراض التناسلية فى الولايات المتحدة(×):

	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨
الهربز Herpes		٢٥٠-٥٠٠ ألف	٢٥٠-٥٠٠ ألف
كلاميديا Chlamydia	٤,٥ مليون	٤,٥ مليون	٤,٥ مليون
الإيدز AIDS	١٣,٠٩٧	٢٠,٦٢٥	٢٥,٠٢١
			(حتى ١٠ أكتوبر ١٩٨٨)

إن الذين يسيئون استخدام الجنس من المراهقين إما أنهم يجهلون أو يتجاهلون هذه الحقائق! ويقولون: «كل ما تجده ممتعاً .. افعله» ويشيعون رسالتهم وشعارهم «لا تكن متزمتاً» وبهذا النوع من الضغط النفسى يأسرون غالبية المراهقين.

إننا بحاجة ماسة لأنبياء صادقين من المراهقين ينادون بالحياة الحقيقية الأفضل.

(×) Center For Disease Control, Atlanta, Georgia تقديرات مركز مكافحة الأمراض بأتلانتا چورچيا عن عدوى الهيربيز والكالاميديا وعن مدى انتشار وباء الإيدز حتى ١٥/١٠/١٩٨٨.

وسائل الإعلام

ربما تعتبر وسائل الإعلام التى لا تخضع للرقابة فى بعض البلاد من أشد الأنبياء الكذبة شراً وفساداً وخبثاً فهى تضع لنفسها مذبحاً فى كل بيت تقريباً. تجثو أمامه كل الأسرة للعبادة اليومية وتستمع له وتشاهده وهو يعلى من شأن نمط من الحياة تسوده الشهوة وينسج خيوط العنف والجريمة وهو يفعل كل هذا بخبث ولكن بشدة. وتشير هذه الإحصائية التى قام بها د. ويليام دييتز William Diets(×) إلى أن تلميذ الإبتدائى الأمريكى العادى يشاهد حوالى ١٢ ألف حركة عنيفة فى السنة من خلال التليفزيون ويقضى من ١١ إلى ٢٦ ساعة فى الأسبوع أمام هذا الجهاز.

وتشير إحصائيات أخرى إلى أن البرامج التى تذاع فى وقت ذروة المشاهدة تحتوى على متوسط ١٣ مشهد عنف فى الساعة وربما أكثر من ذلك فى أفلام الكارتون وللأسف فإن أخبار الصفحات الأولى من الجرائد عادة ما تكون تمثيلاً حيًا للعنف الذى يظهر على الشاشة:

يظهر فى إحدى شوارع مدينة مزدحمة شاب حانق على الحياة، يصارع جروح شديدة من الرفض والإساءة، يرتدى زى رعاة البقر الكامل ذو القبعة الكبيرة والحذاء الجلدى ذو الرقبة والمناخس فى مؤخرته ويتدلى من حقويه بأناقة مسدسان سريعا الطلقات ويخطو فى مواجهة المرور وبحركة سريعة مبهرة يلتقط المسدسان ويبدأ فى إطلاق النار على السيارات دون تمييز.

(×) د. ويليام دييتز الرئيسى للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال دراسة ميدانية عن الأطفال والتليفزيون.

ويسود الهرج إذ يهرع المارة فى كل اتجاه باحثين عن ساتر فيجرون كالأرانب المذعورة بين السيارات. ليبتعدوا عن مدى إطلاق النار. وارتسمت على شفاه الشاب ابتسامة رضا عن قدرته على إطلاق سيل من الرصاص من مسدسيه المزمجرين ثم قرّب فوهتى المسدسين من فمه ونفخ فى كل منهما نفخة قصيرة واثقة ثم أودعهما غمديهما فى فخر! لم يكن هذا مشهداً سينمائياً بل حدث هذا بالفعل فى إحدى المدن الأمريكية الكبيرة منذ عدة سنوات وبالطبع سرعان ما أحاطت قوات البوليس براعى البقر هذا وأقنعوه أن يلقى بأسلحته ثم قبضوا عليه واحتجزوه وبعد ذلك حكم عليه بالسجن مدى الحياة إن العاملين فى وسائل الإعلام لا يعلمون كيف يؤثرون فى المجتمع بقصصهم المبتذلة ويحولون خيالاتهم إلى مآسى واقعية.

ورسائل أخرى كثيرة تنطلق من أقلام هؤلاء الأنبياء الكذبة تدعو إلى تأليه الإنسان وغيرها من آلاف الأكاذيب الأخرى لم ينطق بها الله.

والكثير من أندية الفيديو تتحايل الآن على قوانين الرقابة ممهدة الطريق لكل من يريد أن يسلم إرادته بالكامل لأنبياء الإعلام الكذبة ليبرمجوا له ذهنه وحياته.

الكنيسة وقادتها

والكتاب المقدس يسجل أمثلة عديدة من الأنبياء الكذبة الذين يضللون الشعب فحزقيال (حزقيال ١٣ :٣، ٦) مثلاً يتحدث عن الأنبياء الحمقى الذين لا يسمعون إلا نفوسهم ويقولون الكذب والضلال. قائلين:

«وحى الرب والرب لم يتكلم إليهم ولم يرسلهم» . لقد أصبحت بعض الكنائس متناقضة فى إعلانها عن الحق.

اجتمع بعض «المسيحيين» ذات مرة على قمة جبل منتظرين المسيح ليعود ويختطفهم فى موعد محدد يعرفونه وبالطبع لم ينالوا سوى الإحباط وخيبة الأمل.

وغيرهم من «المسيحيين» تبعوا قادتهم إلى نوع من الانتحار الاجتماعى، بأن انغلقوا على أنفسهم تماماً فى الضلال وآخرين آمنوا بالشفاء بالإيمان ولكنهم لقوا حتفهم بسبب أمراض كان يمكن للطب الحديث أن يعالجها بسهولة. والآن فى السنوات الأخيرة ظهر فى الغرب من ينادون بأعلى صوتهم عبر الأثير منددين بالخطية وكل أنواع النجاسة وبعد ذلك ظهر كيف انهم كانوا غارقين فيها حتى هاماتهم.

إن الكنيسة على اتساعها قد قدمت للعالم مجموعة متناقضة من الرسائل حتى أننا لا نعجب عندما يرفض الناس أن يسمعوا الأنبياء الحقيقيين الذين يعلنون حق الله.

القلب

فى سفر إرميا (١٧ :٩-١٠) نتعرف على أحد أهم مصادر النبوات الكاذبة - عادة ما لا ننتبه إليه والحقيقة هى أن الكثيرين قد ضلوا بسبب صوته «الهادئ الخفيف» وبالرغم من أن **القلب** عادة ما يوثق به ويعتمد عليه إلا أن الكتاب المقدس يخبرنا كيف أنه أخدع من كل شيء. إن القلب يمكن أن يكون خائناً ومضللاً دون أن ندرى بضلاله حتى أن البعض قد يقول: «إذا لم تشعر بالراحة تجاه الأمر فى قلبك، فلا تصدقه»

وهذا الفهم الخاطئ يعطى للقلب مكاناً خطيراً من السلطان وهكذا ينخدع كثيرون.

وكل هؤلاء الأنبياء الكذبة وغيرهم قد يقودونا لبناء جدران يوهمونا بأنها تحمينا من أخطار الحياة وتهديداتها ويقولون إن «بلا جدران. لا أمان ولا حياة على الإطلاق» ولكننا نحتاج أن نفرق بين الأصوات المضلة لهؤلاء الأنبياء الكذبة وأصوات أنبياء الله الحقيقيين وإلا فسوف تنهدم جدران أمام رياح الأزمات.

العواصف

وتستطرد هذه الفقرة من سفر حزقيال (١٣:٩-١٦) لتصف عواصف الرياح والأمطار التى تهب على هذا الجدار لتهدمه. ودعونا ننظر لبعض من هذه العواصف التى قد تهب على الجدران التى فى حياتنا.

المرض	الموت
الطلاق	المشاكل الاقتصادية
المخدرات	الخمور
الانحراف	مشاكل العمل

وعندما نرى الصورة التى ترسمها هذه الفقرة متكاملة فإننا نفهم الرسالة المتضمنة. ومثل الكثيرين منّا فإن الشخص الذى فى شكل ٦ قد بنى دفاعاته الخاصة والتى تتمثل فى هذا الجدار وبالطبع فإنه بسبب

عدم رؤيته لم يستطع أن يرى ضعفه وعدم قدرته على الدخول فى علاقات محبة عميقة.

فماذا لو سمع هذا الشخص بالإنجيل وصار مؤمناً؟ هل هذا يعنى أن كل شيء يتغير ويختفى خلف هذا الجدار المائل؟ ليس بالضرورة ولكن هذا يعنى أن الضوء يسطع فى حياته فيستطيع لأول مرة أن يرى نفسه خلف هذا الجدار فيكون رد الفعل الطبيعى الأول هو أن يصرخ لله فى طلب المعونة. ولكن فيما هو مستمر فى الصلاة، تتكون عاصفة وكلما يصلى كلما تشتد العاصفة. وفجأة تسقط طوبة من الجدار بجانبه ومع الوقت يتساقط المزيد من الطوب حتى يسقط الحائط تماماً وعندما يحدث هذا يكون رد فعله المباشر هو الحذر ثم الخوف ثم الانهيار الكامل.

ولكن عندما ينقشع التراب، نرى واحداً من شيئين، إما أن نرى وجهاً غاضباً وقبضة متشنجة يلوح بها فى الهواء حانقاً على الله متهماً إياه بالظلم وعدم الأمانة وعدم المحبة وإما أن نرى رُكَباً راكعة ووجنات تلمع بالدموع النابعة من قلب منكسر وخاضع ذلك القلب الذى لا يرذله الله أبداً. والشخص الأول ذو القبضة الغاضبة عادة ما ينهض ليبنى جداراً أسمك وأعرض وربما يدعمه بالأسمنت المُسَلَّح. أما الآخر صاحب القلب الوديع فهو يمضى تاركاً وراءه الطوب المتناثر ليبدأ حياة جديدة مخلفاً حياته القديمة المرتبطة بهذا الجدار المائل.

إن العواصف دائماً ما تكون هامة بالنسبة لمن يطلبون الحياة.

ماذا انكشف أمامك من الحق والحياة من خلال العاصفة الأخيرة التى تعرضت لها؟ أم تحتاج للدخول فى عاصفة أخرى حتى تصلك الرسالة وتشعر أنك تحتاج للتغيير؟

المخادع الأكبر

ليس من بين كل الأنبياء الكذبة من هو أكثر خداعاً وتضليلاً من الشيطان نفسه وفى الكتاب المقدس كثيراً ما يوصف بأنه الحية، ففى عاموس (١٩:٥) توضيح لاستراتيچية الشيطان فى جدران شخصياتنا حتى يسلبنا ميراث الحياة. وإذ ندع خيالنا يستوعب ويتخيل قصة عاموس (١٩:٥) قد نستطيع أن نرى التالى:

فى صبيحة أحد الأيام الشتوية، قبيل الفجر عندما كانت الحقول غارقة فى غيم الندى البارد، كان أحد الفلاحين يسير بخطى حثيثة فى طريق ضيق بجانب الشجيرات الصغيرة الوليدة وهو يحاول مغالبة البرودة الشديدة بالمضاعفة من سرعته وقوة خطواته بينما كان عقله يستشرف يوماً طويلاً من العمل لايزال بكامله أمامه. وعندما اجتاز إلى حقل من أشجار الأرز فجأة داهمه شعور بأنه ليس بمفرده، فتوقف وجال ببصره محدقاً فى كل ما حوله وهو يستنفر كل حواسه ويحاول جاهداً أن يلتقط أى صوت قد يكشف له عمّا يكمن له فى الظلال فوقف صامتاً كتمثال. وبعد برهة وإذ لم يسمع أى شيء تنهد بارتياح وتابع المسير وفجأة ظهر من بين الأشجار أسداً نحيلاً كث الشعر متوجهاً نحوه. وفى الحال استدار الفلاح حول نفسه بينما كانت غدد الأدرناليين تضخ كل ما تستطيع ضخه فى دمائه وعاد يسابق الريح من حيث أتى وبعد فترة من الجرى الذى كان أشبه بالطيران أدرك الفلاح أنه قد سبق الأسد، توقف ليلتقط أنفاسه ويتمالك شتات نفسه مما أصابه من ذعر شديد.

وبالطبع لم يجرؤ صاحبنا أن يسلك نفس الطريق مرة أخرى بل اختار طريقاً أخرى ليذهب إلى حقله وكان فى هذه المرة مجرى نهر



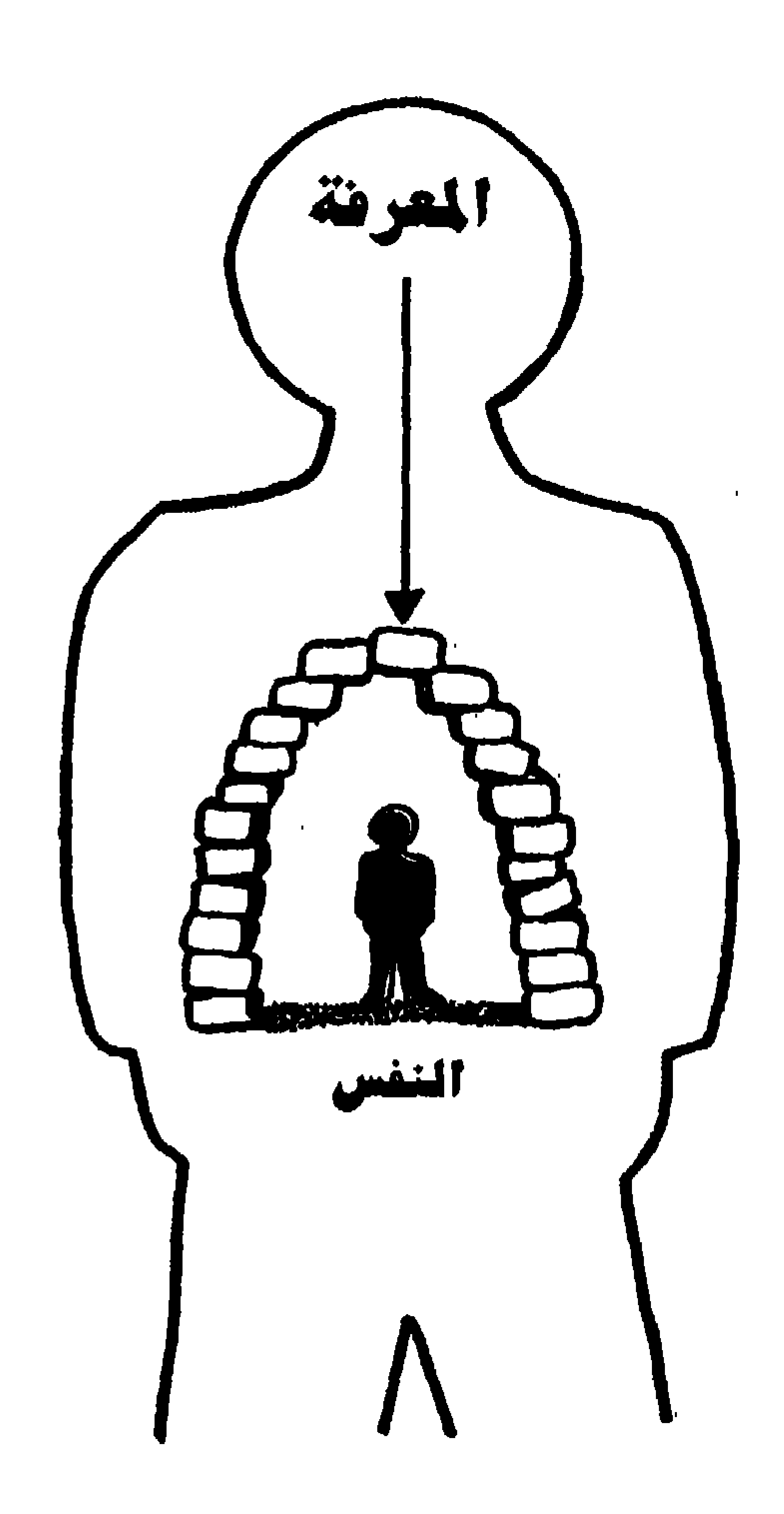
(شكل ٧)

قديم قد جف. وكانت الشمس عندئذ قد صعدت إلى قبة السماء لتهرب من أمامها كل ظلال الفجر فأسرع الفلاح فى طريقه بين الصخور الكبيرة التى أكسبتها المياه استدارة أنيقة. وعندما انعطف فى إحدى منعطفات تلك الطريق الملتوية وجد نفسه وجهاً لوجه أمام دب هائل يعترض الطريق ويزأر مهدداً ناشراً مخالبه الأمامية. كانت الصدمة مهولة والفزع شديد إلا أن ذلك الفلاح استطاع أن يحرك قدميه اللتان قد تسمرتا بسبب هول المفاجأة وهرع مسرعاً عائداً وقد تلاشت من ذهنه كل أفكار العمل على الأقل لهذا اليوم! وعندما عاد للمنزل منهكاً تماماً. استند إلى أحد جدران منزله لكى يستعيد توازنه. وبمجرد أن استرخى من توتره، أطلت حية سامة برأسها من بين شقوق الجدار وبهجمة واحدة غرست أنيابها فى ذراعه!

لقد استطاع الفلاح أن يهرب من الأعداء الخارجيين كالأسد والدب ولكنه وقع فريسة للعدو الذى تسلل خلسة إلى بيته.

فى هذا المثال نرى أن الأسد والدب يمثلان أعداءنا الخارجيين بينما تمثل الحيّة التى تسللت من الجدار العدو الداخلى الذى يهاجمنا من داخل شخصياتنا.

وكما قلت مسبقاً إن الجدار يمثل الشخصية وهنا لدى العدو الفرصة أن يدخل ويفسد العلاقات، مثل علاقة الزواج والأسرة والعلاقات فى الكنيسة والمجتمع. إن فهمنا لمن نحن، وكيف نقوم بوظائفنا، يساعد شخصياتنا حتى تخدمنا بدلاً من أن تعيقنا شخصياتنا غير المستقرة وتستعبدنا فبعض الشخصيات قد تكون بمثابة الطوب والحجارة المتراصة التى تسجن الإنسان خلف جدران قلبه كما يظهر فى شكل ٨.



(شكل ٨)

وبالنسبة للكثير من المؤمنين يوجد الكثير من الحق المأساوى الذى تعبر عنه تلك العبارة المشهورة فى إحدى الكتب الفكاهية والتى تقول «لقد وجدنا العدو، إنه أنفسنا!»

فكلما أصبحت ردود أفعالنا السلبية معتادة تضاف طوبة جديدة للجذار بل من الممكن أيضاً أن نصير مجروحين نفسياً جداً لدرجة أننا نعزل جزءاً من حياتنا ببناء أسوار ومتاريس مصممين أن أحداً لن تسنح له الفرصة أن يقترب ويؤذينا مرة أخرى. إن هذا السور قد يقدم بعض الحماية ولكنه فى نفس الوقت يَشُلّ جزءاً من الشخصية بحيث تصبح عاجزة عن الحب والثقة والعلاقات المشبعة. وإذا كان الجزء المعزول من الشخصية كبيراً تصبح الأعراض أشد ويصبح من الصعوبة أن نعرف من نحن ولماذا نتجاوب بهذه الطريقة بل إن هذا أيضاً قد يفتح المجال لأن نقع فريسة للخداع المتكرر الذى يأسرنا ويحرمنا من حرية أن نصير أنفسنا وأن نصل إلى ما يجب أن نصل إليه من نضج.

إن الكتاب المقدس يقول إننا إذا عرفنا الحق فالحق يحررنا (يو ٨:٣٢) فكلما دخل حق أكثر إلى حياتنا أصبحنا أكثر حرية أن نحيا بحسب قصد الله لنا.

خاتمة

فى هذا الفصل رأينا كيف أن الجدران التى نبنيها لنحمى بها أنفسنا قد تكون هى نفسها الجدران التى نسجن أنفسنا داخلها ونفقد بها جوهر حياتنا الحقيقية. هنا يكون السؤال: **إذا كنا لن نبنى أسواراً**

ونعتمد عليها لتعطينا الأمان، كيف إذن نحمى أنفسنا من العواصف التى قد تعصف ليس فقط بجدراننا وأسوارنا بل بحياتنا كلها ؟!

إن الإجابة على هذا السؤال الهام سوف تتكشف لنا فى الفصول القادمة.

الفصل الرابع

الحصرم

«الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرِست»

فى الفصل السابق عندما تكلمنا عن الخداع والعواصف، رأينا كيف أن الأنبياء الكذبة ينادون بأننا نحتاج لأن نبنى جدراناً تحمينا من عواصف الحياة. ومن بين صفوف الأنبياء الكذبة ذكرنا الآباء والأمهات وتأثيرهم الكبير على توجُّهات أبناءهم وبناتهم.

والمثل السابق (حز ١٨ :٢) يتناول نفس العملية من منظور آخر. إن الحصرم يشير إلى خطايا الآباء وتأثير الحموضة الشديدة للحصرم يشير إلى تأثيرات الخطية التى تمتد من جيل لآخر (عدد ١٤ :١٨) ومن خلال النبى حزقيال، يوصى الله إسرائيل أن تتوقف عن استخدام هذا المثل، لأنه قد أصبح عذراً لعدم تحمل المسئولية الشخصية وبكلمات أخرى لام بنو إسرائيل آباءهم وأجدادهم وألقوا عليهم ذنب خطيتهم هم ولكن الله يحمّل كل إنسان وزر ذنوبه ولكى نفهم أكثر ما يقوله الله، سوف نلقى نظرة على بعض الأبحاث العسكرية الأمريكية(×) التى أُجريت على ٢٠٠ طفل من سن الثالثة إلى الثامنة عشر. واستطاع فريق الأخصائيين النفسيين تقييم ما يمكن أن نطلق عليه ظاهرة «غياب الأب» عند الأطفال الذين تغيب آباؤهم بسبب وجودهم فى

(×) (أ) «الأسرة المكسورة» Armand M. Nicholi 11 M.D
Christianity Today May 25,1979 p10.
ب) Archives of General Psychiatry.

الجيش ووجدوا أن رد الفعل المبكر عند هؤلاء الأطفال لرحيل الأب يماثل ردود أفعال الأطفال عند وفاة آبائهم واستطاع الفريق حصر بعض الأعراض التى وردت فى الدراسة كالتالى:

- السخط والغضب
- الإنكار وأحلام اليقظة
- محاولات لم الشمل
- شعور بالذنب
- خوف
- تغيُّر النبض الحيوى
- نكوص (عودة إلى سلوك مقبول بالنسبة لسن أصغر)

وعندما تأملت هذه المعلومات، وجدت نفسى أربط بين ردود الأفعال هذه وبعض من الأعراض المرضية الهامة فى مجتمعنا فإذا افترضنا أن ردود الأفعال هذه لم تتم معالجتها فماذا لو استمر الأطفال يعانون منها حتى البلوغ؟

مثلاً، يرسل الجيش الأمريكى أحياناً الآباء بعيداً فى مهام عسكرية لمدة ستة أشهر دون أن يعود الأب فى أجازات إلا لأيام معدودة وفى بادئ الأمر يشعر الطفل بألم الفراق وبعد ذلك إمّا أن يكظم هذا الألم ويبقيه داخله أو ينفجر **غاضباً** وكبت الألم كثيراً ما يعرّض الطفل للمرض النفسى أما الانفجار فقد يؤدى للمرض الاجتماعى. فنوبات الغضب العصبى عند الأطفال قد تستبدل فيما بعد بنوبات عنف وجريمة عندما يكبرون.

الغضب ←—— الجريمة

أما رد الفعل الثـانى فى القائمة **فهو الإنكار وأحـلام اليقظة** وقد ينتج هذا أيضاً عندما يصبح ألم الفراق غير محتمل فيلجأ الطفل إلى إنكار حدوث الفـراق أصلاً ويتخـيل أنه يقابل أباه ويكلمه وينسج فى خياله حوارات وقصصاً لا أساس لها من الواقع وهذا قد يعرض الطفل لنـوع من خـداع النفس ولأنواع عـديدة من اضطرابات الشخصية.

الإنكار وأحلام اليقظة ←——— اضطرابات الشخصية

ومن ردود الأفعال الأخرى التى ظهرت عند هؤلاء الأطفال هى **محاولات لمّ الشمل** مع الوالد الغائب فيكررون إلقاء الأسئلة على أمهاتهم كالأسطوانة المشروخة «متى يجيء بابا؟» «ألن يأتى هذا العيد؟» إلخ ومهما أوضحت الأم بالتحديد متى يعود الأب إلا أن السؤال الملح لا يلبث أن يتكرر وأخيراً قد تضعف مقاومة الأم وتصاب بالإحباط والانهيار.

ومن الواضح أن هذه المحاولات المستمرة لتحقيق حلم لمّ الشمل نتيجة طبيعية لافتقاد الطفل لعلاقته الهامة بأبيه والشعور بهذا النقص، قد يعيش هؤلاء الأطفال هذا الماضى الحزين مرة أخرى فى علاقاتهم كبالغين، وذلك بأن يتشبثوا بالعلاقات التى تتكون بطريقة غير طبيعية وتصير شخصياتهم مشوّهة نتيجة سيطرة حب التملك والأنانية وهذا التشوه نراه واضحاً فى زيجات عديدة عندما تريد الزوجة أن تعرف كل صغيرة وكبيرة فى حياة زوجها أو عندما ينتاب الزوج الشك والقلق من أنه سيفقد زوجته وبدافع الخوف يبدأ فى المطالبة بأن يعرف أدق تفاصيل أنشطتها.

إن جـروح الرفض فى الماضى تجعلنا نميل للملكيـة فى عـلاقـاتنا وذلك على مستويات مختلفة ولكننا عندما تسيطر علينا الملكية فى هذه العلاقة فإننا نخنقها ونضيعها بأنانيتنا.

محاولات لمّ الشمل ←—— حب التملك

أما الإحساس **بالذنب** من جـانب الطفل الذى قد تغيب أباه فـقـد يكون كاذباً أو قد يكون حقيقياً ربما يلوم الطفل نفسه لهذا الغياب وربما يشعر أنه غير مستحق وأنه أقل من الأطفال الآخرين أو أنه غير محبوب ولا يمكن أن يكون محبوباً. وهذا الشعور بالذنب حمل ثقيل يحمله الطفل على كـتفيه وهو يكبر وأنا أؤمن أنه عامل مـساعد على حدوث أنواع مختلفة من الاكتئاب.

وشعور الطفل بالذنب قد يزيد ويتعقد بسبب سلوكه السىء أيضاً بالإضافة إلى عدم مقدرة الأم أن تتحمل العبء وحدها دون وجود الأب الذى يبعث على الأمان والانضباط. فعندما يكون الانضباط غير موجود أو غير كافٍ فإن إحساس الطفل بالذنب لا يزول وسلوكه غير المقبول يزيد.

الشعور بالذنب ←—— التمرد

وبعد ذلك فإن الطفل المحمّل بالذنب قد يبدأ فى تأديب نفسه بنفسه وقد يؤدى هذا إلى الماسوشية (وهى لذة تعذيب الذات) وعقاب النفس هذا قد يزيل الشعور بالذنب ولكنه يمهد الطريق نحو التمرد. وهكذا نرى هذه المعادلات:

كبت الشعور بالذنب ←—— اكتئاب
التنفيس عن الشعور بالذنب ←—— انحراف

ولوحظ أيضاً على أبناء الآباء الغائبين أنهم يعانون من **الخوف** وهذا يظهر بالتصاقهم وتملكهم لأمهاتهم وكذا صراخهم الشديد والمبالغ فيه عند انفصالهم المؤقت عنهن فبالنسبة لهم تعتبر الأم عنصر الأمان الوحيد الباقى ولذا فهى لا ينبغى أن تغيب عن عيونهم! ومثل هذا الخوف يملأ حياة الناس فى كل مكان فى العالم المتقدم وغير المتقدم.

والمهدئات والمنومات تستخدم كثيراً جداً فى محاولات فاشلة للتعامل مع هذا المدّ المتزايد من العصاب. ويبتلع الناس الحبوب بكميات مهولة لكى تساعدهم على النوم أو الصحيان أو أن يأكلوا أكثر أو أقل أو يحصلوا على طاقة أكبر وهكذا. إن الكتاب المقدس يحذر من أن الناس سوف يغشى عليها من الخوف (لو ٢١: ٢٦) ونحن نرى من حولنا كيف أن القلق المستمر والشد العصبى فى حياتنا يعرض البشر لأمراض القلب وغيرها من الأمراض الكثيرة.

الخوف ←—— العصاب

إنَ **تَغيُّر النبض الحيوى** يمكن تعريفه بأنه ردود الأفعال داخل أجسامنا الناتجة من كبت الضغط العصبى بشكل مستمر. وقد لاحظ الباحثون أن الأطفال الذين قد وصلوا لمرحلة التحكم فى التبول والتبرز قد يرتدون للخلف وغيرهم من الأطفال الأكبر سناً قد يبدأون فى بلل فراشهم ليلاً مما يحرجهم كثيراً ويعرضهم لتوبيخ أمهاتهم. وأطفال آخرون يبتلعون الطعام بسرعة وبطريقة هى أشبه بالحيوانات. وكل هذه الأمثلة ترينا كيف أن الضغط المكبوت قد يؤثر فى وظائف الجسم.

وربما بسبب هذا يجد الأطباء اليوم أن نحو ٨٠٪ من مرضاهم يعانون من أمراض تتدخل فيها العوامل النفسية فيما يسمى بالأمراض النفسجسمية Psychosomatic disease وللأسف كثيراً ما تتم معالجة الأعراض فقط دون علاج نمط الحياة الذى أدّى إلى هذه الأعراض.

تَغَيُّر النبض الحيوى ⟵ أمراض نفسجسمية

النكوص وهو رد فعل شوهد فى حالة الأطفال موضع الدراسة عندما كانت صدمة الفراق شديدة لدرجة أنهم انسحبوا من الاشتراك الفعّال فى وظائف الحياة الأساسية كالأكل واللعب والاختلاط بالناس حتى أن بعض الأطفال انزووا فى ركن من أركان المنزل وكوّروا أجسادهم متخذين وضعاً جنينياً وهذا الوضع يعبر عن الخوف الشديد وعدم الأمان وهو يؤدى إلى رغبة فى النكوص إلى وضع أكثر أماناً وهو وضع الجنين داخل رحم الأم. وإذا تكررت هذه الصدمات أو استمرت فإن هؤلاء الأطفال قد يصابوا بالذهان ويعيشون فى عالم من الخيال بدلاً من الواقع المؤلم.

النكوص ⟵ الذهان

وإذا نظرنا لقائمة الأعراض الاجتماعية الواردة فى شكل ٩ نستطيع أن نرى أنها تشمل كل التحديات الرئيسية للنمو الاجتماعى فى عصرنا الحاضر ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن الصراعات التى لم تحل فى الطفولة قد تحبس الأشخاص البالغين داخل نمط سلوكى غير سوى وغير ناضج.

رد فعل طفلى		عرض اجتماعى
الغضب	←	الجريمة
الإنكار وأحلام اليقظة	←	اضطرابات الشخصية
محاولات لمّ الشمل	←	حُب التملك
الشعور بالذنب	كبت ←	اكتئاب
	تنفيس ←	انحراف
الخوف	←	العصاب (المرض العصبى)
تَغَيُّر النبض الحيوى	←	أمراض نفسجسمية
النكوص	←	الذهان (المرض العقلى)

(شكل ٩)

ويتناول الرسول بولس هذا الأمر عندما يقول: «إن لكم زماناً طويلاً ترضعون اللبن لقد آن الوقت أن تكبروا! إننى أريدكم أن تتركوا اللبن الآن وتتناولوا طعام البالغين» (١كو٣:١-٢).

ويعترف الأخصائيون والأطباء النفسيون وكل المعالجين النفسيين أن التحدى الأكبر فى المجتمع اليوم هو مساعدة الأشخاص البالغين الناضجين على أن «ينضجوا» بالفعل! داخلياً وخارجياً. فالطفل الذى يعيش داخل كل بالغ يجب أن يعطى فرصة ويجب أن

نستمتع به أحياناً، أما أن نُتَوِّجه ملكاً على حياتنا وسلوكنا فهذا خطأ كبير.

إن هذا البحث العسكرى الذى راجعناه لتونا يتعلق فقط بالأب **المتغيب**. ولكن دعونا نتخيل لو كان الأب مدمناً للخمر أو مهملاً لأطفاله وأسرته أو لنتخيل أنه كان خائناً ويجاهر بخيانته وافتقاره للأخلاق فإن تأثير هذا الأب السلبى على حياة أطفاله قد يصبح أكثر إيذاء وربما يعيق نموهم ونضجهم طيلة حياتهم، كما أن نفس التأثير قد يحدث بسبب الافتقار للأمومة الحقيقية وبخاصّة فى سن الطفولة المبكرة.

والحصرم إذاً يمثل مشاكل الأبوين وفشلهم وربما خطاياهم التى تترك مذاقاً مراً يضر بأطفالهم فى نموهم هم.

والكتاب المقدس يصف هذه العملية بأن آثام الآباء والأبناء تُفْتَقد فى الجيل الثالث والرابع (عدد ١٤ :١٨) وهذا ما نسميه الآن فى علم الأمراض الاجتماعية «الأنماط الأسرية» وهذا الأمر يرجع بنا للخلاف الشهير «هل هو الطبع أم التطبع» «الطبيعة أم التربية»؟ هل المشكلة وراثية أم مكتسبة؟ فإذا كانت مكتسبة فهى يمكن أن تتغير وهنا تكون هناك مسئولية للتغيير.

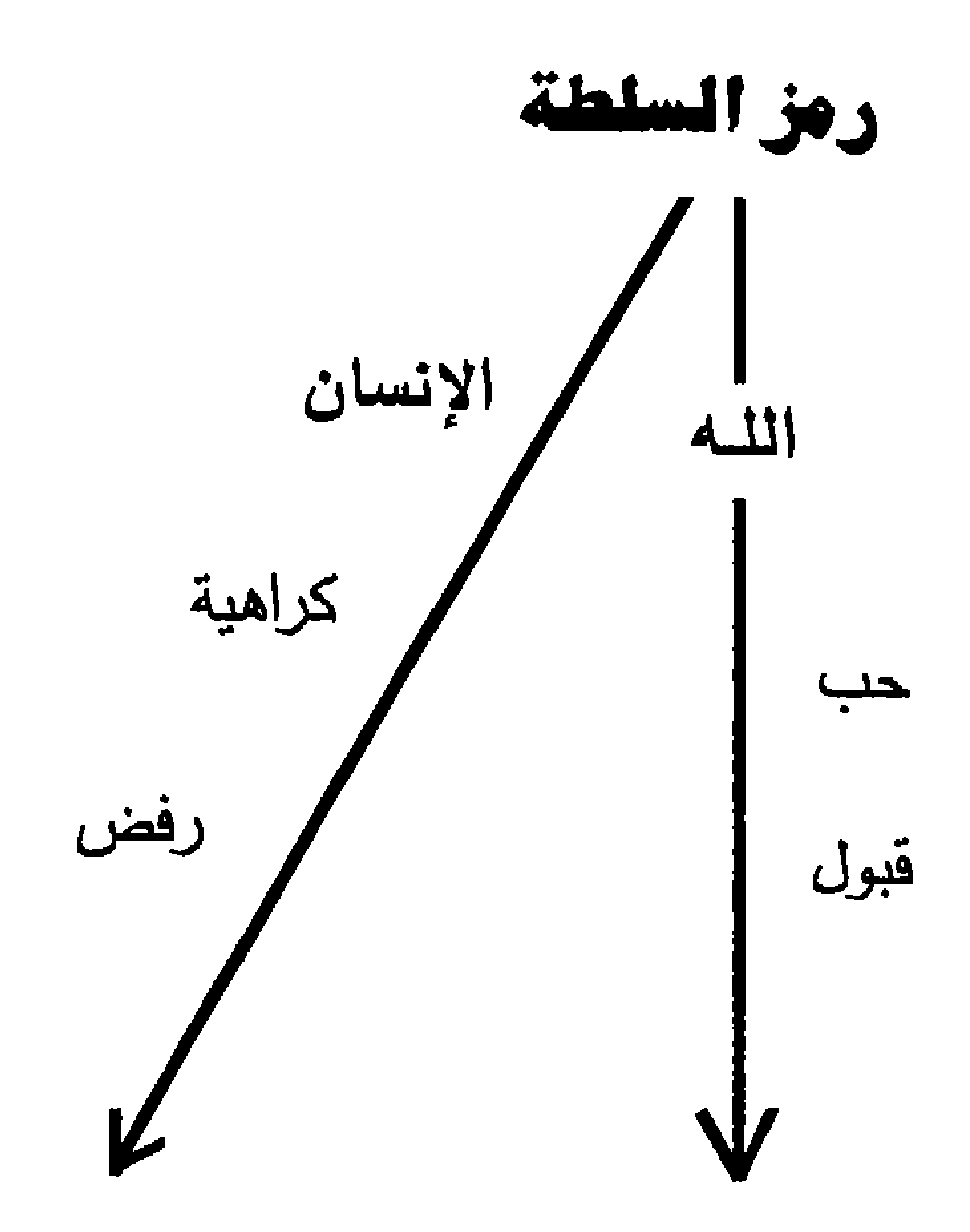
كما أن البحث الذى درسناه يشير أيضاً إلى بعض الأمور التى تستثير بناء الجدران وردود الأفعال للسلوك المؤذى للآباء والأمهات ولكننا نجد الترياق الإلهى لهذا السم المر فى مزمور ١٠٣ :١٧ .

«أما رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيه

وعدله على بنى البنين لحافظى عهده وذاكرى وصاياه ليعملوها».

إن الله يريد العنب الحلو ويريد أن يملأ فم الأطفال بالحلاوة. إنه يريد رحمته وخلاصه وبره أن يمتدوا من الآباء إلى البنين وإلى بنى البنين. إن هذا هو المثل الذى يعطيه والخطة التى يتبناها! فإذا عاد الآباء والأمهات إلى الله واتّبعوا طرقه فسوف يفتحون باب بركاته حتى تدخل حياتهم وحياة من بعدهم.

إن الرفض قد ينتقل من جيل إلى جيل إما عن قصد أو عن غير قصد وإذا عدنا لفكرتنا الأصلية سوف يمكننا أن نرسم الصورة كالتالى:



فى هذا الشكل نرى أنه إذا كان الله هو رمز السلطة بالنسبة لنا فنحن نحصل على الحب والقبول، أما إذا وضعنا الإنسان بدلاً منه فإننا عادة ما نختبر كراهية ورفض، إما مستترة أو ظاهرة.

والفارق الذى يفصل بين «الزيج البشرى» و«الزيج الإلهى» سوف نسميه «العجز فى ميزان المحبة»! فخط الحب والقبول هو الخط الذى يمثل الزيج الإلهى العمودى، وهو يمثل إرادة الله وقصده تجاهنا. أما خط الكراهية والرفض فهو الزيج البشرى الذى يبنى حوله الإنسان الخاطئ حياته بدلاً من أن يتبع الزيج الإلهى. وتمثل الزاوية بين الزيجين الإلهى والبشري مقدار العجز فى المحبة والقبول فى حياة الإنسان. وكلما كانت الزاوية أكبر كان الاحتياج أكبر لذلك النوع من المحبة الذى يعطيه الله وجده ولكى ندرس بعض تأثيرات العجز فى المحبة دعونا نلقى نظرة على بعض الحسابات الكتابية:

أنت - المحبة = ؟

ما هى إجابتك عن هذه المعادلة؟ هل تستطيع الإجابة دون أن تضع تعريفاً ووصفاً واضحاً للحب. لقد أصبح الحب تعبيراً مستهلكاً هذه الأيام فهو يطلق على أى شيء. فأنت تستخدم نفس الكلمة لتعبر عن حبك لله وحبك لقطتك المدللة مثلاً!

لذا دعونا فى هذا السياق نُعَرِّف كلمة الحُب من الكلمة اليونانية agape وهى تعنى الالتزام القلبى والولاء لشخص ما، شخص تكون مستعداً أن تضع حياتك كلها نتيجة حبك له والتزامك به. هذا هو الحب فى أسمى أشكاله ومعانيه، هذا هو الحب الذى نحتاجه كلنا فى حياتنا وكلما زاد عجز المحبة فى حياة الإنسان أحس أكثر أنه أقرب للصفر أى للاشيء، وهؤلاء الناس يحسون أن قيمة الحياة أصبحت قليلة جداً أو لا قيمة لها على الإطلاق.

أنت - المحبة = صفر

أما عندما تكون محبوباً فهذا يعطيك إحساس بالقيمة فى الحياة. إن الأشخاص غير المحبوبين، والذين قد تعرضوا للإساءات واستخدمهم الآخرون للحصول على لذتهم هم، الأشخاص المرفوضون والمنسحقون والذين يصارعون مع إحساس عميق بصغر النفس وتآكل الإحساس بالقيمة.

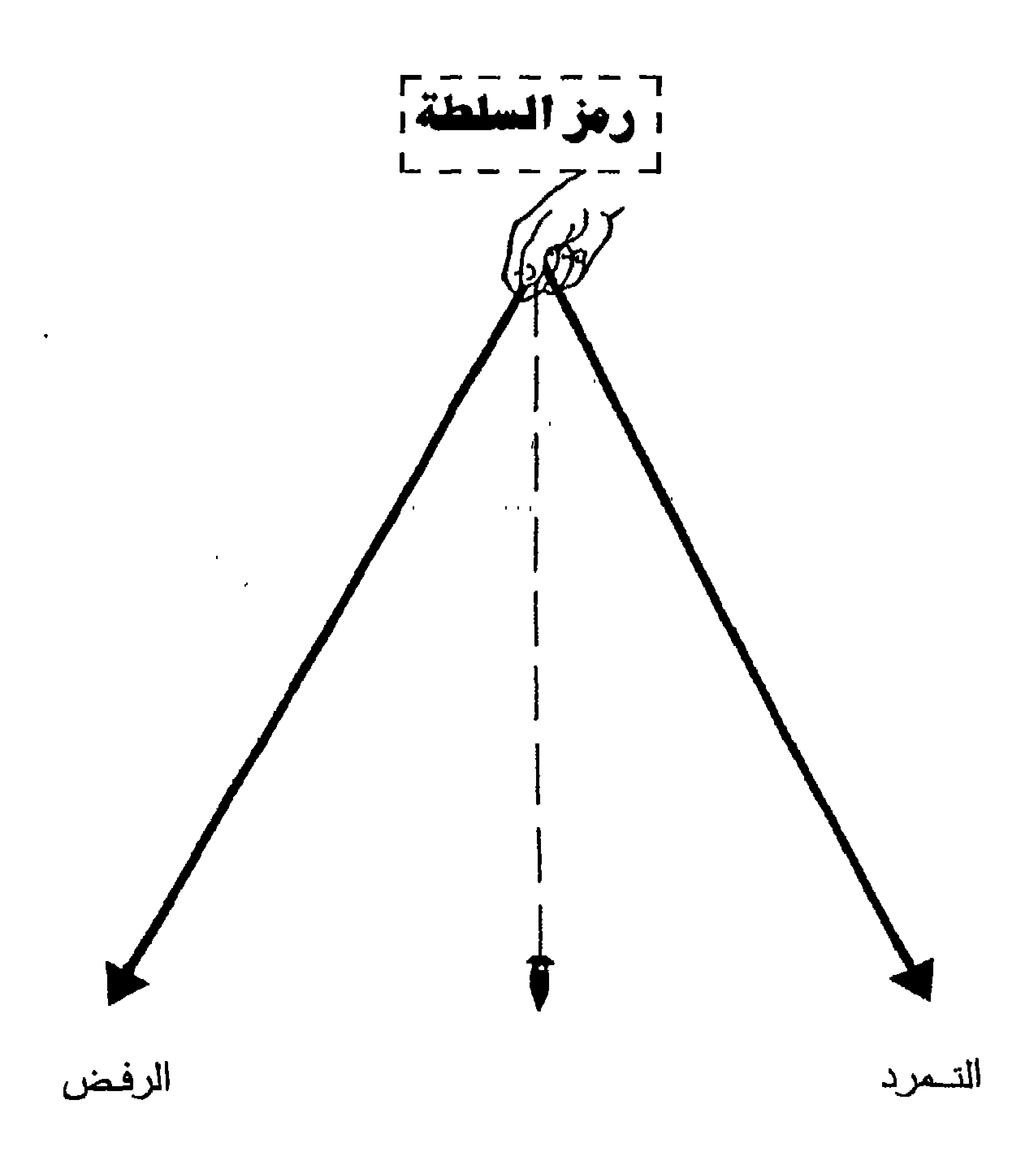
إن الحب عادة ما يستخدم خطأً كمرادف للشهوة. وبينما الشهوة دائماً ما تنطوى على الحصول على اللذة من شخص آخر. فإن الحب هو العكس تماماً فالحب ينطوى على العطاء والمشاركة فالحب هو أن يشارك الإنسان بحياته ليساعد على حصول المحبوب على أقصى الخير. وهكذا فإن شعار الشهوة «أعطنى!»، أما شعار الحب فهو «أنا أُعطيك». فتكون المعادلة كالتالى:

أنت + الشهوة = صفر

وعادة ما يحاول الناس تغطية عجز المحبة فى حياتهم بسلفيات من بنك الشهوة فعلى سبيل المثال، قد يذهب الابن الذى لم يشعر أنه محبوب من والديه إلى العالم ليملأ له احتياجه من الحب وذلك من خلال علاقاتٍ جنسية متعددة أو ربما تعطى البنت غير المحبوبة جسدها لرجل محاولةً سد عجز المحبة ولكن كل ما يحصلون عليه فى الحالتين هو الشهوة وليس المحبة ويظل عجز الحب قائماً.

إظهار عجز المحبة

كانت «چينا» شابة جميلة ذات شعر بنىّ جميل وعينين عسليتين فاتنتان لكن عندما جلست أمامى لاحظت حالاً عجزها الواضح أن تنظر



(شكل ١٠)

لأى شخص فى عينيه وكانت دائماً ما تحنى رأسها محدقة فى الأرض والحزن يكسو وجهها تماماً.

وبعدما سمعت «چينا» التعليم الخاص بالزيج الإلهى كانت «چينا» من الأشخاص الكثيرين الذين تقدموا للأمام للصلاة من أجلهم. كانت تجلس على حافة الكرسى وهى تنظر للأرض وشعرها منسدل يغطى وجهها تماماً وبدأت دموعها تتساقط على ركبتيها وكتفيها يهتزان بعنف إذ كانت تجهش ببكاء لا تستطيع السيطرة عليه وعندما بدأت الكلام جاء صوتها منخفضاً كأنه يأتى من مكان سحيق حتى إنى وجدت صعوبة شديدة فى متابعتها.

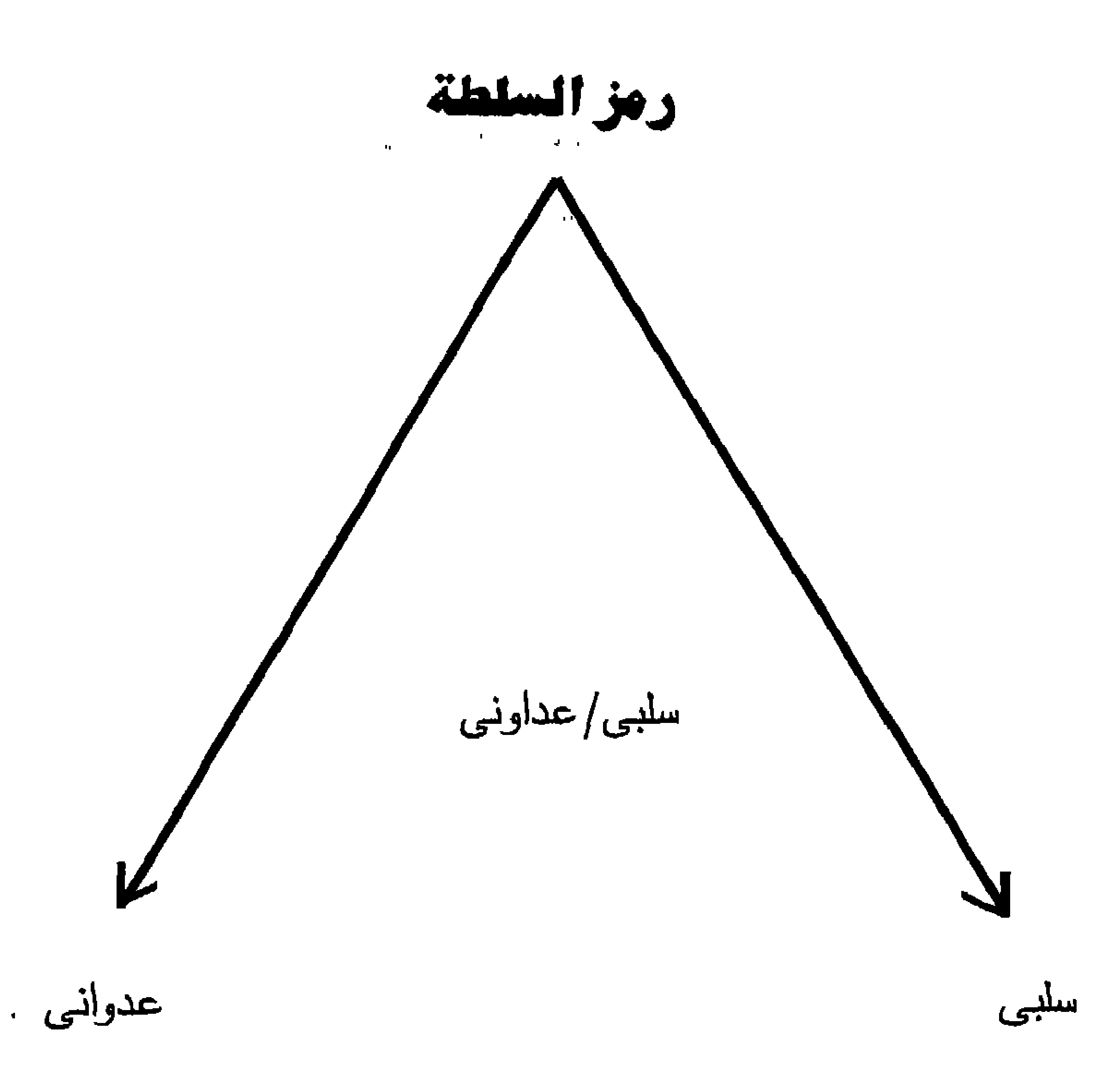
بدأت «چينا» تشرح كيف أنها لم تتمتع بأى علاقة مع والديها اللذين كانا شخصين ناجحين فى عملهما ودائماً ما كانا يتوقعان منها أن تحذو حذوهما فى حياة النجاح العملية. وخلال السنين وهى تكبر، لم تحصل على أى تعبير ملموس عن الحب سوى قرصة غريبة فى خدها بين الحين والآخر. أما كل العواطف الجسدية التى كانت تحتاج إليها كانت تحصل عليها من احتضانها لدميتها التى تغمرها بكل الحنان الذى كانت تود أن تشاركه مع والديها وكانت لساعات طويلة تمسك بدميتها حتى أن الدمية بمرور الأيام قد أصبحت متسخة وممزقة.

وفى يوم من الأيام دخل والدها حجرتها ومعه أنباء مفزعة. قال: «لقد كنا نتحدث أنا ووالدتك. إننا نريد أن نشترى لك دمية جديدة ونتخلص من هذه الدمية القديمة المتهالكة». وعندما سمعت «چينا» هذا فزعت وتشبثت بدميتها أكثر قائلة، «لا. لا أريد دمية جديدة!».

وفى ليلة أخرى دخل والد «چينا» حجرتها وهى نائمة وأخذ الدمية القديمة ووضع الدمية الجديدة بدلاً منها فى مكانها وألقى بالقديمة فى

المدفأة وهكذا احترقت صديقتها الوحيدة. وعندما استيقظت «چينا» فى الصباح التالى، اكتشفت هذه المصيبة، لم تستطع «چينا» حتى أن تلمس الدمية الجديدة ولم تكن تريدها أبداً.

لقد زادت هذه الحادثة من درجة اغتراب «چينا» عن والديها. وعندما وصلت «چينا» لسن المراهقة بدأت تبحث عن الحب فى الأماكن الخاطئة وبعد سلسلة من العلاقات، وجدت «چينا» نفسها تسير باندفاع شديد نحو حياة الدعارة. لقد وجدت «چينا» نفسها متروكة ومهملة تبتلعها الوحشة والوحدة. وكان احتياجها لأن تسمع من الله احتياجاً شديداً يائساً.



وإذ صلينا مـعـاً منتظرين وطالبين إرشـاد الله كـشف لـى هذا الإعلان: لقد أصبحت «چينا» الدمية الصغيرة التى تبحث عن الحب وعندما قلت لها هذا بدأت تبكى. ثم أعطانى الرب كلاماً آخر لها. «إن الله يريد أن يتبناك لتصبحى عروسته الصغيرة» إنه سوف يحبك أكثر مما أحببتِ أنت دميتك».

عندئذ تحولت دموع «چينا» من دموع الألم والمعاناة إلى دموع الفرح والتأثر الشديد من محبة الله ومنذ تلك النقطة بدأت حياتها تأخذ مساراً جديداً.

إننا عندما نحيا حياة من الشهوة محاولين إشباع رغباتنا لا يؤدى ذلك إلا لمزيد من العجز فى المحبة وإحساس بعدم القيمة وإذا كانت الحياة بلا قيمة ولا معنى فلماذا نحياها؟

لقد اتبعت «چينا» زيجاً بشرياً شكَّله إحساسها بالرفض الذى أصبح نقطة ارتكاز حياتها فظلت سلبية متوقعة الرفض دائماً ولكن لنفترض أننا لن نقبل مشاعر الرفض كطريقة للحياة؟ ففى هذه الحالة قد نجد أنفسنا نتبع زيجاً آخراً بشَرياً من التمرد.

وعندما يظهر التمرد يأخذ الشخص الموقف العدوانى محاولاً أن يقاوم وينفى الرسالة التى تصل له بفعل الرفض والإحساس بالدونية التى عاش تحتها لوقت طويل ولكن البعض الآخر يتأرجح بين السلبية والعدوانية كما يتأرجح البندول وذلك من موقف لآخر. إذن يوجد لدينا ٣ ردود أفعال محتملة كما نرى فى الشكل السابق.

وعندما تصبح ردود الأفعال هذه أنماط سلوك وعادات فإنها تكون الأساس لتكوين بعض التشوُّهات فى الشخصية. وعندما يحدث هذا فإن

كل تشـوه يصـبح طوبة فـى ذلك الجـدار الذى نقيـمـه حـول قلوبنا فى الفصل التالى سوفـ نستكمل دراسة الصور التى يقدمها لنا سفر عاموس ونكتشفـ المزيد من الخدع والمكائد التى تختفى خلفـ الجدار.

الفصل الخامس

الجدران الدفاعية

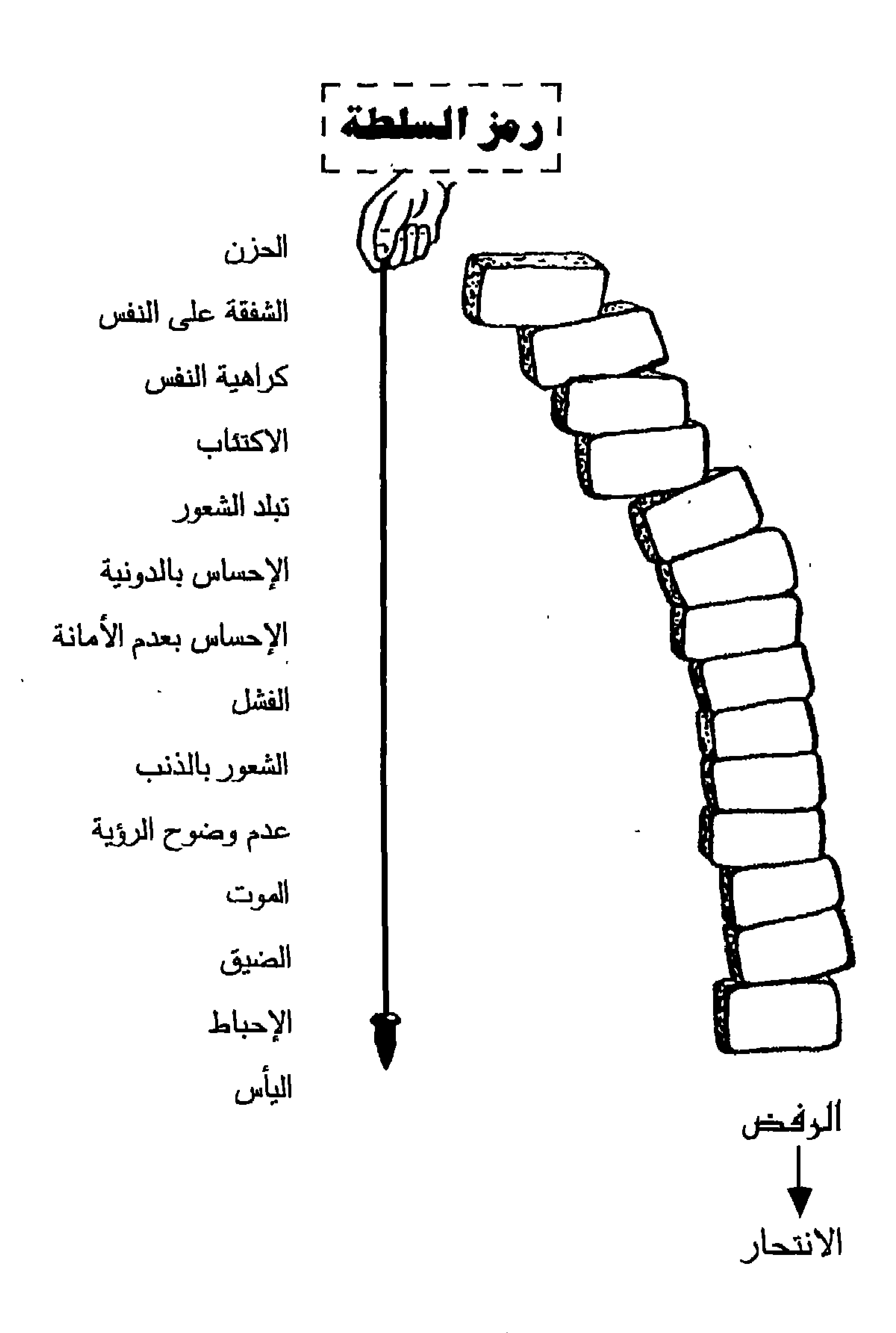
(الرفض)

عندما كنت فى أمستردام أتمشى فى شوارعها عجبت لمنظر الأزقة الصغيرة المتقاطعة والمتشابكة كمتاهة دقيقة التصميم على جوانبها بيوت من كل شكل وحجم. وبينما كنا نتمشى أشار صديقى الهولندى إلى صف من البيوت المائلة بدرجة توحى بالخطورة وكان بعضها يميل ميلاً شديداً ويحتاج للتدخل السريع حيث أن البيوت الملاصقة لها قد سقطت. وفى بعض الأحيان كانت درجة الميل تصل إلى ٦ أقدام بين قمة البناء وقاعدته.

لقد رأينا من قبل كيف أن الله صوّر حالة شعبه كجدار مائل مثل هذه الجدران التى رأيتها فى أمستردام. وفى الشخصية الإنسانية قد يسبب الرفض المتكرر تَشَوُّهاً نفسياً شديداً كتشوه هذه الجدران التى رأيتها فى أمستردام. وسوف نستطرد فى فحص هذه التشوهات إذ نستكمل دراستنا هذه طوبة بعد طوبة!

المشاعر

سوف نرمز بكل وحدة بنائية (طوبة) إلى عقبة تقف أمام نمو. شخصياتنا بحسب قصد الله وهى أيضاً طوبة فى الجدار الذى نبنيه


رمز السلطة
الحزن
الشفقة على النفس
كراهية النفس
الاكتئاب
تبلد الشعور
الإحساس بالدونية
الإحساس بعدم الأمانة
الفشل
الشعور بالذنب
عدم وضوح الرؤية
الموت
الضيق
الإحباط
اليأس
الرفض
الانتحار

(شكل ١١)

حول قلوبنا ومن بين القائمة التالية من الوحدات البنائية ضع علامة أمام الوحدة التى تمثل حالتك أفضل تمثيل. وهذا سوف يساعدك فيما بعد عندما نتحدث عن مفاتيح وطرق التغيير والفئة الأولى من تشوهات الشخصية تتعلق بالمشاعر وهى جزء من الشخصية له تأثير كبير على حياتنا.

الحزن

يمكننا أن نعرف الحزن بأنه «الكآبة» والأسى. فيكون الإنسان كئيباً محزوناً أو معتماً، وأحياناً ما يلقى هذا الشعور بظلاله على الشخصية ككل كما هو الحال بالنسبة لـ «مارك».

و«مارك» هو رجل طويل القامة نحيف القوام ذو شعر أشقر وعينان زرقاوتان عميقتان لكن هذا المظهر الجذّاب كان متسماً بهالة سوداء من الحزن والكآبة. وعندما سنحت لى الفرصة أن أقدم مشورة لهذا الشاب لعدة ساعات عرفت سبب هذه الكآبة الواضحة فعندما كان «مارك» شاباً صغيراً كان عداءً ماهراً حتى أنه كان من الممكن أن يمثل بلده فى الأولمبياد. كانت كل دوافع «مارك» موجهة ومركزة نحو هذا الهدف إلى أن تورط فى علاقة مع فتاة. وبعدما تزوجا بوقت قصير، كانت عروسه تعترض على الساعات الطويلة التى يقضيها فى التدريب وبدأت تضغط عليه لكى يعتزل، واستمرت تحاول معه وتدفعه حتى تخلى عن حلمه القديم لينقذ حياته الزوجية. ولم يمضى وقت طويل حتى اكتشف «مارك» خيانة زوجته. وكانت فجيعته فى زوجته وضياع حلم الأولمبياد هما السبب فى ذلك الحزن العميق الذى اصطبغت به حياة «مارك».

من الطبيعى أن يحزن الناس لفترة وجيزة بسبب فقدان شريك الحياة فى منتصف العمر مثلاً ولكن عندما يصبح الإنسان غير قادر على ممارسة حياته الطبيعية لفترات تتزايد فى الطول فإنه عندئذ يصبح فى حالة من الكآبة المزمنة.

ومثل هذا الحزن غير الصحّى المستمر عادة ما يكون بسبب ضياع الحلم أو إحباط التوقعات الكبيرة فى الحياة وعدم التعامل مع هذه الأمور وتنقية النفس منها وهذا ما يتضح من قصة «مارك» وهكذا حرمه ذلك الحزن القائم والمستمر متعة الحياة وفرحتها.

والكتاب المقدس يصف هذا الحزن برداء النوح (إش ٦١: ٢) وعلى مدار السنين فى الخدمة قابلت كثيرين من أمثال «مارك» الذين استخدموا حجارة الحزن لبناء جدار حول نفوسهم وهناك أمثلة كثيرة كفتاة صغيرة فقدت عذريتها عن طريق الزنا المحرم أو زوجة فقدت حب زوجها بسبب خيانته، وشابه أرادت أن تكون طبيبة ولكنها لم تستطع دخول كلية الطب. وفى مثل هذه الحالات، يكون الحزن هو الشعور السائد كرد فعل للصدمات المتلاحقة من الرفض والإحباط التى يتلقاها الشخص من مصدر هام فى حياة الإنسان كالأب أو الزوج .. إلخ.

وفى أوقات الحزن الشديد نحتاج أن نلتفت إلى الله. الآب. مصدر التعزية الحقيقية من كل حزن ووجع قلب.

عندما عاد «مارك» لمكتبى، صلينا لكى يرفع الله هذا الحزن. وعندما سلم «مارك» حزنه لله بدأ يختبر إطلاق مشاعره الدفينة وقبل تعزية الله وشفاءه.

الشفقة على النفس

ليست الشفقة على النفس عادة سيئة وحسب بل هى أيضاً خطية عندما نتمادى فى الاستغراق فيها يكون من السهل أن ننجرف إلى هذا النمط من التفكير كلما صادفتنا ظروف غير مواتية.

والشخص الذى يمارس الشفقة على النفس هو شخص يواسى نفسه دائماً نتيجة إحباط ما. وعندما يكون الإحباط شديداً يبحث من حوله عن شخص يواسيه، وهو يناور دائماً ويحاول التأثير على الأشخاص لكى يغذوا شفقته على نفسه. وسرعان ما يتكون فى حياته جب هائل لا قاع له ولا يستطيع أحداً أن يملأه ويصبح هذا الإنسان معاقاً دائماً غير قادر أن يواجه أى صراع، ولا أن يجد حلاً لأى مشكلة. ومثل هذه الشفقة على النفس لا تظهر الرفض فقط بل هى أيضاً تشجع على حدوثه وتزيده. والدواء الذى يقدمه الكتاب المقدس لشفاء الشفقة المزمنة على النفس هو ممارسة الشكر دائماً فالشكر هو التدريب الناجح للتخلص من ذلك الانحصار السلبى فى الذات.

كراهية النفس

إن أعداد البشر الذين يصارعون الأفكار السلبية عن ذواتهم فى هذا القرن لمذهلة حقاً وهذه الأفكار بالنسبة للبعض قد تكون متفرقة ولكن بالنسبة لآخرين فإن الصراع قد يأخذ شكلاً مزمناً معوقاً.

يمكن تعريف كراهية الذات بأنها رفض النفس كنتيجة لرفض الآخرين. إن مساعدة شخص لكى يتغلب على رفض الذات قد تكون من أعظم التحديات التى تواجه المشير.



عندما قابلت «أيتر» للمرة الأولى. أعجبت بشخصيتها المبهرة. فقبل أن تحضر إحدى دراستنا عن المشورة التابعة لهيئة (شباب لهم رسالة YWAM) كانت تعمل فى خدمة المشورة التأهيلية.

وخلال المدرسة التى استمرت لثلاثة شهور كانت «أيتر» تعيش وسط حوالى ٣٠ دارس ودارسة من حول العالم أتوا لا لكى يتعلموا فنون المشورة فقط بل لكى يكونوا هم أنفسهم شخصيات متكاملة.

جذور كراهية النفس

وبعد مرور عدة أسابيع من الدراسة دخلت «أيتر» فجأة فى اكتئاب

شديد. ولم تكن تستطيع أن تنام، ثم بدأت فى سماع أصوات ثم انزلقت إلى حالة من القلق الحاد. وكانت «أيتر» تلتقى بشخصية من فريق العمل بصفة منتظمة ولكنها كانت ترفض أن تسمح لأى إنسان أن يتجاوز الجدران التى كانت تختبئ خلفها وبينما كنا نحاول الوصول إليها، بدأت تدريجياً تشارك بالمشاعر والخبرات المؤلمة التى عانت منها فى الطفولة ولأول مرة، بدأت فى التعبير عن الألم الذى كانت تعانيه وهى تعيش خلف هذه الأسوار وقالت «أيتر» أنها عندما كانت فى سن المراهقة المبكرة كان والدها يرتب لها تدريباً منتظماً على رياضة التنس بواسطة عمها وتدريجياً على مدى الأسابيع المتتالية بدأ عمها فى ممارسة الاعتداء الجنسى عليها وكانت المشاعر التى تعانيها «أيتر» شديدة جداً ولم تعرف كيف تتعامل معها. لم تكن تستطيع أن تخبر والديها مقتنعة أنهم لن يصدقوها أبداً كما أنها شعرت بالكراهية العميقة نحو عمها وأبيها الذى أرسلها له أصلاً أما أمام نفسها فقد شعرت «أيتر» بالذنب وبأنها قذرة ولا تستحق سوى الكراهية.

وكان القادة فى المدرسة يصلون ويتشفعون لها بانتظام حتى جاء يوم خلال الخدمة فى الفصل الدراسى تقدمت «أيتر» للأمام طالبة الصلاة من أجلها. عندئذ تركزت الأنظار عليها وهى تقف صامتة أمامنا تقبض يدها وتفتحها وواضح أنها تحارب حرباً داخلية شديدة وفجأة بدأت «أيتر» تتكلم بصوت منخفض موجهة كلامها للفصل قائلة: «إننى أكره هذا المكان!» «إننى أكرهكم، إن لدى مشاعر كراهية نحو الله كما أننى أكره نفسى أيضاً! وأكره والدىَّ!».

وبعد هذا الانفجار، وقفت «أيتر» صامتة تاركة إيانا نستوعب ببطء معانى الكلمات التى قالتها فى صمت مندهش. كان كل شيء صامتاً

فيما عدا صوت بكائها المكتوم. أما بقية الفصل فكان يصلى ويطلب من الله الإرشاد.

مفتاح الإطلاق والحرية

ثم جاءنى شاب يدعى «ديريك» وهو يهمس بشىء شعر أن الله يدفعه أن يفعله وطلب منى مزيداً من التأكيد ولمّا شعرت أن هذا صحيح طلبت منه أن يفعله. وهكذا وقف «ديريك» أمام «أَيتر» على مرأى من الفصل كله وقال: «إننى أريد أن أمثل دور والدك وأسألك أن تغفرى لى. هل ستغفرين لى؟»

ورمقته «أَيتر» بنظرة باردة لا تكشف أى تجاوب بل وتخفى كل انفعال.

ثم كرر «ديريك» جملته: «هل ستغفرين لى؟!»

فترة صمت. وعندما كرر «ديريك» نفس الطلب للمرة الثالثة ولم تستجب بدأ «ديريك» يبكى، وهو يشعر بانكسار قلب الله على ابنته المجروحة. وفى صمت ثقيل، كان الفصل يصلى حتى شق صوت «أَيتر» صمت المكان وهى تقول: «يا أبى إنى أغفر لك» قالت هذا ثم صمتت وتبعت ذلك فترة طويلة من الصمت.

ثم تكلمت مرة أخرى. «يا أبت هل تغفر لى الكراهية التى كنت أضمرها نحوك؟» وعندما كانت تقول هذه الكلمات، تهاوت بين يدى ذلك الطالب الشاب والدموع تتدفق من عينيها تغسل كل الكراهية والمرارة والاستياء التى قد شيدت جداراً سميكاً فى قلبها لسنين طويلة. وبينما راحت «أَيتر» تعبر عن غفرانها لأسرتها ولنفسها وقبولها لغفران

الله بدأت كراهيتها لنفسها تتلاشى ومع نهاية الفصل الدراسى كانت كل أعراض معاناتها قد اختفت.

وبعد ذلك كتبت لى «أَيتر» هذه الكلمات:

«فى ذلك اليوم الذى قدم لى «ديريك» هذه الخدمة الروحية أمام الفصل أخذنى الله بالروح القدس إلى (إشعياء ٣٨: ١٥-١٦) وأصبح واضحاً تماماً بالنسبة لى أن عدم مقدرتى على النوم كانت بسبب المرارة التى كانت فى قلبى من جهة والدى تلك المرارة التى حاولت إخفائها طول حياتى. لقد أصبحت مخادعة جداً وبالذات فيما يتعلق بمشاعرى حتى أن طريقة تعاملى مع الناس من حولى أصبحت على العكس تماماً مما أشعر به فى داخلى تجاههم. وقال لى الرب أن مفتاح الإطلاق هو الاعتراف الأمين بمشاعرى الحقيقية تجاه الناس والحياة ولهذا عبَّرت عما فى داخلى من كراهية فى ذلك اليوم.»

وخلال الشهور التالية واصلت «أَيتر» مسيرة التغيير الدرامى الذى حدث فى حياتها عندما بدأت أكثر فأكثر تشعر بمحبة الله ورحمته لها. وعندما عادت لبلدها وبيتها تصالحت مع والدها وبعد ذلك كانت لديها فرص لخدمة الشباب الذين قد تعرضوا للانتهاك من واقع خبرتها.

إن حالات الاعتداء الجنسى كحالة «أَيتر» قد أصبحت كثيرة هذه الأيام وهى تلعب دوراً كبيراً فى كراهية النفس وكما فى كل شهوة، فإن الاعتداء الجنسى يحمل معه احتقاراً وتقليلاً من قيمة الإنسان لا مثيل له ولكن فى حالة الاعتداء الجنسى بالذات يتفاقم احتقار النفس لأن الشخص قد تعرض لخيانة أحد أفراد أسرته المقربين له. إن هذه الخبرة شديدة الإيلام وعظيمة الجرح لكرامة الشخص كما أن مشاعر لوم

النفس والكراهية كثيراً ما تظهر وإذا لم تتم مواجهة هذه المشاعر فإنها سوف تؤدى لكراهية النفس.

الاكتئاب

لسنين عديدة ظل الاكتئاب هو المرض النفسى الأول فى الولايات المتحدة وظل يتزايد وبالأخص بين الشباب. ما هو الاكتئاب إذن وما هى علاقته بالزيج الإلهى؟ إن الاكتئاب فى أبسط صوره وأكثرها شيوعاً هو ما يمكن وصفه من ردود الأفعال فى مواجهة الخسارة.

فقد نشعر فى بداية الأمر بفقدان عام للحيوية والطاقة فيبدو علينا الحزن والإرهاق. ثم نبدأ فى الانسحاب من الحياة الاجتماعية وحتى من الأصدقاء المقربين ثم يقل النشاط فى العمل وفى البيت ويبدو كل شىء كئيباً لا أمل فيه ولا رجاء وتبدأ الأفكار تقل فى أذهاننا وعندما تأتى هذه الأفكار القليلة فهى دائماً أفكار قاتمة كما نفقد القدرة على التركيز وكثيراً ما تأتى مشاعر الذنب وعدم الاستحقاق وأيضاً تأنيب النفس واحتقارها وعادة ما تكون هناك صعوبة فى النوم.

من الطبيعى أن تكون لدينا بعض مشاعر الاكتئاب من وقت لآخر ولكن عندما تزداد هذه المشاعر فى الكم والتواتر والمدة قد يحتاج الإنسان لمساعدة طبية ومثال بسيط عن ذلك هو السيارة عندما تفقد قوة الدفع فإن الموتور يبدأ فى «التقطيع» ويكون من الواضح أننا نحتاج أن نوقف السيارة ونرفع الغطاء حتى نرى ما الأمر. وبالطبع عندما يبدأ أداء السيارة فى الضعف فإننا نبحث مباشرة عن وجود عطل ما ونحاول أن نصلحه. ولكن عندما يضعف أداؤنا ونكتئب، فإننا فى أحيان كثيرة نخرس الرسالة الواضحة التى تريد حالتنا النفسية أن توصلها لنا بأن ندفنها تحت كومة من أدوية الاكتئاب!

ومما نتجاهله كثيراً أن الاكتئاب فى أبسط صوره هو رسالة موجهة لنا تقول إن هناك أمراً ما فى حياتنا يحتاج لتغيير. قد تستطيع الكيماويات تغيير المشاعر سطحياً ولكنها لن تستطيع أن تلمس الروح وعادة تكون أنماط حياتنا هى التى تحتاج لتغيير حتى لا نقع فى انتكاسة جديدة.

وكما أن الفرح هو عرض من أعراض الحياة فالاكتئاب هو عرض يدل على أن هناك شيئاً ما مفقود فى الداخل. أحياناً قد يكون المفقود هو مركب كيميائى يحتاج لأن يستبدل وذلك فى بعض الأمراض الوراثية العضوية ولكن مثل هذه الأسباب العضوية لا تمثل أكثر من ٥٪ من الأمراض النفسية قد يكون الاكتئاب مزيجاً معقداً من العوامل النفسية والعضوية عندئذ يكون صعب العلاج ولكننا إذا لم نستطع تقييم أسلوب حياة الشخص المكتئب فإننا نخيب أمله ونفقده فرصته فى التغيير الحقيقى.

تبلد المشاعر

يمكن تعريف تبلد المشاعر بأنه «عدم وجود عواطف ومشاعر» وتبلد المشاعر هو العدو الأكبر للحياة وهو فى الواقع المرحلة الأولى فى التسليم الكامل والانسحاب من تحدى الحياة نفسها ويتكلم الكتاب المقدس عن الكثيرين الذين يتعثرون فى الإيمان ويتقسون (رو ١١ :٨) ويمكن لسلسلة من الإحباطات والتراجعات أن تهيىء الساحة لهجوم الشيطان الشرير. وبسبب تبلد مشاعر الكنيسة وفشلها فى أن تكون نور العالم وملح الأرض أصبح العالم هو الذى يغزو الكنيسة وليس العكس حتى أنه فى بعض الأوقات قد يكون من الصعب التفريق بين الكنيسة والعالم.

وفى أحد الأيام عندما دخلت لبيت واحدة من الأخوات تدعى «ليديا» لم أحصل فقط على دراسة سريعة عن كيفية خلق الفوضى لكنى رأيت بعينىّ ما يمكن أن يحدث عندما يتسلط تبلد الشعور على الإنسان لقد كانت منضدة السفرة مليئة بأكداس من الأطباق المتسخة كما أن الكتب والملابس والأحذية كانت ملقاة فى كل مكان وتراكم التراب والغبار على كل الأسطح وفى وسط هذه الفوضى جلست «ليديا» وهى غير مهندمة المظهر إطلاقاً تشاهد التليفزيون! وصرخ زوجها ذاهلاً:

«انظر إنها على هذا الحال منذ أيام ولا يبدو أنها تهتم بأى شىء» ومثل هذا التبلد فى الشعور ينتج من أفكار ومشاعر الرفض والفشل وشعاره: «ما الفائدة!» «لا فائدة» «سوف يظل الأمر هكذا ولن يتغيرّ».

الذهن

إن هذه الفئة الثانية من الطوب الذى يُشَكِّل الجدار الذى نبنيه تتعلق أكثر بعملية التفكير والتوجهات الناتجة عنها. استمر فى تحديد الوحدات البنائية التى ترى أنها تشكل جزءاً من السور الذى تبنيه حول حياتك.

الدونية

«لا يوجد إنسان يقول: إننى لست أقل منك وهو يؤمن بما يقول فلو كان يؤمن بها لما قالها. فالكلب الحقيقى لا يقولها للعبة التى على شكل كلب ولا يقولها الدارس النابه للتلميذ البليد أبداً ... إن هذه الجملة إن

كانت تدل على شيء فهي تدل على ذلك الشعور المؤرق بالدونية».

ك. س. لويس «*رسائل سكروتيب*»

إن الذهن لهو من ملاعيب الشيطان النفسية المُفَضَّلة إن هذا الشعور الداخلي بالدونية يقيد أذهان كثيرة ويشل حركتها وقدرتها على التفكير السليم. والاستنتاج الخاطئ الذى يصل إليه البعض كنتيجة للرفض المتواصل هو أنهم بالفعل أقل. وبمجرد أن يستنتجوا الأسوأ فإنهم لا يفشلون عادة فى اختلاق أسباب تلائم اعتقادهم هذا. كأن يقولوا «لأنى بدينة جداً» أو «لأنى نحيف جداً» أو «لأنى قصير جداً» أو «لأنى طويلة جداً» أو «لأن أنفى كبير جداً» أو «لأنى غبية جداً» وهكذا فالأسباب يمكن أن تكون كثيرة جداً.

لقد انتابنى شعور عميق بالدونية كنتيجة لتلك الخبرة المهينة التى مررت بها فى المدرسة والتى ذكرتها فى الفصل الأول ولأن المدرسة فضحتنى أمام الفصل كله بأنى واحد من القلة الذين لا يستطيعون قراءة الساعة فإنى قد استنتجت أنى أقل من باقى التلاميذ ولكى أقلل من فرص تعرضى للمهانة، بدأت فى الانسحاب من معظم أنواعِ المشاركة فى الفصل. ومرت سنوات كثيرة قبل أن أكتشف لماذا فضَّلت هذه السلبية ولماذا كنت أشعر بالتهديد الشديد كلما كانت المشاركة فى الفصل لا مفر منها.

إننا كثيراً ما نسمح لأنفسنا أن نقتنع بالدونية لأى سبب وهكذا نكون فريسة سهلة لتخويف وتهديد العدو. إن الدونية ،عدم الإيمان هما أعضاء فى فريق واحد هدفه تدمير ثقتنا. فهما معاً يقضيان على الانتصارات التى كان من الممكن أن نحصل عليها بالإيمان.

عدم الأمان

إن عدم الأمان هو السمة المميزة لمجتمع اليوم وهو ناتج عن عوامل عديدة منها ذلك الانتشار الوبائى لتفكك العائلات، والعائلات غير السوية. وعدم الأمان هو نتيجة مباشرة لنقص المحبة ورسائل الرفض التى نستقبلها فى الطفولة وعلى العكس فإن الإحساس بالأمان يتعلق مباشرة بالمحبة. وقد أظهرت الأبحاث أن الأطفال الذين نشأوا فى بيئات تفتقر للمحبة عادة ما يشعرون بإحساس دفين بعدم الأمان ومن بين الأمثلة على ذلك، الحمل غير المرغوب فيه، أو جنس الطفل غير المرغوب فيه أو الوالدان المنشغلان أكثر من اللازم بحياتهم أو الوالدان السلطويان المتشددان المفتقران للدفء غير القادرين على إعطاء الحب والتشجيع. وهذه فقط أمثلة قليلة مما قد يؤدى لعدم الأمان فى حياة الإنسان.

الفشل

«انت فاشل» «لا فائدة منك» «انت غير نافع»

إن هذه الرسائل المتكررة تذكرنى بالطريقة التى كان والد أحد أصدقاء طفولتى يتكلم بها معه. ومن أهم الصراعات التى يعانى منها الأشخاص الذين يختبرون الرفض هو إيمانهم وإحساسهم العميق بعدم استحقاقهم وبعدم كفايتهم كأنما هناك صوت داخلى يقول باستمرار: «أنا سيئ. سوف لا أصل لشيء. وكل ما أفعله خطأ».

وكثير من الناس كانوا أسرى لقهر الخوف من الفشل وعندما يفشلون بالفعل يبدو وكأنهم غير قادرين على الوقوف على أرجلهم مرة

أخرى ولا يتعلمون من الخبرات السيئة بل إنهم ينهارون إذ أنهم «مبرمجون» مسبقاً أن يصدّقوا الكلمات التى قيلت لهم وهم أطفال.

إن للكلمة قوة هائلة أن تبنينا أو تهدمنا ولكوننا قد فشلنا فى شىء ما ونحن أطفال قد يؤدى ذلك لأن يطلق علينا «فاشلون» وهذه الوصمة قد تنمو معنا وتثبت بمرور الأيام تلك البرمجة السلبية فنفشل فعلاً وكلما فشلنا ازداد اقتناعنا بفشلنا. ثم نبدأ فى وضع أنفسنا بعيداً عن نعمة الله.

الذنب

هل يعد الشعور بالذنب ضعفاً رهيباً أم هو ميزة قيّمة؟ هل علينا أن نتبناه أم نرفضه ونرذله؟ والتوضيح التالى قد يعطينا رؤية للإجابة عن هذا السؤال.

تخيل أنك تستقل سيارة بين الحقول الجميلة وفى الخلفية جبال جميلة شامخة يغطى الجليد قممها وفجأة وبينما أنت تستمتع بهذا الجمال يلفت انتباهك ضوء أحمر صغير يومض فى «تابلوه» السيارة ولكنك تستمر فى القيادة متجاهلاً هذا الضوء متمنياً أن يتوقف وبعد قطع بضعة أميال يستمر الضوء فى الوميض ويتزايد شعورك بالضيق. وفى النهاية لا تحتمله ومن فرط الإحباط تتناول مطرقة من درج الآلات وتحطم ذلك الضوء الأحمر وتواصل القيادة مستمتعاً بتلك الطبيعة الخلاّبة الممتدة أمامك. ولكن فجأة يتوقف محرك السيارة تماماً.

إن الضوء الأحمر يمثل مقياس الشعور بالذنب وهو جهاز إنذار داخلى مصمم بحيث يحمينا من المعاناة والموت وهو يمكن أن يومض

فى أى وقت من الليل أو النهار وغالباً ما يكون ذلك ليلاً حيث تقل الضوضاء والتشويش وتضعف الدفاعات بسبب الإرهاق وعندئذ يكون لنا الخيار إما أن نخرس هذا الصوت بأن نكبته أو نحاول صرف انتباهنا لشىء آخر أو نفرغ إحساسنا بالضيق فى شخص آخر أو نستجيب للرسالة التى يقولها فنتوقف و«نركن السيارة» لنفحص حياتنا وأنماط سلوكنا.

لقد حاولت نظريات علم النفس الفرويدى أن تكبت الشعور بالذنب بأن تخفض من حساسية هذا المقياس الداخلى فقد اعتقد فرويد أن الأنا العليا والرسائل التى توجهها للأنا أو الأنا السفلى هى فى الأغلب مثاليات والدية قاهرة لا يستطيع أحد أن يفى بمتطلباتها ويرتفع إلى مستواها وهذه الفكرة قد لوثت كثير من المفاهيم العامة مؤدية إلى مجتمع ملىء بالأشخاص الذين إما يصارعون الاكتئاب أو التمرد على الشعور المكبوت بالذنب. ولكن إذا ما استقبلت رسالة الشعور بالذنب بدقة وتم استيعابها والعمل بمقتضاها يمكن أن تعود الحياة إلى اتزانها ويستمتع بها الإنسان. وهذه هى القيمة العظيمة للشعور بالذنب عندما يكون حقيقياً ويتم التجاوب معه وفهمه بنضوج وعندئذ يصبح الشعور بالذنب علامة إرشادية هامة فى طريق الحياة.

الروح

أما الفئة الأخيرة من وحدات نمو الشخصية فهى تتعلق بذلك الجزء من الإنسان الخاص بالعالم الروحى غير المنظور. ومن الحركات الجديدة التى جلبت إلى المقدمة مفهوم أن الإنسان هو كائن روحى، حركة العصر الجديد بما تتكلم عنه من الوعى الجديد والفكر الجديد.

والطب فى مفهومه الكُلى يبحث عن موارد روحية للقوة والشفاء وتستخدم الدكتورة اليزابيث لويكر - روس المشهورة عالمياً بأنها مرجع موثوق به فى مجال الموت والاحتضار، ما يعرف بالوسطاء لكى تزيد من معلوماتها فى هذا المجال وإن كان هذا الأسلوب كثيراً ما يكون مُضلِّلاً إلاّ أنه يعكس جوعاً روحياً حقيقياً.

وأخيراً وصلت روح الإنسان إلى بؤرة جديدة من الاهتمام بعد حقب طويلة من الجدل والشك العقلانى. والكتاب المقدس الذى هو أقدم وثيقة وأكثرها مصداقية بشأن روح الإنسان يقرر التالى:

«إن روح الإنسان (ذلك الجزء من شخصية الإنسان النابع مباشرة من الله) هو السراج الإلهى الذى يفحص كل ما هو داخل الإنسان» (أم ٢٠ :٢٧).

ويعد تشبيه السراج ملائماً ومفيداً فى هذا السياق. فعندما يلتصق الإنسان بزيج الرفض والتمرد بدلاً من الزيج الإلهى يبدأ فى أن يعيش فى وضعه المائل المتأرجح وتتأثر بذلك روحه.

عندما عملت أنا وزوجتى كطبيبين مرسلين فى غرب أفريقيا اكتشفنا حالة لم تستطع أدويتنا أن تعالجها. وهى أن كثير من الشباب فى أوج الحياة يرقدون ويموتون دون سبب يمكن تمييزه وبناء على طلبنا قام المترجم الذى يساعدنا ببحث الكثير من خلفيات هؤلاء الشباب ووجد أنه فى كل حالة من هذه الحالات قام أحد الأطباء السحرة بوضع لعنة على هؤلاء الشباب ليموتوا دون سبب مفهوم.

وما حدث فى هذا الوقت بالنسبة لأرواحهم يمكن أن يوصف فى إطار السراج والشعلة الداخلية. وكلما قبل أحد هؤلاء الشباب وصدّق

مصيره خبا لهب الشمعة تدريجياً وسرى الموت فى كيانه وفى النهاية مات بالفعل وانطفأت الشمعة وهذا التشبيه يشير إلى ثلاث وحدات متعاقبة من جدار الرفض

تخبو ...

تموت تدريجياً ...

تنطفئ !

وقد لاحظت عملية مماثلة فى مرضى المستشفيات. فبعضهم يرفض أن يموت بينما يمر آخرون فى تلك السلسلة المذكورة سابقاً دون أدنى صراع. ورأيت مراراً وتكراراً أن الشخص إذا ما قبل الرفض أكثر من مرة فإنه يقتنع بأنه مرفوض وسرعان ما تؤكد المشاعر هذه الأفكار حتى تصبح فى النهاية مرتبطة بالروح وهكذا يخبو الرجاء ... ويبدأ

الإحباط ولشرح هذه الطوبة دعنى أقص عليك قصة. فى يوم من الأيام وضع العدو (إبليس) لافتة فى إحدى المحلات ليبيع بعضٍ أدواته، وكان أعلى سعر ملصق على أداة غريبة الشكل، وعندما سئل ماذا تكون؟ أجاب الشيطان إنها «الإحباط» وهى أقوى أدواتى. فإنى أستخدمها مع الإنسان كثيراً حتى آتى به إلىَّ ...

اليأس واستطرد الشيطان وهو يضحك فى حبور بينما يكشف شيئاً فشيئاً عن مؤامراته. «وبمجرد أن يقع الإنسان فى اليأس يصبح ضعيفاً

جداً أمامى! بل يصبح سجيناً وعبداً لى. كم أحب أن أقود المسيحيين إلى اليأس بشأن خدمتهم وعائلاتهم وأمورهم المادية بل وكل حياتهم وبدفعة صغيرة فى الوقت المناسب تنهار معارضتهم لمملكتى إلى الأبد».

وفى كتابه الخالد «**سياحة المسيحى**» يصف يوحنا بنيان وصفاً حيّاً مصيبة المسيحى وصاحب الرجاء عندما يسقطان فى بالوعة اليأس العملاقة عندئذ يصبح السائحان أسرى لهذا العملاق فى جب مظلم كريه الرائحة وبعد أن يضربهم ضرباً مؤلماً ينصحهم بأن يقتلوا أنفسهم. فيقول أحدهم يائساً: «لماذا نختار الحياة ونحن نرى كيف أنها مليئة بالمرارة ؟»

أسباب اليأس

فى وقت متأخر من إحدى الليالى كنت أتثائب وأنا فى طريقى لسريرى عندما رن جرس الهاتِف. وجاء الصوت على الطرف الآخر فزعاً: «بروس تعال سريعاً «ديون» فى السجن». عندما سمعت ذلك استيقظت كل حواسى فجأة وأنا فى حالة من الدهشة وعدم التصديق. فديون لم يكن فقط عضواً فى الكنيسة المحلية بل كان صديقاً عزيزاً لى أيضاً. وبسرعة وفزع ارتديت ما صادفنى من ملابس وتأهبت للإسراع إلى قسم البوليس. كل هذا وعقلى يحاول جاهداً أن يفهم الموقف ولم أستطع إلا أن أعتقد أن هناك خطأً ما.

وبعد ما قابلت بعضِ قادة الكنيسة فى قسم البوليس أبلغونى بملابسات القبض على «ديون». على مدار السنوات الماضية كانت

زوجة «ديون» قد أفضت لى بوجود بعض ميول الجنسية المثْلية عند «ديون». وما حدث مؤخراً هو أن شرطيان قد ضبطا «ديون» فى مكان عام ووجهوا له تهمة محاولة ارتكاب جنحة (ففى المكان الذى حدث فيه ذلك كانت ممارسة الجنسية المثلية تعد جنحة) واستطعنا الإفراج عن «ديون» فى تلك الليلة وعندما خرج إلينا وهو منهار من الأسى والضعف ورأسه مدلاة وبدا لنا رجلاً محطماً تماماً واليأس والقنوط باديان بكل وضوح على وجهه.

وفى الأسبوع التالى بدأ اثنان منّا يلتقيان بـ «ديون» بصفة منتظمة وبسبب إدانته لنفسه والإذلال الذى حدث له بسبب القبض عليه متلبساً بهذا الفعل الفاضح انزلق «ديون» إلى بالوعة اليأس والاكتئاب وزاد الأمر سوءاً أن نشرت صحيفة محلية قصة مبالغ فيها تصف الواقعة. كل هذا أدى به لأن يغرق لقاع اليأس ويصبح كل ما يفكر فيه هو الانتحار.

وتوالت الأيام ونحن (صديقى وأنا) نذهب لمنزل «ديون» لنجلس ونصلى معه. فى البداية شعرنا أننا كأصدقاء أيوب الذين لم يعرفوا ما يقولونه أو كيف يبدأون فظلوا صامتين لسبعة أيام وهم حزانى تعاطفاً وتضامناً مع أيوب.

ولكننا على عكس أصدقاء أيوب، عندما فتحنا أفواهنا لنتكلم كانت لدينا قضية واضحة نتكلم عنها وهى الخطية والتوبة. لقد أصبحت خطية «ديون» على رؤوس الأشهاد. ولكن معركتنا الكبرى كانت مع ذلك الإحساس العميق بالخوف وتأنيب الضمير الذى لا يتوقف لقد كان مقتنعاً أنه ارتكب الخطية التى لا تغتفر وأنها فقط مسألة مرور وقت قبل أن يفتح الجحيم أبوابه ليستقبله لعذاب أبدى.

وحيث أننا لم نستطع أن نقنعه بالكلام أن يتخلى عن موقفه الراغب فى الانتحار لجأنا بقوة للصلاة المكثفة معه وفى أحد الأيام فى الصباح بينما نداوم على صراعنا فى الصلاة جاءنا بعض التشجيع. فبعدما صلينا مع «ديون» لمدة ساعة لاحظنا أنه بدأ يبكى بطريقة مختلفة فلم تكن هذه دموع الشفقة على النفس كما كانت من قبل ولكنها دموع الراحة وفجأة بدا لنا أنه يرى نفسه لأول مرة فى ضوء جديد وأخيراً بكى قائلاً:

«يا أبا الآب (يا بابا)» وبعد هذا الوقت بدأ الله فى رحمته ونعمته يلتقي به ويعيد إضرام فتيلة روحه المدخنة فكانت هذه بداية عودة «ديون» من حياة الشهوة والشذوذ إلى حياة المحبة والحق. وبعد هذا اليوم، كان علينا أن نساعده أن يجتاز آلام عميقة خلال الشهور التالية ولكن النصر الأكبر كان قد تحقق بالفعل وكلما كان إدمانه للشهوة يخفت ويتوارى كانت علاقة حبه لله تنمو وتتقوى كل يوم فقد بدأ يستمتع بقضاء الوقت فى الصلاة والتأمل فى كلمة الله.

ثم أعطاه الله إعلاناً. فقبل ذلك الوقت كان يخدم الله بدافع من الواجب كما يخدم العبد سيده بدلاً من أن يخدمه بدافع الحب والتكريس كما يحدث بين الابن وأبيه. لقد كانت علاقته بالله من قبل علاقة باردة مبنية على معتقدات فكرية ولاهوتية فقط. فقد كان مثقفاً لاهوتياً وماهراً فى تعليم ما كان يعرفه ولكن لم تكن لديه أى عاطفة حب دافئة نحو الله. وخلال الشهور التى تلت بدأنا نرى استعادة هذا الرجل لحيوية علاقته بالله إذ اكتشف اختبارياً **أبا الآب**.

خاتمة

إن اتباع زيج إنسانى من الرفض لهو إعاقة جسمية للحياة، وإذا سمح الإنسان لنفسه بهذا فهو قد يفقد حتى حياته نفسها. والشخص الأكثر عنفاً قد يقاوم القبول السلبى للرفض ويتبنى رد فعل آخر بأن يتبنى زيجاً إنسانياً آخر من التمرد. فالمقاومة الشديدة لزيج الرفض قد تفتح الباب لقبول التمرد فيتأرجح البندول من أقصى اليمين لأقصى اليسار متجاوزاً الخط العمودى المستقيم الذى يمثله الزيج الإلهى. وفى الفصل التالى سوف ننظر عن قرب إلى هذه المشكلة.

نقطة توقف

راجع الوحدات البنائية (الطوب) الذى وضعت أمامه علامة معتبراً أنه يشير لما تعانى منه.

تأمل متذكراً الظروف والملابسات التى أدت إلى إضافة هذا الطوب إلى جدرانك.

هل لا يزال تأثيرها فاعلاً فى حياتك فى بعض الأحيان؟

ماذا يمكنك أن تفعل لتزيل هذه التشوهات؟

الفصل السادس

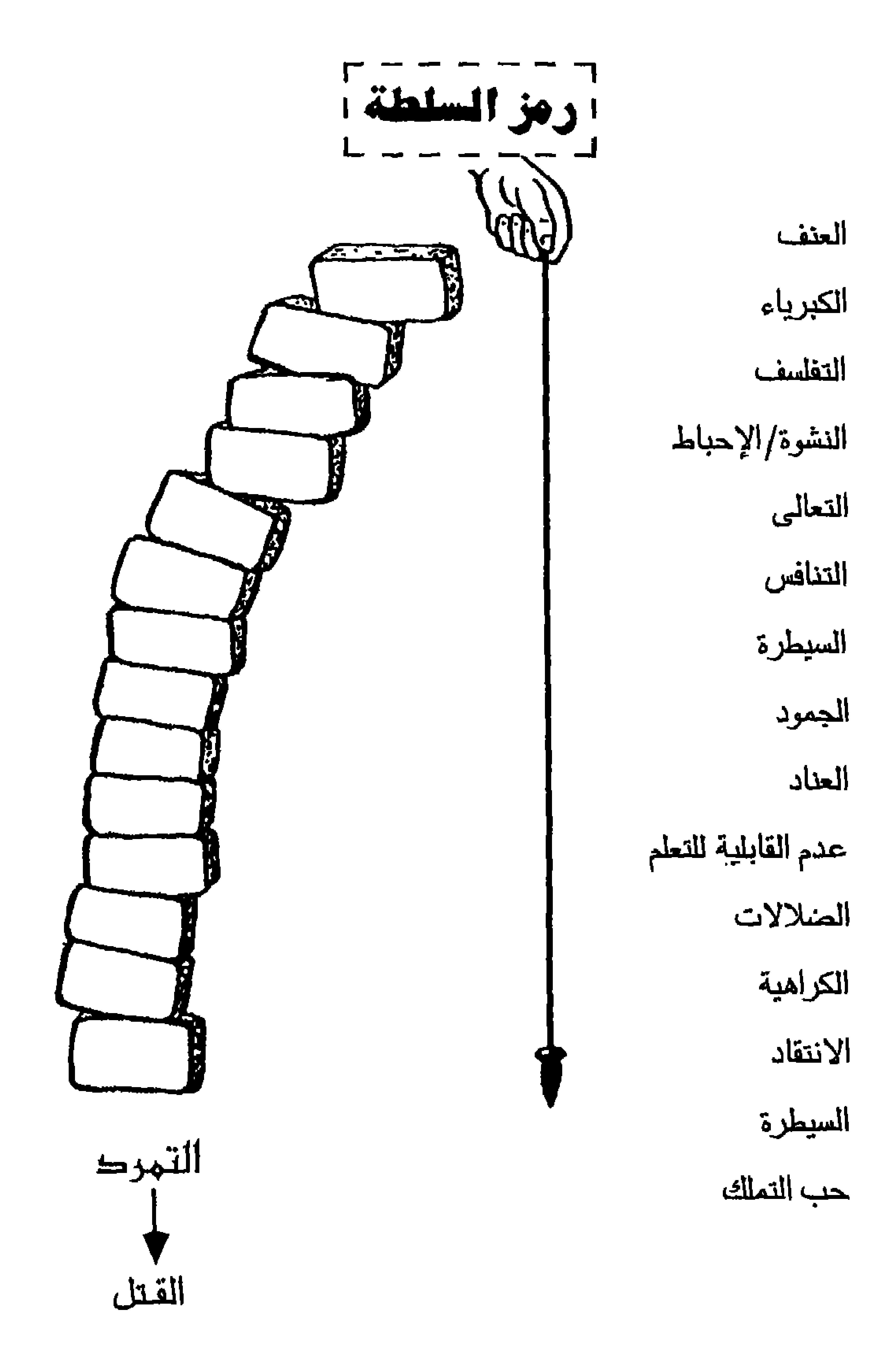
الجدران الدفاعية

(التمرد)

يعتبر «عيدى أمين» حاكم أوغندا السابق مثالاً كلاسيكياً معاصراً للشخصية المتمردة فى أكثر صورها تطرفاً ولكونه ينتمى للنوبيين وهى جماعة عرقية تعيش على الترحال من مكان لمكان فقد شب «عيدى أمين» وهو يتنقل من مكانٍ لآخر مع أمه دون أن يعرف له أباً. وفى أوغندا كان النوبيون هؤلاء يعدّون أدنى طبقات المجتمع لذا فقد كانت الرسالة التى يستقبلها «عيدى أمين» منذ طفولته هى الرفض والاحتقار.

وعندما التحق هذا الشاب بالجيش وارتقى فى سلم الرتب العسكرية نفض عن نفسه بقوة رسالة الرفض التى كان يتلقاها طوال حياته وبدأ فى أن يتبع زيجاً من التمرد فأصابته عقدة التفوق إذ كان يغالى فى تعويض النقص الذى عاناه من نشأته الفقيرة وتعليمه المتواضع لذا فقد أصبح جندياً متشدداً جداً يكافح بلا هوادة ويستخدم أى وسيلة للوصول إلى طموحاته وأطماعه السياسية فقد كان «عيدى أمين» مسئولاً عن تعذيب وقتل ما يزيد على مائة ألف شخص من شعبه منذ سنة ١٩٧١ متشبّهاً فى ذلك ببطله ومثله الأعلى «أدولف هتلر».

لقد كان عنف «عيدى أمين» ظاهراً بشكل خاص فى الطريقة السادية التى كان يعذب بها أعداءه قبل أن يلقى بهم إلى التماسيح


رمز السلطة
العنف
الكبرياء
التفلسف
النشوة/الإحباط
التعالى
التنافس
السيطرة
الجمود
العناد
عدم القابلية للتعلم
الضلالات
الكراهية
الانتقاد
السيطرة
حب التملك
التمرد
القتل

(شكل ١٢)

الجائعة. كما أن قبضته القوية وتسلطه الشديد كانا واضحين في تصميمه على النجاح بالقوة الغاشمة والمكر والحيلة والخداع.

وبالإضافة إلى ذلك لم يعرف غرور «عيدى أمين» واعتداده بنفسه أى حد وفى مرات كثيرة كتب رسائل لملكة إنجلترا يعرض عليها أن يساعدها بحل المشاكل الاقتصادية والسياسية التى تعانى منها المملكة المتحدة بل لقد دعا نفسه ليكون مستشاراً للملكة وناصحاً لها! لقد كان «عيدى أمين» يقف دائماً موقف المدافع عن سلطته وسطوته حتى أنه لم يكن يستطع احتمال أى إنسان يشك فى قدرته. لذا فقد كان يحكم «بالفرمانات» ولم تكن عقوبة من يعارضه أقل من الموت فكانت هذه هى الطريقة الوحيدة التى يعرفها لكى يخرس كل من يتشكك فى قوته وسلطانه ولقد قال «عيدى أمين» ذات مرة: «إننى أعتبر نفسى أقوى شخصية فى العالم» فاضحاً ضلالات العظمة التى كان عقله ممتلئاً بها وكذا روح التسلط والتحكم والعناد والعجرفة.

المشاعر

سوف ندرس الآن جدار التمرد طوبة طوبة كما فعلنا فى الدراسة السابقة لجدار الرفض، ضع علامة أمام الوحدات التى ترى أنها موجودة فى حياتك وسوف نبدأ بالوحدات الخاصة بالمشاعر.

العنف

عندما كنت أقدم مشورة لرجل فى منتصف العمر فى اليابان طفا على السطح موضوع علاقته بأبيه. وفجأة هب قافزاً من مقعده

وصرخ بصوت كاد يخرق طبلة أذنى وهوى بقبضته على المنضدة حتى كاد يكسرها إلى نصفين كما يفعل لاعبو الكاراتيه. فمجرد الكلام عن أبيه سبب له ألماً عميقاً ظهر فى صورة هذا العنف الشديد ولم يؤد الغضب فقط إلى طمس ألمه الداخلى بل عرقل أيضاً نمو شخصية هذا الرجل.

ويمكن التعبير عن الغضب بصورة بناءة، ولكن هذا العنف غير المكبوح قد يكون خطيراً جداً. وعادة ما ينشأ الغضب عن الألم، وإذا كان الألم مستمراً فإن الغضب أيضاً يكون مستمراً.

والشخص الذى يعانى من مشكلة مزمنة من اضطراب المزاج عادة ما يكون فريسة لصراع داخلى غير محسوم أو جرح غائر عميق. وعندما لا يجد الغضب متنفساً مقبولاً فإنه يتسرب إلى الأعماق وتتكون حلقة مفرغة من الكبت المبالغ فيه والانفجار وفقدان السيطرة. ومع هؤلاء الأشخاص قد تتراكم مشاعر كثيرة فيصبح الاكتئاب العميق أو الغضب المتفجر أحد طريقتين وحيدتين للتعبير عن هذا الألم الشديد. وعندما يتم كبت المشاعر المؤلمة بطريقة مستمرة ومزمنة فإنها قد تظهر على السطح فى صورة مرض نفسى أو اضطراب نفسجسمى Psychosomatic.

الكبرياء

إن هذا التشوه يمكن تعريفه فى أفضل صورة بأن يكون المرء متعالياً عزوفاً عن الآخرين، عاكساً نوعاً من الزهو الشخصى والانحصار فى الذات. والشخص المتكبر عادة ما يعانى الوحدة رغم أنه

يخسر إمكانية تكوين صداقات بسبب سلوكه المتعجرف وتعليقاته المقللة من قيمة الآخرين. وعادة ما يشعر المتعاملون معه بأنهم لا ينالون حقهم من التقدير وأنهم صغار وذلك من خلال اعتداده الشديد بنفسه. ويتعاظم شعور هذا الشخص بقيمته وحقه على حساب الآخرين مما يؤدى إلى خسارته لرفقة هؤلاء الأشخاص وصداقتهم.

التفلسف (الحزلقة)

يمكن أن تُسَمَّى هذه الطوبة أيضاً «التفلسف الكاذب» وهو ما يحاول الأشخاص المتكبرون الوصول إليه دائماً. والأصل اللاتينى للكلمة الإنجليزية المترجمة تفلسف يعنى الجدل الكاذب الذى يهدف أصلاً للخداع لذا فإن التفلسف يهدف أساساً إلى التضليل وتجريد الشخص أو الأمر من بساطته الأصيلة. كما أنه يعنى أيضاً الغش والتزييف والاصطناع.

وكثيرون ممن أقدم لهم المشورة ويبدون أنهم متحذلقون سرعان ما أكتشف زيفهم. من الخارج يظهرون متماسكين وسلسين ومسيطرين على أمورهم تماماً ويشيعون جوّاً من الاستقلالية والثقة بالنفس ولكن تحت هذا السطح اللامع المصقول أكتشف أنهم يعانون من عدم الأمان والدونية والمخاوف من أمر آخر.

إن الكبرياء وهذا النوع من الفلسفة الكاذبة عادة ما يؤدى لنشوء حواجز تمنع من إقامة العلاقات الدافئة المُحبّة.

إن الانطباعات الأولى عن الأفراد كثيراً ما تعطينا إحساساً داخلياً إما إيجابياً أو سلبياً بشأنهم. من أين تأتى هذه الأحاسيس الداخلية ؟ وهل

يمكن الاعتماد عليها؟ دعنى أشرح كيف تعمل هذه الأحاسيس من وجهة نظرى.

عادة عندما نقابل شخصاً لأول مرة فإننا - فى رأيى - نعود بسرعة البرق إلى الأرشيف الموجود فى المخ لنبحث فى الماضى عن شخص مماثل لهذا الذى نقابله. ويعتمد إحساسنا الداخلى بالشخص الجديد على ما قد اختبرناه مع شبيهه القديم وهل كانت تجربتنا معه تتميز بالدفء والصداقة أم كانت باردة ومؤلمة. وإذا كانت الذكريات سلبية فإننا عادة ما نميل إلى تجاهل وتحاشى هذا الشخص وهكذا تفشل هذه العلاقة أما إذا كانت الذكريات إيجابية فإننا نتحرك بسهولة نحو توطيد هذه العلاقة الجديدة. ولكن الذى نفشل فيه عادةً هو أن أصعب علاقة يمكن عملها هى أكثر علاقة نريد أن نتحاشاها. ولكننا إذا أرغمنا أنفسنا أن نستكشفها فإننا نجد أن هذه العلاقة تحمل فى داخلها فرصاً عظيمة للشفاء والنمو.

وعندما يفشل الكومبيوتر الداخلى لعقولنا فهو عادة ما يفشل فى التمييز بين الأشخاص الذين يطلّون من الماضى والأشخاص الموجودين فى الحاضر. وللأسف فإننا عادة ما نأخذ برأى هذا الكومبيوتر كما لو كان هو كل الحق. ولكن هذا المثال يوضح لنا كيف أنه يمكن أن يخطئ. لذا فعلينا باستمرار أن نطوّر ونعيد تفسير وتحديث البرامج القديمة لئلا نعيش أسرى الماضى.

الانشراح والإحباط

فى سنة ١٩٧٣ قال «چوشوا لوجان» المخرج والمنتج الموهوب

فى المســرح الأمريـكى هذه الكلمات: «إن الاكتـئـاب لهو أمر مفـزع أمـا الانشراح - الذى هو توأمه غيـر المتمـاثل - فـهو أكـثـر صعـوبة. فبالرغم من أنه يبدو جذاباً للوهلة الأولى إلا أنه عندما يتزايد يعرض الإنسان لخطر أكبر من خطر السقوط فى أعماق الاكتئاب».

لقد قال لوجان هذه الكلمات قبل أن تقول الجمعية الأمريكية للطب النفـسى كلمـتـهـا فى المؤتمر الخـاص بالاكـتـئـاب وتعرض تاريخ هذا الشــخص الذى عــانى لثــلاثين سنة من نوبات الاكــتـئـاب والهـوس المتبادلة.

«ولعل فـى تراثنا المصرى. عـمـلاق آخـر عـانى من نفس الألم وهو صـلاح جاهين الشاعر والرسّام. فقد كان طاقة متفجرة من الإبداع لكنه كان يتردد بين الاكتئاب العميق والنشوة الغامرة وذلك يظهر فى أشعاره وبالأخص الرباعيات. ففى إحدى الرباعيات يقول:

دخل الربيع يضـــحك لقـــانى حـــزين
نـده الربيـع علـى اســـمـى لم قلت مين
حــط الـربيـــع أزهــاره جـنــبـى وراح
وإيش تعـمل الأزهار للمـيـتين ... عـجـبى

وفى رباعية أخرى يقول:

كــــرباج ســـعـــادة وقلبى بيـــه انجلد
رمح كـــأنه حــــصــــان ولف البلد
ورجــــعلـى آخــــر الليل وقــــاللى
ليه مكسوف تقول إنك سعيد ياولد ... عجبى

وهكذا ظل يعانـى الاختناق بين براثن الاكتئاب وسياط النشوة المؤلمة حتى رحل عن الدنياء (المترجم).

وعندما يصادف الإنسان صراعات أو ضغوطاً فإن مزاجه بالطبع يتغير بين الارتفاع والانخفاض. فالأزمات فى مسار الحياة تشبه «المطب» على الطريق فكما يتحرك زنبرك السيارة لأعلى ولأسفل ليمتص الصدمة هكذا تتراوح مشاعرنا بين الارتفاع والانخفاض.

وهذا طبيعى فكما أن السيارة بعد ذلك تستوى على الطريق وتكمل المسير فإننا عادة أيضاً ما نعود لحالتنا الطبيعية ونكمل الحياة ما لم تكن الضغوط أكبر من قدرتنا على الاحتمال. أما إذا وصلت الضغوط لدرجة قصوى فإننا إما أن ننكسر فنقع فى حفرة الاكتئاب أو ننفجر فننطلق فى سماء الهوس أو نظل نتأرجح بين الاثنين بطريقة مؤلمة. وهذا التردد المزاجى قد يكون شديداً لدرجة أنه قد يخرج مشاعرنا عن عقالها فيما يسمى بالذهان أو المرض العقلى. لهذا كله فإن الراحة وحل الصراع الداخلى هى أمور وقائية شديدة الأهمية.

الذهن

إن الفئة الثانية التى أريد أن أتحدث عنها تتعلق بعملية التفكير والتوجّهات الناتجة عنها. استمر فى تحديد الوحدات التى تمثل حالتك بوضع علامة.

التعالى

إن هذا الأمر كثيراً ما نراه فى الأوساط العلمية والأكاديمية والتى فى كثير من الأحيان قد أصبحت نظاماً.

وكثيراً ما لا يتعامل أولئك الذين يحملون مؤهلات عليا مع من هم

دونهم فى الرتبة إلا لأمور محددة وفى إطار ضيق جداً إن كان هناك أى اتصال على الإطلاق ولكن عندما يتعامل الناس دائماً بهذا الأسلوب المتعالى فإن هذا غالباً ما يعكس محاولاتهم الدائمة للتعويض عن شعور دفين بالدونية فعندما ينقصون من قدرنا فهم يشعرون بالارتفاع.

إن هذا الجو من التفرد والتميز الذى يحب أن يشيعه البعض ليس سوى محاولة للتغطية والتعويض عن شعور مؤلم ومكبوت بالدونية وصغر النفس. وهذه المشاعر قد تكون قد تثبتت فى أذهاننا لسنين طويلة نتيجة لتصرفات الآباء والأمهات الذين يسيئون إلى أبنائهم أو اضطهاد الزملاء واحتقارهم وهذه الطوبة من التعالى كثيراً ما تعزل الشخص وتحرمه من التمتع والحفاظ على علاقات مشبعة فى حياته.

التنافس

كان جراهام يبدو للوهلة الأولى فى ريعان العمر وكل شىء فى حياته على ما يرام ولكن عندما جلس معى فى مكتبى وتأمل السنين التى قضاها والمجهود والطاقة التى بذلها فى الأعمال المتعلقة بالكنيسة بدأ فى البكاء فلقد بدأ يلاحظ وهو مجهد وعلى شفا الانهيار التام أنه كان يتنافس على حب الناس وربما الله أيضاً كل أيام حياته. كيف وصل جراهام لذلك الوضع؟ ما الذى عرّضه لهذا الأسلوب فى الحياة؟ لقد نشأ هذا الشاب، مثله مثل كثيرين غيره، فى بيئةٍ لا تقبل ولا تشجع إلاّ من يكون أداؤه حسناً. فقد كان حب والديه المشروط دائماً ما يتطلب الحصول على مستويات خاصة والحفاظ عليها كالدرجات العليا فى المدرسة والأداء الأمثل فى الرياضة وغيرها من مجالات الحياة. وبالرغم من ذلك فحتى عندما كان يقوم بأفضل أداء فإنه كان يحصل

على أقل تشجيع أو لا تشجيع على الإطلاق ولكن حظه من النقد واللوم كان دائماً وفيراً والتشجيع عندما كان يقدم نادراً فللتأكيد فقط على أنه كان يمكنه أن يؤدى أداءً أفضل ومراراً وتكراراً قيل له: «لا أقبل أن يكون لدى ولد يعود للبيت بهذه الدرجات!» والرسالة المتضمنة فى هذا الكلام هو أنه إن لم يؤد أداءً أفضل سوف يكون مرفوضاً. ولكن هذا النوع من الحب المشروط يؤدى إلى إقامة أهداف لا يمكن الوصول إليها ومقاييس لا يمكن إرضاؤها فى أذهان الأطفال وبسبب مثل هذه التنشئة فإن كثيراً من البالغين اليوم يقومون بأداء وظائفهم للحصول على الحب والتشجيع وإثبات الذات. حتى خدمة الإنسان لله يمكن أن تكون محاولات مستميتة للفوز بمحبة الله المقدمة مجاناً وليس علينا سوى أن نقبلها.

منذ بضعة سنوات مضت، بدأ الله يظهر لى أهمية تشجيعى لأولادى مايكل ويوئيل، فى أوقات لم يكونوا يفعلون فيها شيئاً سوى أنهم يتصرفون بطبيعتهم. فعندما كنت أراهم يجلسون على الأرض يلعبون بالمكعبات، لعبتهم المفضلة عندما كانوا أطفالاً، أو عندما كنت أراهم يقرأون كتاباً أو مجلة كنت أضع ذراعى حول أكتافهم وأعبر لهم عن حبى وتقديرى لهم. وعلى مدار السنين واصلت فعل هذا.

وأعتقد أنهم كانوا يكبرون وينضجون كانت تصلهم رسالة أن والدهم يحبهم لشخصهم وليس لما يفعلونه.

التسلط

يتزايد هذه الأيام عدد الزوجات اللاتى لا يلعبن فقط أدواراً رئيسية

فى حياتهم الزوجية بل يتسلطن على العلاقة بكاملها. وهذا النمط فى الزواج الحالى يثير اهتمام وقلق علماء الاجتماع.

ما الذى يسبب هذا التحول الكبير فى الأسرة؟ إن هذا التسلط ينشأ من الإحساس بعدم الأمان الذى ينشأ بدوره من العجز فى الحب. فالأزواج إما أن يكونوا قد نسوا أو لم يعرفوا أبداً كيف يحبون زوجاتهم وعادة ما يشتهونهم غير مفرقين بين الشهوة والحب. إن تعبير الشهوة والحب قد استخدما كثيراً وكأنهما مترادفين مع أنهما فى الحقيقة أقرب إلى أن يكونا متضادين. فعلاقة الشهوة تترك الزوجة وهى تشعر بأنها تستخدم وبالتالى لا تشعر بالأمان وبالتالى ينشأ الإحباط وربما البرود الجنسى ولتجنب حدوث هذا، قد تحاول الزوجة التأثير على زوجها لكى تحصل منه على الحب الذى تفتقر إليه. وهذه التحركات التى تهدف إلى السيطرة قد تؤدى فى النهاية إلى تدمير العلاقة بالكامل وهذا بالتحديد ما يحدث فى كثير من الأسر هذه الأيام.

الجمود

أن تكون جامداً فهذا يعنى: ألاّ تكون مَرِناً بل صلباً غير مستعد لتقديم أى تنازلات. وهذا التشوه فى الشخصية كان واضحاً جداً فى أحد الشبان فى الفصل الذى كنت أُدَرِّسه. فخلال وقت المناقشة بعد إحدى محاضراتى وقف هذا الشاب وبدأ فى فصاحة شديدة يوضح وجهة نظره. وعلق الحاضرون بعض التعليقات ولكن البعض الآخر أظهروا صراحة عدم موافقتهم على آدائه. وجلست فى هدوء أتابع ما يحدث، وسمحت للمناقشة أن تستمر ولاحظت كيف أنه كان متشبثاً بآدائه بجمود شديد مهما قال الآخرون وفى النهاية رفع صوته وقال جملته

الأخيرة واندفع خارجاً من الغرفة ولأن كل كيانه كان مشبعاً بآرائه لم يستطع تحمل أن يكون مخطئاً وكان قبوله لفكرة أن آراءه مضادة لآراء الآخرين يعنى أن يرى نفسه مخطئاً وهذا يقلل من قيمته ومكانته من وجهة نظره.

ومنّا من يضع ثقته فى نظام ما كالبيت أو الوظيفة أو الدراسة وتسبب له فكرة التغيير رد فعل مبالغ فيه. ولكن هذا التصلب كثيراً ما يقف عقبة أمام نمونا. ونستطيع أن نرى هذا التشوه فى الزوج الذى يعبر عن ضيقه وتصلبه عندما تغير زوجته مكان كرسيه المفضل بعد تنظيف حجرة المعيشة. ماذا تكون ردود أفعالنا عندما تتغير الأمور المُفَضّلة فى حياتنا؟ هل نستمد هويتنا مما يحيط بنا من أمور وأنظمة؟

العناد

يحكى الكتاب المقدس قصة حمار عنيد (عدد ٢٢ :٢٢، ٢٣) ولكن فى النهاية أثبت صاحب الحمار بلعام أنه أكثر عِنداً من حماره فقد سرج الرجل حماره فى الصباح الباكر وتأهب للانطلاق فى رحلة طويلة ولم يمضى وقت طويل فى المسير حتى توقف الحمار. وهنا نفذ صبر الرجل وضرب الحمار بعصبية محاولاً أن يعيده مرة أخرى للطريق ولكن على العكس اندفع الحمار وارتطم بحائط من الصخور وهشم قدم سيده ثم ضرب السيد الحمار مرة أخرى ولم يكن يعلم أن الحمار كان يطيع أمر الملاك الواقف على الطريق مستلاً سيفه. لذا فقد حاد الحمار عن الطريق ثلاث مرات لكى يحمى صاحبه من سيف الملاك ولكن هذا الصاحب العنيد كان يضربه على ذلك.

وفى النهاية عندما خر الحمار وسقط صاحبه من فوقه هدده صاحبه بأنه سوف يقتله عندئذ انفتحت عيناه ورأى ملاك الرب واقفاً أمامه وسيفه لايزال مسلولاً.

إن عناد الإنسان الشديد كما يظهر فى تلك القصة هو أحد التحديات الكبيرة والمعارك النارية التى يخوضها الله ليتمم خلاصه فى الإنسان.

والعناد عادة ما ينشأ أيضاً من عدم الأمان فى موقف جديد والنتيجة هى الفشل فى الثقة بالله وطاعته. والعناد قد ينشأ أيضاً من العادة التى تترسخ على مدار زمن طويل وبالذات الأنماط السلوكية تجاه رموز السلطة الذين أساءوا استخدام سلطاتهم ومواقعهم.

عدم القابلية للتعلم

إن بعض الناس يجدون صعوبة فى الاعتراف بأنهم قد تعلموا شيئاً جديداً فهم يعتقدون أنهم إذا اعترفوا بذلك فهذا يعنى تقليلاً من شأنهم حيث أن الكثير من كرامتهم الشخصية متعلق بما يعرفون. فبدلاً من أن يتكيفوا مع التحديات فى الحياة ويزدادوا حكمة من تعلم أشياء جديدة فإنهم يدفعون بأنفسهم إلى أزمة هوية.

وفى تاريخ الكنيسة نرى أن الكثير من الانقسامات كانت بسبب هذا التصلف وعدم قابلية التعلم والوداعة. إن الكتاب المقدس لا يقول إننا نتحد عندما نتفق كلنا عقائدياً ولكنه يقول إن لا شىء يمكن أن يفصلنا عن محبة المسيح فالمحبة وليس العلم هو الذى يسهل لنا أن نتعلم من بعضنا البعض. ومن خلال الحب نستطيع أن نشارك

بعضنا البعض بالحق وهكذا ننمو لذلك الذى هو الرأس المسيح كلّى العلم والمعرفة.

الروح

إن الفئة الأخيرة تتعلق بالروح، ذلك الجزء من الإنسان الذى به يتواصل مع العالم الروحى غير المنظور. استمر فى تحديد الوحدات التى تجد أنها تختص بك.

الضلالات

عندما يصير الخداع مُزمناً قد يتحول إلى ضلالة. لقد وجدت سيدة فى منتصف العمر صعوبة بالغة فى أن تغفر لزوجها الذى كان قد خانها مرة واحدة فكانت كلما لاحظت عليه إعجاباً بسيدة جميلة أو أى نزوة عاطفية تروح تنسج القصص والحكايات فى ذهنها معتقدة أن له علاقة مشبوهة وبالرغم من أنها لم تجد أى دليل ثابت على أى من أفكارها هذه إلا أن زوجها كاد ينهار تماماً تحت وطأة هذا الشك المستمر. وإذا لم نصحح هذه الضلالات فقد تتطور إلى درجة ضلالات الشك الذهانية حيث يحتاج المرء عندئذ إلى علاج متخصص.

المرارة والكراهية

إن الكراهية تتولد فى قلوبنا عندما نفشل فى الغفران عندما

نتعرض للإهانة أو الجرح بكلمة أو تصرف أو رد فعل فإننا نواجه الاختيار إمّا أن نغفر أو أن نكره. وإذا غفرنا فإننا عندئذ نكون مستحقين غفران الله لخطايانا. ولكن إذا سمحنا بالكراهية أن تدخل قلوبنا فإننا نضع عقبة أمام غفران الله ونفتح الباب أمام المرارة لكى تستوطن داخلنا.

إن الكتابُ المقدس يريدنا أن نكون حذرين لئلا يطلع أصل مرارة فى أى واحد منّا ويتنجس به كثيرون (عب ١٢:١٥). وإذا سمحنا للمرارة بالدخول إلى قلوبنا فإنها تكون كالعشب الضار الذى له جذر قوى مزروع داخلنا وبمجرد ما أن نسمح لهذا الجذر أن يُزْرَع فإنه سرعان ما ينتشر ليسيطر على القلب بالكامل بل ويلوث الذهن والروح والجسد جميعاً.

واذكر أننا تعبنا وعرقنا فى حديقة منزلنا فى هاواى لكى نقضى على أحد أنواع الحشائش الضارة سبب لنا مضايقة شديدة فإذا استطعنا اقتلاع الحشائش عندما يكون طولها حوالى ٣ سنتيمترات فإنها لا تسبب مشكلة ولكن عندما يُتْرَك الجذر ليكبر قليلاً فإننا نحتاج لمعول لكى نقتلعه من الأرض.

إن غفراننا لبعضنا البعض هو جوهر المحبة وعدم الغفران هو أن نحمل داخلنا المرارة وقسوة القلب. إن المرارة قد دمّرت زيجات وأسراً بل ومجتمعات كثيرة ولا نريدها أن تدمرنا نحن أيضاً.

إن المرارة يمكنها أيضاً أن تعرضنا لاضطرابات جسدية ونفسية لا يمكن علاجها بنجاح قبل أن نستأصل أصل المرارة بالغفران.

الانتقاد

إن تَوَجّه الانتقاد يؤدى إلى عدم الرِضا الذى يطرد أمامه كل تقدير أو عرفان. وعندما يحدث هذا فإن تركيزنا ينقلب على ذواتنا وننغمس فى الشفقة على النفس. وقد نحاول أن ندافع عن حبنا للنقد على أنه «نقد بنَّاء» ولكنه العكس تماماً لأنه يحتوى على أصل مدمر. وعندما نكون كثيرى الانتقاد فهذا أمر سلبى وقد يدمر الآخرين. لذا فيجب أن نتعلم أن نلاحظ الفِرق بين «التفكير النقدى» الذى يجعلنا ثاقبى البصيرة وبين «الروح المنتقِدة» التى تقلل من قيمة الآخرين.

السيطرة وحب التملك

إن هاتين الطوبتين فى الجدار المبنى حول القلب تتصلان ببعضهما بصلة وثيقة. لأن إحداهما تؤدى للأخرى. فنحن قد نلجأ للسيطرة والتحكم كرد فعل لعدم الأمان والشعور بالألم فى محاولة أن تكون لنا اليد العليا فى الأمور فكلما زادت السيطرة فإنها تتحول إلى صفة حب التملك فى الشخصية وتجعلنا نريد أن نحيا حياة الآخرين بدلاً منهم وهذا التشوه يصير سلاحاً مميتاً يقتل كل العلاقات لأنه يخنق الشخصية الفردية.

المناورة

سوف نركز على طوبة ربما تكون من أقوى ما يتكون منه الجدار. فالمناورة هى جانب مدمّر من جوانِب الشخصية يمكن أن يشابه المحبة ولكنه فى نفس الوقت يعوقها ويدمّرها. ولهذا السبب فإن

المناورة هى عامل رئيسى فى صراعات الزوجية وتداعى العلاقات الأسرية.

والمناورة هى محاولة التأثير على الأشخاص أو الظروف من خلال وسائل خادعة وغير مباشرة ويصف قاموس وبستر المناورة بأنها الخداع بمعنى:

التغرير: انتظار الفرصة للانقضاض.

الإغراء: الأمور الجذابة المضِرّة فى النهاية.

الخبث: التقدم ببطء لكى تتمكن قبل أن تفصح عن وجودك. إنه إحداث الأثر التدريجى ولكنه متراكم.

والمناورة بطبيعتها تنطوى على **عدم الأمانة** ولكن المحبة على النقيض من ذلك تعمل على أساس الأمانة والمصارحة والشخص المناور غير أمين وذلك لأنه يحيا سلسلة من الخِدع والحيل والتمثيل حتى يصعب على المرء عادة أن يحدد ما هى حقيقة الشخص بالفعل.

والشخص المناور دائماً ما يقوم بألاعيب مع الحياة ولكن الشخص المُحِبّ يشعر بحرية وراحة مع نفسه فهو يستطيع أن يكون حقيقياً ومنفتحاً على الآخرين بكل إخلاص.

والجانب الثانى من المناورات هو أن يكون الشخص غير واعٍ بما يجرى حوله فالشخص المناور غالباً ما تكون رؤيته **تلسكوبية**، حيث يرى فقط ما يريد أن يراه ويسمع ما يريد أن يسمعه حتى ولو كان الموقف واضحاً لا لبسٍ فيه فإن الشخص المناور قد يبدو غير مستوعب أى جزء منه لأنه مُرَكِّز كل انتباهه على مكسبه الشخصى فقط وهكذا يصير ضميره شديد العتامة فلا يرى.

وعلى العكس من ذلك نجد الشخص المحب قادر أن تكون له اهتمامات مختلفة ومتنوعة ويتلقى معلوماته من مصادر متنوعة حوله دون أن يكون محبوساً فى اهتماماته الضيقة بل يكون مسترخياً وقادراً أن يستمتع بالطبيعة والموسيقى والفن والجمال الذى فى العالم.

أما الجانب الثالث من المناورة فهو **حب السيطرة** فالشخص المناور يحيا وكأنه لاعب شطرنج هدفه الأوحد هو هزيمة منافسه لذا فهو يبحث عن السيطرة بأى ثمن وينظر للحياة باعتباره دور شطرنج يجب أن يكسبه وعلى العكس فإن الشخص المحب لا يحتاج لهذه السيطرة ولكنه يستمتع بحرية التعبير لذا فهو قادر أن يسترخى.

والجانب الرابع من المناورة هو **عدم الثقة** فى العلاقات، فالمناور يجد صعوبة بالغة فى أن يثق بالآخرين وبالتالى فى أن يثق بنفسه فهو دائماً يفكر كيف تكون له اليد العليا والسيطرة فى العلاقة. أما الشخص المحب فهو يستمتع بالعلاقات إذ يثق بالآخرين بحرية.

وللأسف فإن أغلب الزيجات هذه الأيام هى زيجات مبنية على المناورة والرغبة فى التأثير فى الآخر فالرجل يتزوج لكى يحصل على الحب من زوجته والمرأة تتزوج لتحصل على الحب والأمان وكل منهما يناور وهكذا يبنى الزواج على أسس هشة.

ما هو الحب ؟

ما هو التعريف الكتابى للحب؟ إن الحب هو إنشاء علاقة مبنية على **العطاء** أما المناورة فهى علاقة مبنية على **الأخذ**.

لأنه هكذا أحب الله العالم حتى حصل علينا؟ **لا!**

بل «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو ٣:١٦). إن مفهومنا عن الحب قد تشوه بحيث أصبح الدافع للحب هو الأخذ وليس العطاء فأصبح لسان حالنا: «إننى أحتاج أن أحصل على زوجة» أو «أريد زوجاً» ولكن ليس هذا هو الدافع الذى أراده الله للزواج ولا هو الدافع المتوافق مع الزيج الإلهى لعلاقات المحبة. إن الحب كثيراً ما يشيع فى المجتمع ووسائل الإعلام تقذفنا يومياً بحمم مشتعلة تحت اسم الحب وهى لا ترقى إلا لأن تكون شهوة خالصة.

أنواع المناورين

توجد أربعة أنواع من المناورين أريد أن أتكلم عنهم:

١- **المناور الإيجابى**: وهدفه هو الحفاظ على السيطرة بأى ثمن وهو يتحاشى مواجهة ضعفاته ويعلى من شأن نقاط القوة فيه محاولاً دائماً أن يكون فى المقدمة وفى علاقاته دائماً ما يقدم نفسه على أنه الشخص القوى المهيمن على الجميع كلما استطاع.

٢- **المناور السلبى**: هو شخص أكثر صعوبة فى تحديده لأن تعبيره عن المناورة ليس واضحاً صريحاً. وهدفه ليس السيطرة ولكن الدفاع. فهو يلعب دور الشخص عديم الحيلة، المحتاج والذى يستخدم الشفقة على النفس لكى يكسب من خلال الظهور بمظهر الخاسر والضعيف. وبلعبه لدور الضعيف يناور للحصول على الحب والشفقة من الآخرين.

وفى يوم من الأيام رأيت هذين النوعين بوضوح عندما زرت مع أسرتى بعض الأصدقاء. لقد أخذنا معنا كلبتنا المدللة شيبا وبينما كنا منشغلين بتحية أصدقائنا فوجئنا بسماع صوت زمجرة عميقة من خلفنا وعندما التفتنا وجدنا كلبتنا واقفة وسيقانها مشدودة ورأسها وذيلها مرفوعان وشعرها الذهبى منتصباً فى غضب وترقب وأمامها يرقد كلب أصدقائنا الأسود الكبير، صورة واضحة من الخضوع - إذ يرقد على ظهره رافعاً أرجله الأربعة إلى فوق ومدلياً لسانه الوردى وبعد لحظات قليلة انتهى الموقف العصيب وقضى الكلبان بقية الوقت يلعبان ويطاردان بعضهما البعض.

والواضح أن شيبا لعبت الدور الإيجابى بينما لعب الكلب الآخر الدور السلبى فى هذه المواجهة.

٣- **الشخص المنافس:** هو النوع الثالث من المناورين وهو شخص أكثر قدرة على تغيير المواقف فهو يستطيع لعب الدور الإيجابى والدور السلبى معاً بحسب ما تقتضى الظروف، وهدفه دائماً هو الفوز لذا فإنه يستخدم مهاراته فى المناورة وكل الآخرين فى نظره ليسوا سوى منافسين.

٤- **أما المناور غير المبالى:** فهو يتميز بأنه لا يحب أياً من الوضعين السلبى ولا الإيجابى فهو لا يعبأ بأى شىء ولكنه عندما يقول بأنه يهتم فإنه يناور مع نفسه بشكل خبيث إذ يخدع نفسه ويهرب من مواجهة مشاعره الحقيقية. فهو يهتم وما يجرى حوله

يعنيه لكنه ينكر ذلك ويكبت مشاعره مناوراً بذلك مع نفسه. وكل هذا يتم باسم **الحب** وهو ما يدمر العلاقات بطريقة خبيثة ولكنها شديدة القوة فى نفس الوقت.

إن المناورين لا يستريحون أبداً وكأنما حياتهم هى دور طويل من الشطرنج لذا فهم يتعرضون للضغوط والشد العصبى وهم يطاردون ذلك الهدف المراوغ دائماً.

وإننا إذ نتبع الزيج البشرى من الرفض إلى نهايته يصبح واضحاً أن النهاية الحتمية لرفض النفس هى **الانتحار** الذى تزداد نسبته بشكل مخيف وعلى الجانب الآخر نجد أن الزيج البشرى من التمرد قد يدفع فى النهاية إلى **القتل** حيث نفرغ غضبنا على شخص آخر بدلاً من أنفسنا.

الخيار الوحيد

عند اتباعنا الزيج البشرى قد نشعر أن الخيارات من الرفض أو التمرد محدودة للغاية. هل هناك خيار آخر؟ نعم. يوجد الزيج الإلهى الحقيقى ولكن انتظر قليلاً! يجب أن تدرك ما ينطوى عليه هذا الاختيار حيث أن قبولنا للزيج الإلهى هرباً من الانتحار أو القتل يجب أن يتضمن قبولنا أن **نُصْلَب**. «ويا له من خيار!»

وماذا نعنى بالصلب؟ إن الصلب فى جوهره هو أننا إذا اخترنا أن نتبع الزيج الإلهى علينا أن نقبل صليب المسيح أى أننا يجب أن نصلب الجسد مع الأهواء والشهوات الدنسة التى تدفعنا من أحد طرفى النقيض إلى الآخر دون رحمة.

إننا يجب أن نكون مستعدين يومياً لأن نطهر أنفسنا من الشهوات العتيقة ونتبع الحياة الجديدة حياة الحق والحب ونميت الأنانية والانحصار فى الذات والشهوة والطمع على الصليب لكى يحيا المسيح فينا. «من يجد حياته يفقدها ومن يخسر حياته يجدها» (مت ١٠ :٣٩).

فى الفصل التالى، سوف نرى كيف أن الجدران التى نبنيها تكون صورة للشخصية وسوف نفحص كيف أن تأثيرات هذه الجدران على الأفراد والأسر والمجتمع هى تأثيرات بالغة الشدة وبعيدة المدى.

تعال جانباً

ارجع الآن إلى الوحدات البنائية (الطوب) الذى وضعت أمامه علامة باعتباره متصلاً بحياتك وتساءل كيف بنيت هذا الطوب وصنعت منه جدراناً حول قلبك؟ هل تستطيع تتبع الأصول؟ تأمل الظروف التى أدت إلى بناء هذه الجدران.

هل لاتزال تؤثر عليك حتى الآن؟

الفصل السابع

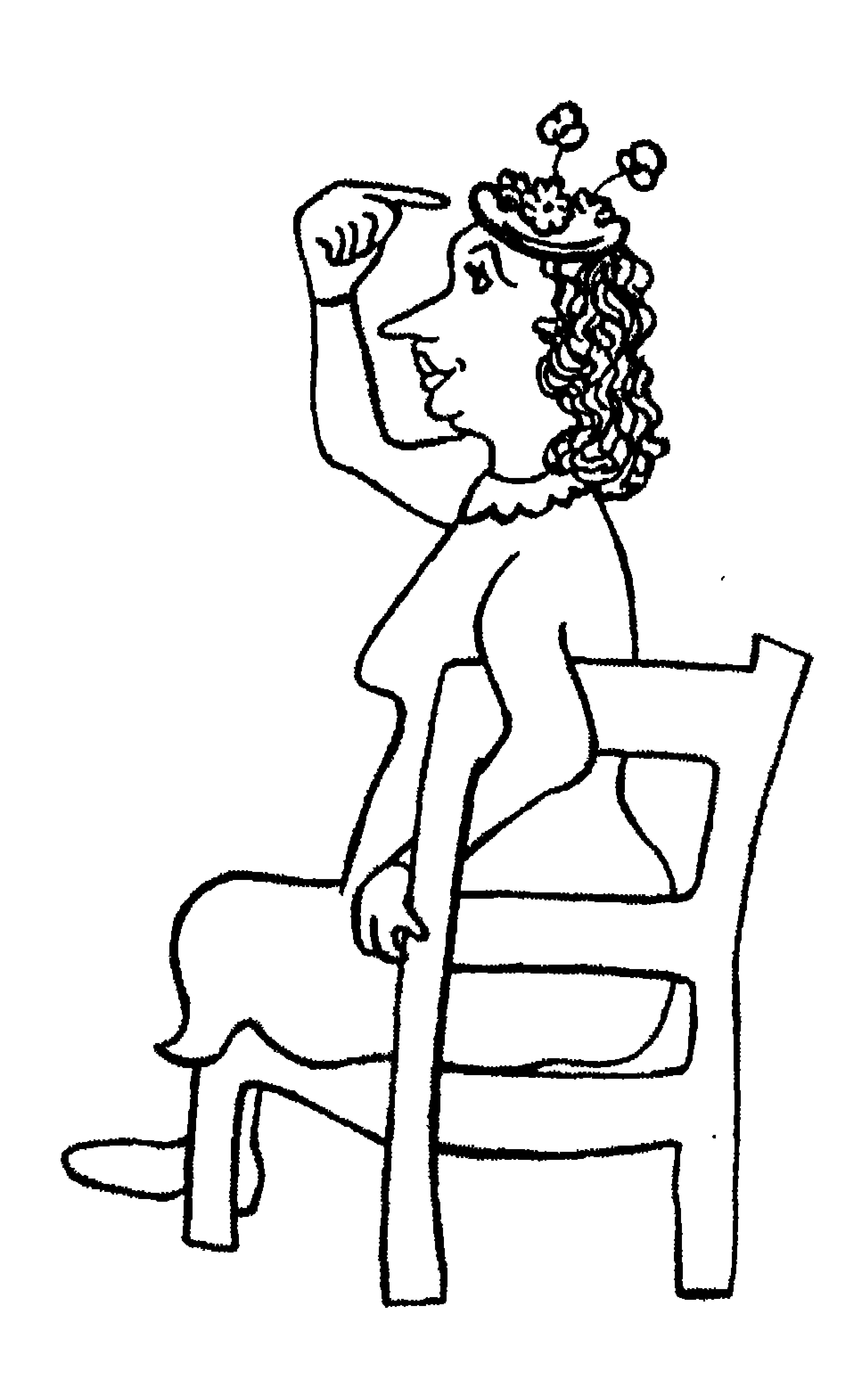
أنماط مختلفة من الشخصيات

قد يكون اكتشافنا للجدران التى نبنيها وما تتكون منه اكتشافاً مُحزِناً، وبالأخص عندما نتأمل كيف ظلت هذه الجدران تأسرنا لمدة طويلة. وهذه الجدران بالطبع هى رموز ليس فقط لدفاعاتنا بل أيضاً لأنواع شخصياتنا التى تبدأ فى الظهور منطلقة إما من الرفض أو التمرد.

وفى هذا الفصل سوف ندرس أربعة أنواع من الشخصيات ونحاول فهم كيف ولماذا تصير هكذا. وهذه بالطبع ليست الأنواع الوحيدة ولكن هى شخصيات شائعة حولنا.

عندما نبحث تكوين الشخصية نجد أن هناك جوانب مورُوثة وأخرى مُكْتَسَبة والخلاف الذى ذكرناه من قبل بين دعاة الطبع ودعاة التَطَبُّع يؤكد أنه ليس من السهل وضع خط فاصل صريح بين ما هو ثابت فى الشخصية وما هو متغير. ولكن الكتاب المقدس يعطينا بعض الإرشادات.

وفى هذه الدراسة نحن بصدد البحث عن جوانب الشخصية المكتسبة أو المتغيرة المشار إليها فى أفسس ٤ :١٣ حيث يتحدث بولس الرسول عن الحاجة للنضج والنمو إلى قياس قامة المسيح.



المسيحى المطيع

(شكل ١٣)

المسيحى المطيع

إن مثل تلك الشخصية تستخدم زيج الرفض كنقطة ارتكاز فى حياتها وهكذا تلجأ هذه الحياة المسيحية المذعنة إلى رموز السلطة البارزين لتملأ احتياجها دائماً ولعل العبارات التالية تساعدنا أكثر على فهمها:

«سوف أساعدك فى أى شىء تطلبه»

«سوف أخدمكِ فى أى وقت»

«سوف أكون وفياً لك»

«سوف أشجعك على الدوام»

«إننى أصلى من أجلك بانتظام وإخلاص»

ولسان حالها يقول لرمزالسلطة:

«لاحِظ وجودى!»

«شجِّعنى»

«كن ظريفاً معى»

«اسمعنى»

«أهتم بى»

«كن قريباً منى عندما أحتاجك»

«لا تخذلنى وترفضنى»

إن الأشخاص المطيعين بهذه الطريقة يمكن أن يكونوا خُدَّاماً ومساعدين رائعين وعادة ما يكونون شديدى الحساسية والاهتمام

بالآخرين لذا فالعمل فى المشورة والخدمة كثيراً ما يبدو مُشَجِّعاً بالنسبة لهم.

إن تعبير المسيحى المطيع يمكن أن يتلخص فى نوعين رئيسيين من ردود الأفعال تعبر عنهما عبارتى:

«إننى مستعد أن أفعل أى شيء تريده!»

«من فضلك .. أحببنى»

إن الشخصية المُذْعِنَة هذه يمكن أن تشكل خطراً كبيراً لنفسها وللآخرين؛ فاحتياجات هؤلاء الأشخاص للتشجيع والحب يجب أن تُلَبّى حتى ولو على حساب الحق والمبادئ. إنهم يميلون إلى المراوغة ومحاولة إرضاء الناس ولكون هذا السلوك نابعاً عن رغبة غير متزنة للحصول على العطف والتشجيع فإن السلوك اللا أخلاقى والنجاسة هى فخ مستعد دائماً لأن يوقع بهم. فلو خيب أحد رموز السلطة رجاءهم فيه، سواء فى الواقع أو فى خيالهم، فإنهم يغوصون فى أعماق الإحساس بالرفض والاكتئاب وكلما حدث ذلك أكثر زاد انسحابهم وقلت قدرتهم على الثقة فى العلاقات المستقبلية. والكثير من قادتنا الروحيين وقعوا فى شباك هذه الشخصية المذعنة سواء فى أنفسهم أو فى آخرين.

ومن الأمثلة القديمة لهذه الشخصية: والتى نجدها فى سفر صموئيل الأول (١صم ١٥:٢٤) شخصية شاول. فبعد الانتصار فى المعركة، تجاهل شاول وصايا الله التى أعطاها لتحريم عماليق ساعياً بذلك للحصول على رضا الناس والمجد الذى مِن البشر حتى أنه بنى نَصَباً لنفسه على جبل الكرمل. ولأن شاول خَشِىَ الناس فقد سعى فى طلب التشجيع والمساندة منهم ولم يخشى الرب فلم يطعه. إن هذا

الإذعان للناس أدى إلى خسارته لملكه تماماً من خلال تدهور تدريجي حزين لشخصيته وقيادته.

وعندما تقابل الشخصية المُذْعِنَة كثيراً من المعوقات فإنها قد تتحول لنوع آخر من الشخصيات سوف ندرسه فيما يلى.

شخصية (لا أستطيع)

«لم يعد أحد يهتم بى»

«لا أحد يهتم بأن يقول لى ماذا يحدث»

«لا أحد يعطينى جزءاً من وقته»

«لا أحد يزورنى»

«لا أحد يهتم بالصلاة معى عندما أكون مكتئباً أو مريضاً»

«لا أحد يحبنى»

هذه بعض من العبارات التى نسمعها كلما قابلنا أى واحد من أصحاب شخصية «لا أستطيع» والصراع الأكبر لدى هذه الشخصية يكمن فى الرغبة فى الشعور بأنها مرغوبة أو نافعة. فقد نسمع هؤلاء أيضاً يقولون عبارات مثل:

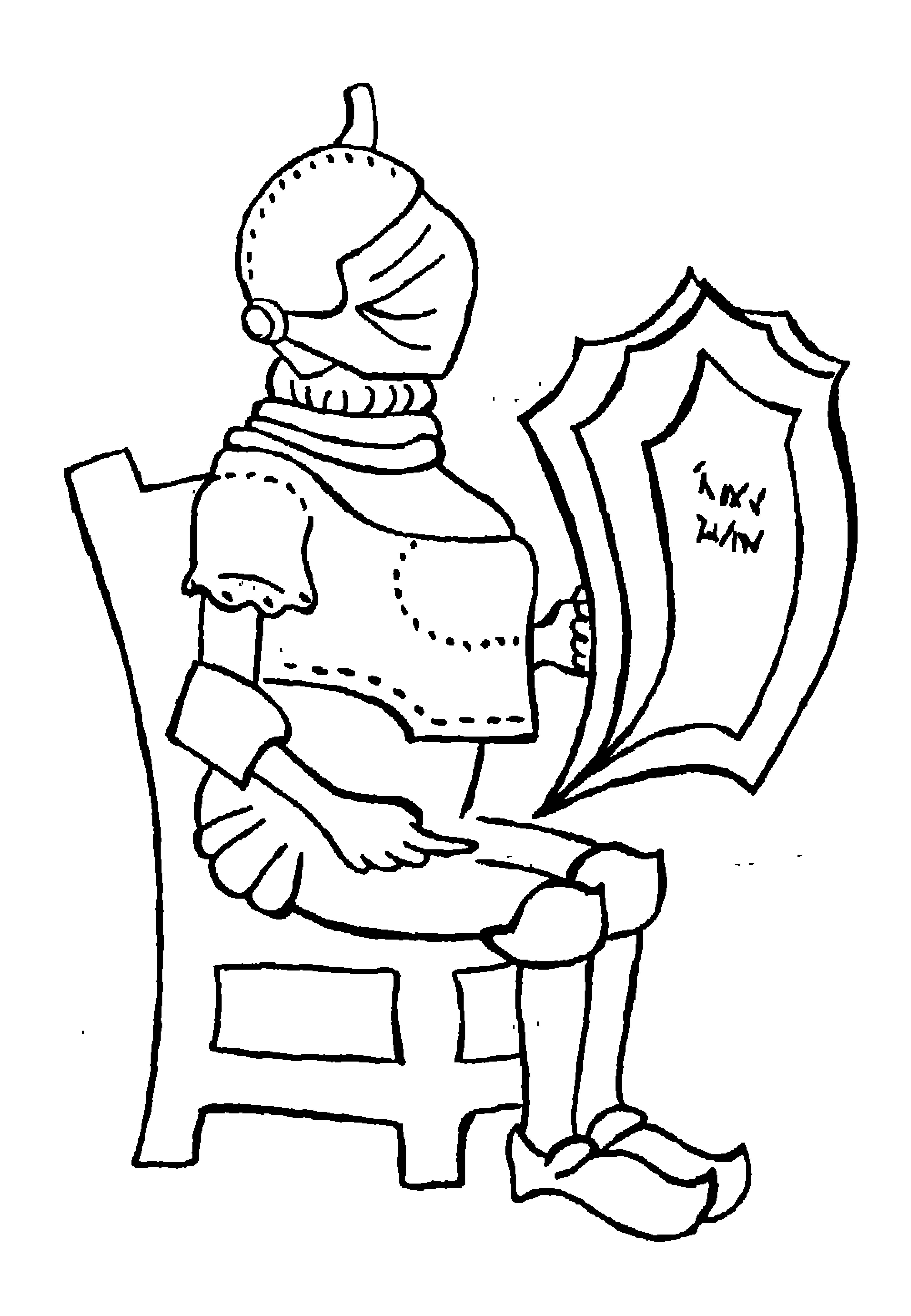
«لا فائدة من المحاولة»

«أنا فشلت كثيراً»

«أنا أعلم أنى فاشل»

«لن أستطيع عمل ذلك أبداً»

«سأظل هكذا طول عمرى»



المؤمن السلبى

(شخصية ماأقدرش)

(شكل ١٤)

«لن أستطيع أن أستمر هكذا أكثر من ذلك»
«أنا منسحب!»
«أنا يئست»
«يارب لماذا لا تجعل الأمور حسنة فتريحنى؟»

إن هذه الصورة السلبية ليست نادرة الوجود فى مجتمع اليوم والرسالتان الرئيسيتان اللتان ترسلهما هذه الشخصية لمن حولها هما

«لا أحد يحبنى»
«لذا فأنا منسحب!»

وفى أحد الأيام انفتح باب عيادة المشورة ليدخل منه رجل يجر رجليه جراً كشيخ عجوز. كان يبدو وجهه شاباً لكن ظهره كان منحنياً كعجوز أعياه ثقل العمر الذى يحمله. دخل وصوت جر رجليه على السجادة يتبعه وهو يجول بعينيه فى أرجاء الغرفة.

كان يجاهد بصوت هامس ليجيب على أسئلتى إما بنعم أو بلا ولم يظهر عليه أى رد فعل لأى شىء أقوله حتى أنه كان يشبه محاربى العصور الوسطى الذين يلبسون حلة حديدية تغلفهم تماماً حتى أنك لا تستطيع أن تميز بسهولة إن كان هناك إنساناً داخل الحلة أم لا. لذا فلم أستطع أن أخترق دفاعاته. وبعد جلسة مشورة طويلة ممتدة بدأت أكتشف أن هذا الرجل كان بلا رجاء تماماً. فلسنين طويلة، كان هذا الإنسان يعانى صراعاً داخلياً مع الشعور بالذنب بسبب الانغماس فى الشهوة.

وعندما أتى طالباً المساعدة كان قد أصبح منسحباً جداً ومكتئباً

حتى بدا أننا لن نستطيع أن نفعل له شيئاً. لقد أصبحت أزمته مزمنه. ولكى يحيا فى العالم الحقيقى كان على هذا الشاب أن يهرب إلى عالم من الخيال فى صورة ذهان وجدانى Mamic-depressive Psychosis وهذا ما جعل الحق الكتابى يظهر أمامى بصورة درامية «أجرة الخطية هى موت» (رو ٦: ٢٣).

أما «سوزان» فبسبب مرض أصابها فى الطفولة فقد أصبحت معوقة إعاقة بسيطة وكلما كانت ترجع بذاكرتها للوراء كانت تتذكر دائماً أن أقرانها كانوا يعايرونها لذا فكانت دائماً تحاول التعويض من خلال إرضاء والديها ومعلميها وزملائها لكى تحصل على الحب والتشجيع الذى تحتاج إليه ولكون «سوزان» فتاة جميلة وجذابة فقد تزوجت فى سن مبكرة وأنجبت ستة أطفال على التوالى.

وسرعان ما أصبح جهادها لإرضاء زوجها وأسرتها عبئاً ثقيلاً وصراعاً حقيقياً فبدلاً من التشجيع كانت تتلقى نقداً لاذعاً فمهما فعلت لم تكن تستطع أن ترضى زوجها أبداً فالطعام مطهو أكثر من اللازم والملابس فهى غير مرتبة بعناية، والمنزل يحتاج لترتيب أفضل، وهكذا لم يحظ أى شيء تفعله بالقبول. وكان زوجها يتجاهل كل مجهوداتها لإرضائه.

وتدريجياً وعلى مدار السنين استسلمت «سوزان» للتلفزيون فكانت تجلس أمامه بالساعات تاركة أعمال المنزل لزوجها. فحيث أن رغبتها فى الإرضاء نالت الرفض فقد انسحبت وتغيرت شخصيتها من الشخصية المطيعة المذعنة إلى الشخصية السلبية.

ومن الأمثلة التى توضح هذه الشخصية أيضاً موسى الذى ولد وتربى فى جو من الرفض لأهله وشعبه. هرب بحياته من هذا المناخ

الرافض. وبعد أربعين سنة دعاه الله ليقود هذا الشعب للتحرر من العبودية فكان رد موسى تقليدياً بالنسبة لهذا النوع من الشخصيات فقال للرب، «لا أستطيع!» (خر ٤:١، ١٠، ١٣).

إن المرجع أو الزيج للشخصية السلبية هو زيج الرفض كما هو الحال بالنسبة للشخصية المذعنة ولكن الفرق بينهما هو أن الشخصية المذعنة المطيعة تحاول الاقتراب من رموز السلطة أما الشخصية السلبية فتبتعد بعيداً رافضة المساعدة وذلك لأنها قد عانت الكثير من الألم والجروح على يد رموز السلطة: كالأبوين والمدرسين والقادة وغيرهم. وهكذا فإن ثقتهم فى الآخرين تزول تدريجياً ولأنهم لا يستطيعون حتى مجرد قبول فكرة احتمال تعرضهم لخبرة مؤلمة جديدة فإنهم ينسحبون إلى داخل قوقعتهم السميكة كما تفعل السلحفاة عندما تشعر بقرب الخطر وكلما كانت الجروح التى تلقوها عميقة ومؤلمة كان خروجهم من قوقعة السلبية أصعب فيكون شعارهم عندئذ، «سوف لا أسمح لنفسى بأن أجرح مرة أخرى!»

والآن ننتقل من الناحية السلبية من الرفض إلى الناحية القصوى الأخرى وهى التمرد فندرس صورتين آخرتين من الشخصية والنموذج الأول من يتميز بمزيد من العنف فى التعامل مع رموز السلطة.

الشخصية «المنافسة»

إن هذه الشخصية هى أكثر الشخصيات تمشياً مع هذا العصر الذى يتميز بالإعلاء من شأن الإنسان وقدراته وبمبدأ الحصول على الحب والقبول من خلال الاستحقاق والأداء الأفضل. ولعل هذا التوجه وهذه



المسيحى المنافس

(شكل ١٥)

البرمجة هى الأكثر شيوعاً فى الثقافة الغربية وقد بدأت فى غزو الثقافات الأخرى والعبارات التى نسمعها عادة من هؤلاء الأشخاص هى:

«أنا أستطيع أن أعمل هذا العمل أفضل من أى شخص آخر منكم»

«أنا أعرف كل شىء، فقط اسألنى».

«دعنى أشرح لك كيف تعملها».

«أنا الشخص الذى تبحث عنه».

«لا تضيع وقتك فى الأجازات».

«لا تكن عاطفياً».

«كن متماسكاً لا تظهر ضعفك».

وعلى الجانب الآخر فهذا الشخص يحتاج للتشجيع وينتظر تجاوباً يشبع احتياجه للمحبة، لذا فهو يرسل الرسائل التالية إما لفظياً أو بدون كلام:

«لاحظوا كيف أقوم بعملى جيداً».

«لاحظوا مواهبى ومهاراتى الممتازة».

«انظروا كيف انه لا يمكن الاستغناء عنى».

«امتدحوا عملى وامتدحونى».

«قولوا لى إنى كامل فتسعدونى اليوم كله».

«لا تقولوا لى أبداً إنى فاشل».

والرسالة الرئيسية التى تريد هذه الشخصية أن توصلها للجميع هى «أنا رائع. ليس أمامكم خيار إلا أن تحبونى».

إن هذه الشخصيات قد تبرمجت فى الخفاء من خلال سنين الطفولة الأولى على أنه لكى تكون محبوباً وتنال القبول والتشجيع يجب أن تؤدى أداءً ممتازاً وتجاهد باستمرار لكى تؤدى بشكل أفضل.

والخادم الكارز غير الناضج هو صورة تقليدية لهذه الشخصية. فهو يذهب لمدينة ما مندفعاً بطاقة تبدو فوق بشرية ويصر أن يُعامَل معاملة «متميزة» فيرتاد أفخم الفنادق ويأكل فى أعظم المطاعم ويتوقع أن تقوم الكنيسة بدفع كل هذه الفواتير ويعظ وعظات حارة تلهب الحماس ولكنه عندما يغادر المكان تهدأ الزوبعة وتبدأ الرؤية فى الوضوح نكتشف الحقيقة؛ وهى أنه ترك وراءه طابوراً طويلاً من الخدام المتألمين بجروح مؤلمة نتيجة تشغيله لهم ومناوراته للحصول على أكثر مما يستحق وما تقدر عليه الكنيسة. إن مثل هذه الشخصيات التنافسية تستخدم الأشخاص لتحقيق مشاريع فالأشخاص فى نظرهم لا أهمية لهم لكن الأهمية كلها للمشروعات. وهؤلاء الأشخاص قد يظهرون فى حياتهم ذلك النمط التقليدى من النجاح المبالغ فيه ويعانون من الاكتئاب والضعف فى الفترات التى تمر بين إنجاز وآخر أو بين ارتفاع فى معدل النجاح وآخر.

تخيل معى عداءً يجرى فى السباق يحاول أن يجرى كل السباق بأقصى سرعة وفى نهاية كل مسافة من الجرى بأقصى سرعة يجد نفسه يسبق كل الآخرين بمسافة طويلة لكنه يسقط من شدة الإعياء على الأرض وبعدها يستعيد قوته يعيد الكرة مرة أخرى حتى بعد قطع عدة مسافات من هذا النوع يبدأ فى الخوار ويسبقه العداءون الآخرون. وبعد أن كان الأول صار الأخير. وهكذا يغلبه الإرهاق واليأس والإحباط إذ يصارع لينهى السباق.

إن المسيحى المُنافس يشبه هذا الكارز غير الناضج أو العداء المتهور فى أنه عرضة للإصابة بالمرض النفسى أو العضوى نتيجة للإرهاق الشديد والاستنفاذ. وعادة ما يحدث فى وسط عواصف حياة وخدمة هذا الشخص أمور سلبية كثيرة كانهيار الأسرة أو الضيقات الماديّة. إن الله يحاول أن يجذب انتباهه ويمسك به وهو منطلق دون وعى فى مضمار الإنجيل وربما يوقعه أرضاً ليمنعه من أن يحرق نفسه من الإجهاد ويقول له: «ممكن لو سمحت أن تقف وتسمعنى؟!» وهذا لا يعنى أبداً اتهام الله بأنه قد يسبب المرض أو المصاعب ولكنه بالتأكيد قد يستخدم هذه الأمور للخير فى حياة كثيرين.

والمثال الكتابى لهذه الشخصية التنافسية هو شخصية يعقوب (تك من ٢٧-٣٠) المعروف بأنه «الماكر» فها هو يعقوب يخدع أخيه عيسو ليأخذ منه بكوريته ثم يكذب على أبيه المسنّ الضرير لينال منه بركة البكورية ثم يضطر يعقوب أن يهرب من وجه أخيه الغاضب المصمم على قتله. ولم تحمل السنوات العشرون التى قضاها فى حاران إلا أقل القليل من البهجة ليعقوب، حتى لاقى من يجاريه فى مكره واحتياله وهو خاله لابان. وأخيراً وبعد سنين طويلة وصل لنهاية المطاف ولم يستطع أن يكمل بهذه الطريقة ففى الطريق للقاء أخيه عيسو كانت ذروة صراعه مع الله فى لقاء عاصف مع ملاك الرب الذى صارعه حتى طلوع الفجر وفى النهاية صار يعقوب مُعَوَّقاً إعاقة ظاهرة ولكنه فى الداخل صار إنساناً جديداً فقد كان قبلاً مراوغاً وممثلاً، أما الآن فقد أصبح اسمه إسرائيل أى «من جاهد مع الله».

لقد تربى «بيل» بين أبوين كانا يقدمان له الحب والتشجيع فقط عندما كان يؤدى أداء حسناً فى المدرسة أو فى مضمار الرياضة وبعد

أن صار «بيل» مسيحياً مؤمناً انتقل هذا البرنامج الدفين لعلاقته مع والديه ليسيطر على علاقته بالله فأصبح «بيل» راعياً مستغرقاً فى عمل الرب بشكل مرضى أثر على صحته وعلى أسرته فلقد كان «بيل» يجاهد ليؤدى أفضل لكى يحصل على حب الله وتشجيعه أكثر. وفى قمة اكتئابه فى إحدى المرات سقط فى الخطية الجنسية مع إحدى العاملات فى الحقل المسيحى وكانت من نوع الشخصية المذعنة التى كانت ترجو أن تملأ احتياجها من الحب عن طريق إرضائه.

وهذه بعض صفات الشخصية التنافسية:

- لقد تعلموا منذ الطفولة العمل على أن يظهروا بشكل أفضل ويؤدوا أداء أفضل.
- لقد كانوا يحصلون على التشجيع والحب فقط عندما يؤدون أداءً طيباً.
- يخافون الفشل جداً.
- دائماً ما يريدون المديح ولكن يجدون صعوبة فى قبوله.
- ينبع إحساسهم بالقيمة مما يقوله الناس عنهم.
- يصارعون لكى يقبلوا حقيقة أنهم محبوبون.
- لا يحتملون النقد.
- دائماً ما يقفون موقف المدافع.
- من الصعب عليهم أن يكونوا تلقائيين.
- دائماً ما يريدون أن يعرفوا القواعد والقوانين.
- لا يرضون أن يقبلوا هدية دون أن يردوها.

- دائماً ما يجاهدون لكى يعملوا شيئاً.
- صراعهم الرئيسى هو أن يستطيعوا أن يعيشوا دون العمل والإنجاز.
- من الصعب عليهم الحفاظ على أى علاقات حميمة.

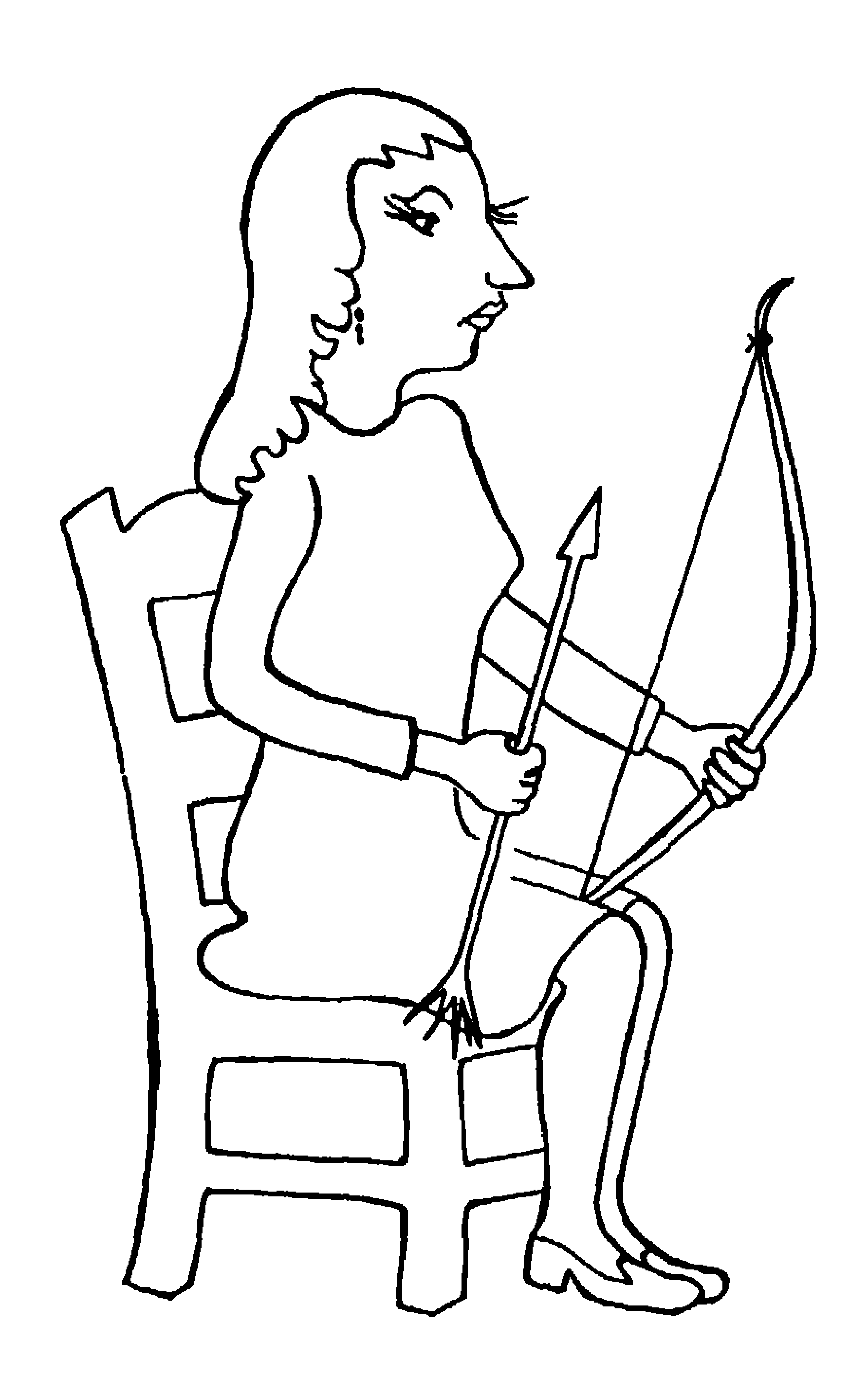
المسيحى الناقد

إن هناك شخصية أخرى تظهر حول زيج التمرد الذى يتحرك فيه الشخص بعيداً عن رمز السلطة بطريقة عنيفة ومن هؤلاء الأشخاص من تسمعه يقول:

«هل ترى كيف أقوم بعملى بإتقان!».
«دعنى أريك كيف تعمل هذا».
«أنا عارف أنى على صواب».
«فقط اسمعنى».
«أنا المسئول».

وعلى الجانب الآخر نسمع هذا الشخص الناقد يوجه عبارات نقد قاسية للآخرين مثل:

«لن تتغير طول عمرك».
«لا فائدة منك - أنت هكذا دائماً».
«انت غبى بالضبط مثل هذا الكلام الغبى الذى تقوله».
«عمرك ما تعمل حاجة صح؟!».
«دايماً تفسد كل حاجة».
«انت السبب».



المسيحى الناقد

(شكل ١٦)

والرسالة التى يوجهونها دائماً هى: «أنا غير مستحق للحب ولا أنت أيضاً!»

والشخصية الناقدة يمكن أن تظهر بوضوح فى مثال الشخصية غير الناضجة التى تأتى كل يوم للكنيسة وهى تحمل جعبة محملة بالسهام ومستعدة بالقوس المشدود ثم تبدأ فى قذف السهام على الشعب بكل دقة وفاعلية بما فى ذلك الراعى الذى يقضى بقية الأسبوع يحاول أن ينتزع السهام ويضمد جروح شعبه حتى أنه يحتاج هو أيضاً للرعاية إذ لم تكن عظاته ترقى «للمستوى» المطلوب!

وبالتأكيد تحصل الشخصية الناقدة على ردود أفعال عنيفة أحياناً لانتقاداتها ولكنها تعتبر أن هذا «الاضطهاد» هو جزء من دعوتها وتتأكد عندئذ أن سهامها أصابت المكان الصحيح.

ووراء السلوك الظاهرى لتلك الشخصية توجد بعض الافتراضات القوية. أولاً، لقد فقدت الإيمان بالحب فبعد أن أوذيت مرات عديدة فى علاقات عديدة، فقدت الأمل فى الحب ووصلت إلى الاستنتاج بأنها غير محبوبة بل ولا تستحق الحب وبدلاً من أن تتعامل مع هذه الجروح بأن تنسحب داخل دفاعاتها كالشخصية السلبية كان رد فعلها عنيفاً فهاجمت الآخرين لكى تثبت لهم أنهم أيضاً غير مستحقين للمحبة لأنها تؤمن بشدة أن الآخرين أيضاً يجب أن يشاركوها معاناتها!

ربّت والدة «چون» ابنها تماماً كما رباها والداها إذ كانا يستخدمان الرفض كنوع من التأديب. فكان «چون» يعرف الخطأ من الصواب عندما كان يختبر الاغتراب عن أمه والحرمان من حنانها وذلك كعقاب لارتكابه أمراً لا يرضيها. ونتيجة لذلك تكونت لدى «چون» صورة سيئة عن نفسه وبدأ الصراع فى حياته مع الإحساس بالدونية. إن استخدام

الرفض والإهمال لتأديب الأطفال يؤدى لمعاناة نفسية شديدة بالنسبة للطفل حيث أن رسالة الرفض التى يرسلها الوالدان للطفل تدمر أى إحساس لديه بقيمة نفسه، وبالتالى تفقده أى دافع للحياة. إن التأديب يجب دائماً أن يكون مقترناً بالحب فلو كان هذا هو ما حدث مع «چون» لما شعر بكل هذا الألم من العقاب.

إن يهوذا الذى خان المسيح هو أفضل صورة للشخصية الناقدة فبسبب انتقاده وموقفه السلبى من المسيح والتلاميذ لم يدن فقط المرأة التى دهنت قدمى المسيح بالطيب، بل لام المسيح أيضاً لأنه سمح لها بهذا. وفي حالة يهوذا أدت به روحه الناقدة إلى خيانة المسيح ابن الله الحى. كما أن المرارة وكراهية النفس التى تملكته دفعت به فى النهاية لأن يقتل نفسه.

خاتمة

عندما نراجع الشخصيات الأربع التى درسناها من المفيد أن نربطها بالأنواع الأربعة من المناورات التى ناقشناها فى الفصل الخامس.

١- الشخصية المُذْعِنَة ترتبط بالمناور السلبى.
٢- الشخصية السِلبِيَة ترتبط بالمناور غير المبالى.
٣- الشخصية المُنافِسة ترتبط بالمناور المنافس.
٤- الشخصية الناقدة ترتبط بالمناور المهاجم.

عندما تحاول أن تعرف لأى من صور الشخصية تنتمى، ربما يكون من المفيد ملاحظة أنك لست محدوداً بصورة واحدة من الصور!

فأنا مثلاً لاحظت أن شخصيتى كانت فى البداية مذعنة جداً ثم بعد ذلك اكتسبت بعض السمات التنافسية لكى أحاول التعايش مع نقص المحبة الذى كنت أعانى منه. لقد كان مفيداً بالنسبة لى أن أرى طريقتين فى الحصول على المعرفة وأن ألاحظ أن الله لم يكمل بعد عمله فىّ!

إن هذه الصور الأربعة تعكس صراعاً مستمراً والحياة فى هذه الأنماط عادة ما تكون مصابة بأحد الاضطرابات الكثيرة الناتجة عن الضغط المتوالى وهى اضطرابات لا تصيب الناس فقط بالوهن بل قد تدمر حياتهم تماماً وهذه الاضطرابات تتراوح ما بين نوعيات عديدة من الأمراض الجلدية إلى أمراض القلب الخطيرة ونزيف المخ.

إن الكثير من المشاكل الجسدية قد تكون تحذيرات من الجسم للإشارة إلى مشاكل نفسية أكثر عمقاً فى داخل بنيان الشخصية.

حتى الآن مازلنا ننظر إلى جدران قلوبنا والطوب الذى نستخدمه لبنائها. وفى هذا الفصل التقينا بأربع شخصيات مألوفة أصبحوا بنائين مهرة للأسوار! والآن سوف نذهب أعمق خلف هذه الأسوار لكى نرى تلك الأشياء التى تنمو وتتربى ببطء وخبث ثم تطل برأسها سواء فى الكنيسة أو فى العالم اليوم.

تعال جانباً

لأى شخصية من الشخصيات التالية ترى أنك تنتمى؟
تتبع مصادر نمو هذه الشخصية فى حياتك.

تأمل مناطق الضعف فى شخصيتك وكوِّن استراتيچية للتغيير.

تخيل ما يمكنك أن تفعله لكى تستبدل ضعفك بقوة.

الفصل الثامن

خلف الأسوار

«تقول الإحصائيات أن عدد من يموتون بسبب التخمة يفوق عدد ضحايا المجاعات. فأغلب الناس فى الواقع يحفرون قبورهم بأسنانهم!»

جاءت هذه الكلمات على لسان أحد أساتذة الطب فى بداية محاضرة عن السمنة وقد تركت فى ذهنى انطباعاً لن يمحى. وخلال سنوات عملى كطبيب فى العالمين المتقدم والنامى عادة ما كنت أتأمل هذه الكلمات فأجد نفسى أومئ بالموافقة.

إن الشهوة فى شكليها الظاهر والخفى، تؤدى لضرر بالغ، وذلك منذ بداية حياة الإنسان. لقد بدأت الحية مع حواء بالثمرة المحرمة ومنذ ذلك الوقت والتاريخ يعيد نفس المشهد مرات ومرات على مدار القرون. والآن دعونا نمعن النظر من خلال ثقب فى الجدار لنرى كيف أن قادة إسرائيل أكملوا هذا التقليد الإنسانى العتيق.

سار النبى بخطوات متثاقلة يضرب بقدمه بعض الأحجار المتناثرة بجانب أسوار الهيكل وهو يقطع الطريق خلال الدار الخارجية مخلفاً وراءه سحباً ضئيلة من الغبار خلف كل خطوة. وعلى بعد من المشهد تعالى نباح كلب ضال كاسراً للحظات الصمت الثقيل المحيط بكتل الحجارة الهائلة المتراصة التى تشكل جدران الهيكل. رفع النبى رأسه

المنحنية وشمل الجدار بنظرة ماسحة وقال لنفسه يوجد شيء ما مختلف هل سيسقط الجدار أم قد انتزعت إحدى الكتل؟ فأسرع الخطى حتى وصل للسور ووجد نفسه ينظر من خلال فتحة فيه. وزاد فضوله حتى التصق وجهه تماماً بالحجارة الدافئة بفعل حرارة الشمس وأمعن النظر من الفتحة. وفجأة ارتد للوراء كأنما لدغه عقرب! وموجات الذهول تجرى فى جسده وقد شلته الصدمة تماماً. ما الذى رآه فراعه لهذا الحد حتى هرب الدم من عروقه؟ يجيبنا حزقيال النبى أنه رأى قادة إسرائيل وهم مختبئون خلف هذا الجدار يمارسون الزنى الروحى (حز ٨:٦-١٢) ويعبدون صوراً لإلهة الكنعانيين. لقد تخلوا تماماً عن الدين الحقيقى لشعب الله وانغمسوا فى أعمال تمرد وشهوة.

إن الرؤية العامة التى يقدمها يوحنا الرسول للشهوة فى ١يو ٢:١٥-١٧ هى أكثر الرؤى تبصراً بالحقيقة فهو يقول إن الشهوة التى فى العالم هى شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة. وهنا تصور شهوة الجسد وشهوة العيون فى صورة انغماس مدمر فى الخطية. إن شهوة العيون تشير إلى الرغبة العارمة التى تدخل الذهن من بوابة النظر وكما ترتبط شهوة العيون بالتجربة فإن شهوة الجسد هى الاستسلام الفعلى للرغبة وأخيراً الوقوع فى تأثيرها الشرير وتحت سيطرتها الخانقة.

الشهوة

كيف يقع الكثيرون منا فى شباك الشهوة ويصيرون عبيداً لعادات شهوانية تخرجهم عن مسار حياتهم الطبيعى بل وتدمر حياتهم وصحتهم. دعونا نرجع لحزقيال لنتلصص خلف جدران قلب الإنسان الجدران التى نمارس وراءها خطايانا السرية وزنانا. إننا نبنى هذه

الجدران الدفاعية لنحمى أنفسنا من الأعداء الذين قد يجرحوننا. وهؤلاء الأعداء سواء كانوا حقيقيين أو متخيلين يؤثرون بقوة فى تجاوبنا وتفاعلنا مع الحياة ولكن دعونا نسأل مرة أخرى ما الذى يجرى خلف هذه الأسوار؟ وللإجابة على هذا السؤال لندرس هذا المثال التوضيحى.

فِى شكل ١٧ الخط (A) يُمَثِّل زيج الرفض من أحد رموز السلطة وهو مُدلّى كزيج مائل يميل بكل شيء فى حياة الشخص والمشاعر المباشرة التى يجب على الشخص أن يتعامل معها عندما يختبر هذا الرفض هى مشاعر الألم الداخلى الذى أراه كثيراً فى مرضاى وأعتبره تَحدِّياً أكبر من الألم الطبيعى الذى أراه فى الأمراض الجسدية. وربما يوجد عدد أكبر من المرضى يعانون من الألم النفسى أكثر من الألم الطبيعى. ولكن بدا لى أن ليس هناك سوى القليل الذى أستطيع أن أفعله للتخفيف من هذا الألم والمعاناة الداخلية. وفى بحثى عن إجابة بدأت أسأل بعض الأسئلة لمرضاى الذين كانوا فى حالة واضحة من الألم النفسى. عرفت أن الكثير من السيدات والبنات يقودهن هذا الألم الداخلى نحو الثلاجة! أو علبة البسكويت مثلاً.

وبعد قليل بدأت أنماط مشابهة من السلوك تتضح أمامى ثم انفتح أمامى بعد جديد وفى كل مرة كنت أسأل كيف استطاعوا التعايش مع الألم الداخلى كانت الإجابات كالتالى:

«آكل أكثر».

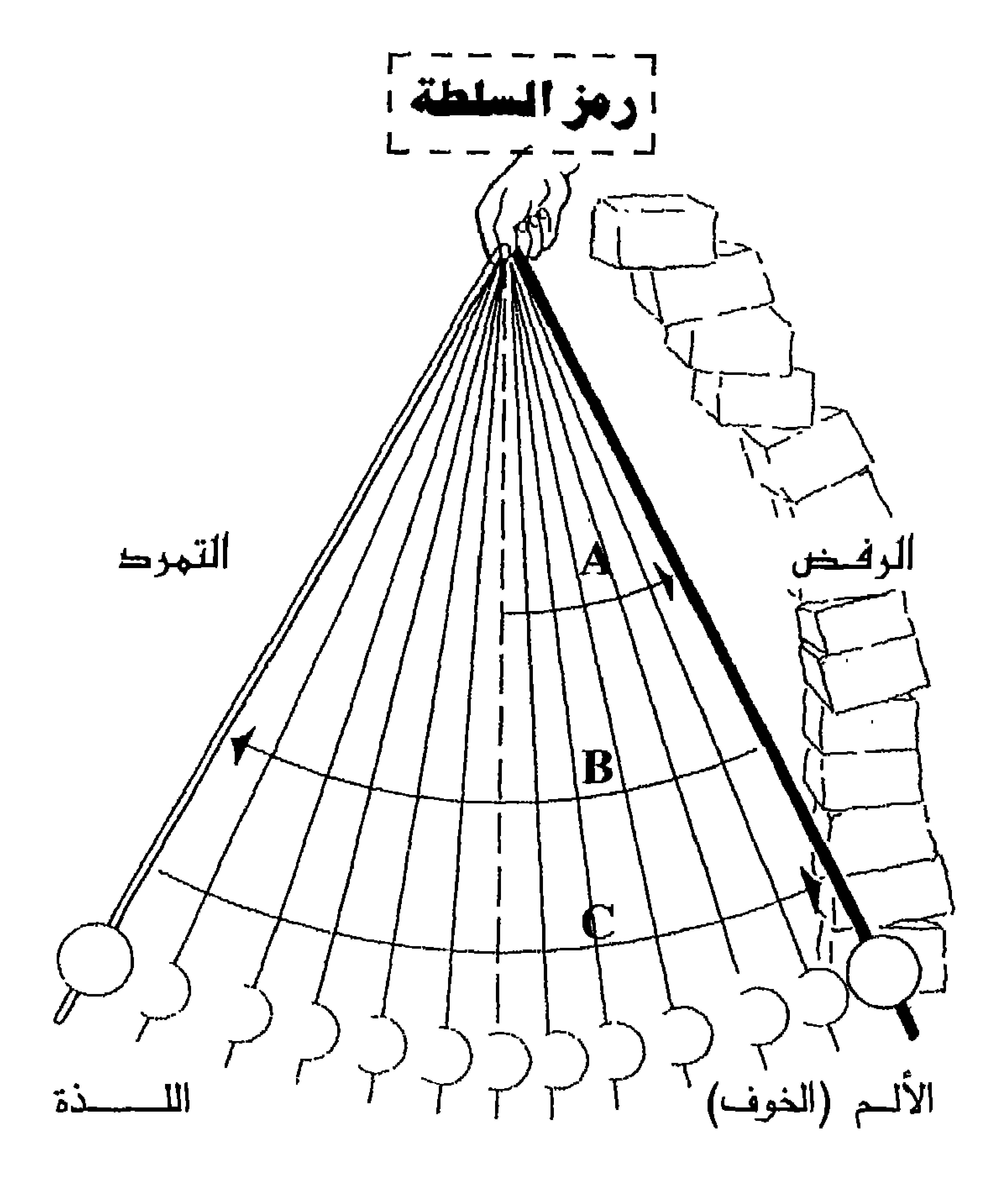
«أشرب خموراً أكثر».

«أصرف فلوس أكثر».

«أعمل علاقة جنسية».

«أمارس العادة السرية».

التأرجح الهروبى



B. الهرب
C. العـودة
A. الرفض من رمـز السلطة

(شكل ١٧)

وفى كل حالة، كان مرضاى يحاولون الهرب من الألم وتسكينه بالانغماس فى أحد أنواع اللذة. لذا سميت هذا السلوك التأرجح الهروبى كما هو فى شكل ١٧ لكن الشيء الذى لم يكن مرضاى يقبلونه هو أن اللذة دائماً وقتية، وأنهم كلما اتجهوا ناحية الهروب سوف يعودون مرة أخرى عائدين للألم لكى يعيدوا الكرة مرة أخرى. فى شكل ١٧، يمثل الخط (B) التأرجح بعيداً عن الألم نحو اللذة والخط (C) يمثل العودة للألم وبداية دورة جديدة.

كانت هذه العملية واضحة جداً أمامى ذات يوم فى سيدة فى منتصف العمر أتت لمكتبى طلباً للمساعدة، وكانت أول كلماتها هى الشكوى من زيادة وزنها، وبالطبع بعد أن نظرت إليها نظرة عابرة لم أكن بحاجة لأى إقناع بحقيقة هذه المشكلة. وعندما أكملت حديثها مباشرة طالبة وصفة سحرية تعيد لها قوامها السابق كان علىّ أن أشرح لها أنها تحتاج أن تحدثنى عن نفسها وعن أسرتها أكثر.

وسرعان ما اكتشفت أن زوجها كان مدمناً للخمر وأن حياته سببت لها الكثير من الحزن والأسى والعار وواضح أن كلاً من هذه السيدة وزوجها قد اختبرا الكثير من الألم فى حياتهما والفرق الوحيد هو فى الاختيار الذى اختاره كل منهما كمهرب من الألم.

وحيث أن اختيار السيدة سبب لها ألماً إضافياً أصبحت فى حاجة للمزيد من الأكل لتخفيف الألم المتزايد وهكذا تفاقمت مشكلتها وأيضاً أصيب زوجها بالمرض بسبب الكحول وسقطت الأسرة لأعماق أبعد من الفقر ولعل هذه الحالة تمثل بوضوح ما قاله يوحنا الرسول عن شهوة الجسد وشهوة العيون.

فقد الشهية العصابى

إن هذا المرض يمثل حالة أخرى من حالات التأرجح الهروبى، وهو مرض طبى يوجد بالأخص فى الشابات اللاتى قد يلجأن لعدم الأكل كرد فعل عصابى لصدمة نفسية شديدة حتى أنهن يدفعن بأنفسهن نحو سوء التغذية وربما الموت. ومعظم هذه الحالات تصيب بنات يتصف والديهن بالثراء والسعى المحموم وراء النجاح ويطالبون أولادهم بمطالب شديدة ومستويات عليا من الأداء عادة ما تكون أكبر من إمكاناتهم وقدراتهم.

وعندما يربط الوالدان بين إعطاء الحب لبناتهم وبين تحقيقهن المتوقع منهن فإنهن عادة ما يصارعن بضراوة ورعب لكى يحققن المستوى المطلوب مدفوعين دائماً بالإحساس بالذنب لكونهن لم يحققن توقعات الوالدين وهكذا يعشن بإحساس داخلى مزمن من الفراغ والألم ثم يهرعن إلى البحث عن اللذة عن طريق الأكل ولكن عندما تنتهى اللذة المؤقتة، يتملكهن الخوف من السمنة وبالتالى مزيد من الرفض. وعادة ما يلجأن للذهاب لمكان سرى حيث يُقَيِّئون أنفسهن أو ربما يتناولن ملينات. ولكى يهربن من الانتقاد فإن هؤلاء الشابات يعيشون حياة من الخداع والأكل بشراهة فى السر والقىء فى السر أيضاً والإنكار وللأسف، أن ٢٠ ٪ من هؤلاء الفتيات يمتن من سوء التغذية ومضاعفاته وفى ٢٠ ٪ أخرى تجد الفتيات صعوبة فى الخروج من دائرة مفرغة من الألم واللذة الوقتية تدفعها رغبة عارمة فى الحصول على القبول.

شهيات غير محكومة

أما بالنسبة لحالتى أنا فقد أدمنت نوعين من اللذة أثناء الطفولة

وذلك فى محاولة للهرب من الألم الناتج عن سخرية مدرستى فى البداية كان الأكل فإذا لم أتناول كفايتى من الطعام فى الوقت المناسب أُصبح عصبياً جداً وعندما كنت أتناول الطعام كنت أزدرده بسرعة كالحيوان.

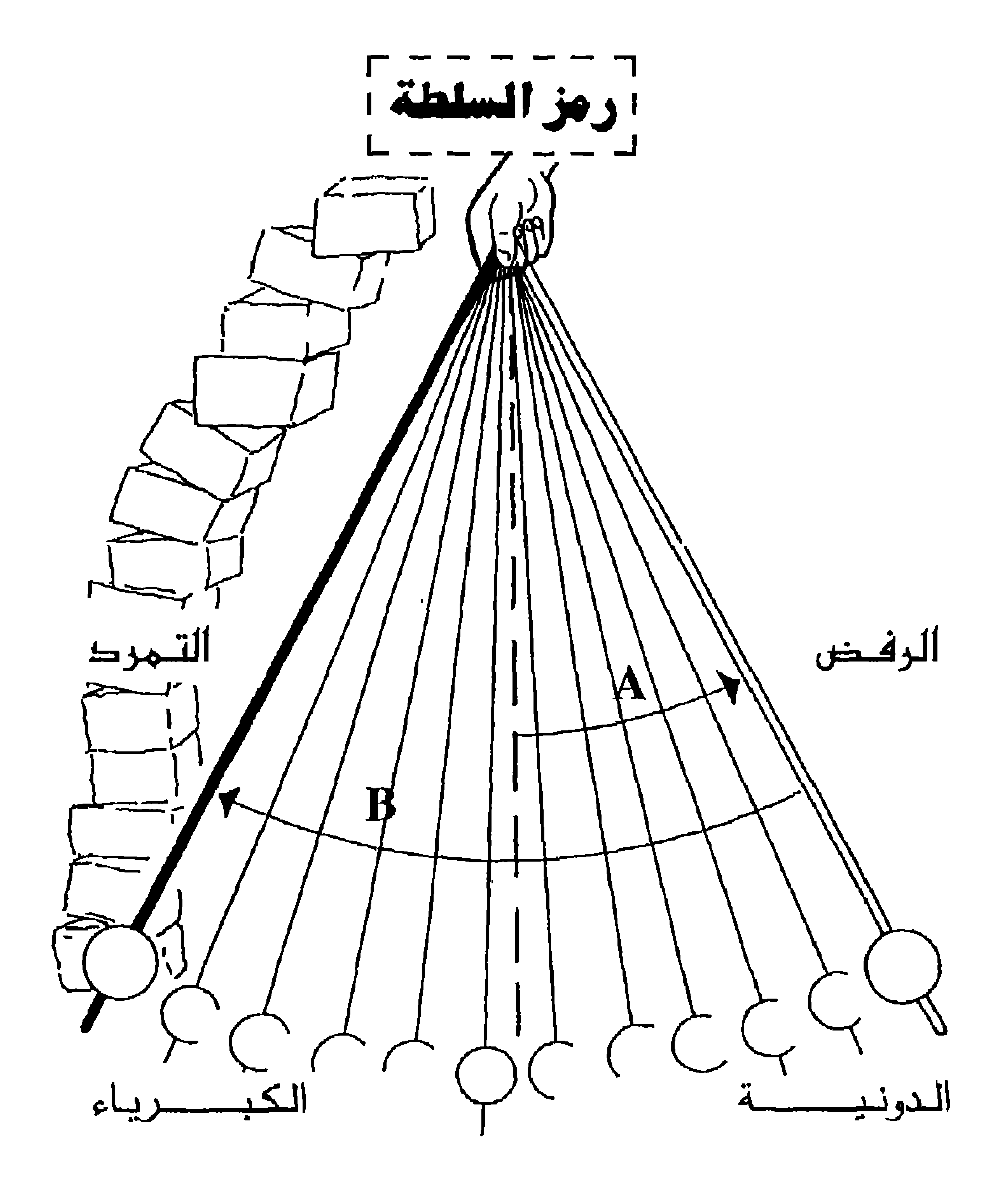
أما الراحة الزائفة الأُخرى التى كنت ألجأ إليها كالمسكنات هى الهروب إلى عالم الخيال وأحلام اليقظة وكنت أستخدم بعض القصص الشهوانية القذرة التى كان التلاميذ يتداولونها فى المدرسة لكى أصنع منها عالمى الخيالى الخاص الذى كنت أبحث فيه عن الراحة والسعادة.

وكالعادة فإن اللذة كانت دائماً وقتية ولكنى سرعان ما أصبح ذهنى كصفيحة القمامة. وعندما صرت مسيحياً مؤمناً أصبحت هاتين المنطقتين من حياتى هما مساحة معركتى الكبرى للتغيير فقد تعلمت فيما بعد أن الطعام والجنس هما مهربان شائعان ومرتبطان ببعضهما البعض.

وكما أن لدينا شهية للأكل وللخمور فإن هناك أيضاً شهوة للجنس والإباحية الجنسية، والنجاسة، والجنسية المثلية، كلها قد أصبحت متفشية هذه الأيام، حتى بالرغم من تهديد الإيدز ولكون الشهوة قد أصبحت بهذا القدر من الشيوع يفشل الكثير من الأزواج فى تعلم معنى الحب الحقيقى.

والكتاب المقدس يرينا أن الشهوة تطالب وتفرض نفسها، أما الحب فيضحى وينكر ذاته لتحقيق احتياجات الآخر. الشهوة تريد التملك بأى ثمن أما الحب فيعطى مهما كان الثمن. وعادة ما تغطى الشهوة الفجة قصيرة الأجل على الأهداف طويلة المدى للعلاقات الأكثر سمواً وحساسية والأدوية سواء كانت موصوفة أو مستخدمة بطرق غير

التأرجح الهجومى



الرفض من أحد رموز السلطة .A
الهجوم بدافع الألم .B

(شكل ١٨)

شرعية (المخدرات) أصبحت تجارة البلايين وكثيرون اليوم يعيشون تحت تأثير الإدمان المغيِّب للعقل سواء لأدوية موصوفة أو المخدرات التى تباع فى الشارع. وكثير من المراهقين يلقون بحياتهم وشبابهم تحت عجلات قطار لا يرحم من الشهوة الكيميائية والبيولوچية هرباً من ألم نفسى لا قبل لهم باحتماله.

اللذة والألم

قام الدكتور «ريتشارد سولومان» وهو أستاذ علم النفس فى جامعة بنسلڤانيا ببحث للمعهد القومى للصحة النفسية عنوان «تكلفة اللذة وفوائد الألم» وفيه يشرح كيف أن المثير غير المشروط عادة ما يسبب ظواهر ثلاثة رئيسية وهى:

خبرة ممتعة
سلوك إدمانى
وألم عند التوقف (السحب)

وقد سمى نظريته «نظرية عملية التضاد للتحفيز المكتسب» وهى تعطِى تفسيراً معقولاً للسلوكيات الإدمانية التى تسببها إما أحداث مؤلمة أو مفْرِحة.

واشتملت تجاريه على العمل على إدمان المخدرات والعلاقات الاجتماعية والشهوات الحسية والمثيرات الكريهة(×) ومن بين الاستنتاجات التى خلص إليها ما يلى:

(×) Richard L. Solomon "The Opponent - Process Theory of Acquired Motivation" American Psychologist Aug. 1980 PP. 691-712.

١ – عندما يحدث إدمان لأحد أنواع اللذة فإنه عادة ما يتوقف عن طريق ألم مضاد.

٢ – وهذا الألم المضاد هو ألم بطيء فى مجيئه وفى ذهابه أيضاً.

٣ – وعملية التضاد هذه تزداد قوة باستخدام فواصل زمنية مناسبة.

٤ – اللذة المتكررة تفقد قوتها تدريجياً وتجعل الإنسان عرضة لمصادر جديدة من المعاناة.

وعلى سبيل المثال، يعانى المصاب بالإسراف فى الطعام من بعض أمراض السمنة كما أن المنغمس فى الجنس يصاب بمرض تناسلى ويضع هذا البحث أهمية إضافية لموضوع اللذة/الألم الذى ناقشناه فكلما ازداد إدماننا زادت المعاناة التى قد نواجهها. ويسلِّم «سولومان» بالطبيعة الأخلاقية الكتابية الخاصة بالتعفف فى كل الأمور (٢كو ٩ :٢٥).

وكثير من المشيرين يمهدون طريق التوبة عن اللذة الخاطئة لكنهم يفشلون فى التعامل مع الألم المتبقى الذى إذا لم يخفف يظل الشخص يعانى من ألم أكثر شدة وربما يعود للذة القديمة أو يستبدلها بأخرى. وهذا يفسر بعض الشيء كيف أنه من السهل جداً العودة لنمط الحياة الأول.

كيف نتعامل إذاً مع هذا الألم دون اللجوء للذة المؤقتة؟ سوف نجد الجواب فى الصفحات التالية.

تعظم المعيشة

فى (١يوحنا ٢ :١٥–١٦) نجد عنصراً آخر وهو تعظم المعيشة وهو

يوصف بأنه من العالم وبالتالى فهو ليس من الآب. فى جنة عدن استخدم إبليس مزيجاً من الشهوة والكبرياء لينهى الحياة الطاهرة بضربة الخطية القاضية وأثبت آدم وحواء بأنهما ضعيفا الإرادة أمام التأثير الخادع للشهوة والكبرياء ومنذ ذلك الحين والإنسان يعانى من هذا التأثير إذ أن صبغة الكبرياء والشهوة قد لطخت كل صفحات التاريخ الإنسانى كما يقول الكتاب إن «قبل الكسر الكبرياء» (أم ١٦ :١٨).

وعندما ننظر لشكل ١٨ نرى أن الخط (A) يمثل نتيجة الرفض من أحد رموز السلطة. والآن بدلاً من كون المشاعر هى أرض المعركة نجد أن الذهن هو الذى يواجه هجمات أفكار الدونية وصغر النفس. فمعظمنا قد صارع هذه الأفكار فى وقت من الأوقات، لكن لكل واحد رد فعل مختلف فالشخص الأكثر سلبية يقتنع ويقبل أفكار الدونية ويحاول أن يفعل أقصى ما يستطيع إزاء الظروف المحيطة به. أما الشخص العنيف بطبعه فهو يعمل على إثبات ذاته ولا يكتفى بأن يبرهن أنه ليس أقل من الآخرين بل يحاول إثبات أنه أفضل من الجميع وهذا ما يمثله التأرجح الهجومى المرموز له بالخط (B) فى شكل ١٨.

وهذا التوجه هو ما يظهر واضحاً فى واحدة من أقوى الحركات الفلسفية فى عالمنا المعاصر وهى النزعة الإنسانية العلمانية الملحدة Atheistic/Secular humanism التى ترفض الله فى تعبير مبالغ فيه من الكبرياء بل وتضع مكانه الإنسان وعندما يواجه الإنسان محدوديته وضعفه الشديد يحاول التعويض بأن يتحرك بالتأرجح الهجومى محاولاً إثبات ألوهيته. فى البداية تنادى هذه الفلسفة بالمزيد من المعاملة الإنسانية للشعوب ولكن يتولد الإحباط عندما تتمادى هذه الفلسفة الإنسانية لتصبح فلسفة «الإنسان الخارق أو السوبرمان» إذ يصبح

الإنسان مُنتجاً أو سلعة يجب أن تكون على أعلى مستوى من الكمال بأى ثمن وتكون للإنسان قيمة فقط عندما يعمل بكفاءة تامة وإتقان دون أن تشوبه أى شبهة ضعف أو قصور.

وقد نتج عن هذا الاتجاه فى التفكير كثير من القضايا مثل «موت الرحمة» (أى الحكم على المريض الميئوس من شفاءه بالموت رحمة به) والإجهاض الاختيارى وبنوك الحيوانات المنوية وكل هذه هى أساليب منطقية لخدمة هذا الهدف وهو إقصاء المعوق والضعيف عن حلبة الحياة لكى تستمر السلالة الأقوى وهو نسخة حديثة أكثر جاذبية من قانون الغابة القديم المعروف «بالبقاء للأصلح».

ولكون الإنسانية العلمانية تتخلل نسيج المجتمع الغربى وتحاول على استحياء غزو مجتمعاتنا الشرقية بدعوى مسايرة ركب الحضارة نجد فى الغرب الكثيرين ممن ألقوا على جانبى هذا السباق المحموم نحو ما يسمى بالإنسان الأفضل فنرى زيجات محطمة وأسر مبعثرة وأمراض ونفوس كسيرة مما يشكل ظاهرة تشهد عن هذا السقوط الذى يتبع الكبرياء.

أشخاص محطمون

إن أحد أمثلة التمرد الجماعى على هذه الفلسفة هى جماعة الهيبيز التى ظهرت فى الستينات الذين تأرجحوا نحو ما اعتقدوا أنه نمط حياة أسمى من أجل رفاهية البشر فاتخذوا مفهوماً خاصاً للفردية والإنسانية ولكن للأسف اضمحلت هذه الحركة لتصبح فقط رخصة تبرر تعاطى المخدرات والانحلال الجنسى والإسراف فى الطعام والكثير من الشباب

الذين اندفعوا نحو الحرية انتهى بهم الحال لقيود أشد وأعمق. ودعونى أشارككم بهذا المثال الحى عن هذين الشخصين.

عندما التقيت لأول مرة «ببيتر» و«تريش» كانا يعيشان معاً فى بيت بنياه على جزع شجرة كبيرة. كانت «تريش» ترفل فى ثوب حمل فضفاض إذ كانت حبلى بطفلهما الأول وكان بيتر ذو شعر طويل مسترسل على كتفيه ولحية وكان يرتدى أيضاً ما يشبه العباءة القذرة المليئة بالهباب والطين ورائحة كريهة نفاذة تنبعث منه ولم يمضى وقت طويل بعد هذا اللقاء حتى جاء بيتر ليقابلنى فى عيادة المشورة.

عندما دخل «بيتر» إلى مكتبى الخافت الإضاءة، جلس متقاطع الساقين على أرضية الحجرة ململماً عباءته بين ساقيه ووضع بجانبه حقيبة قماشية متسخة وبدت فى عينيه نظرة زجاجية تفضح أنه تحت تأثير مخدر خفيف. وكان «بيتر» يعود من وقت لآخر لحقيبته القماشية ويخرج منها وحدات صغيرة من عيش الغراب ويمضغها بصوت مزعج. وعرفت بعد ذلك إن هذا هو ما يسميه الهيبيز «عيش الغراب السحرى» ويزرعونه على روث البقر وله تأثير قوى حتى أنه يماثل عقار الهلوسة LSD وهذا يفسر نظرته الزجاجية والصعوبة الشديدة التى كنت أجدها فى التواصل معه!

وعندما كنت أسأله السؤال تلو الآخر، كانت إجابات «بيتر» تبدو «فلسفية» كانت الرائحة فى الغرفة كريهة جداً حتى أن «باربارا» عندما رافقتنى فى الجلسة كانت تعانى من الغثيان فوضعت منديلها على أنفها طوال الجلسة واعترفت فيما بعد أنها لم تفهم أى كلمة مما قاله «بيتر» وكأنه قادم من كوكب آخر. وبالطبع فلا عجب أننا لم نحرز أى تقدم

فى هذا اليوم ولكن على مدى الشهور التالية استطاعت «باربارا» أن تقترب أكثر من «تريش» التى من خلالها عرفت قصة «بيتر» أيضاً.

كان «بيتر» متزوجاً يبلغ من العمر عشرون عاماً ويعمل بالقوات الجوية وقد أرسلوه لجزيرة جامه. وكانت وظيفته هى معاينة الجو استعداداً لقدوم قاذفة القنابل الشهيرة B-52 وإبلاغ الطيارين بالأحوال الجوية التى سوف يواجهونها عند قيامهم بمهمات القصف الجوى فى ڤيتنام. لقد كان «بيتر» معارضاً للحرب من البداية فعندما طلق زوجته ولم تعد هناك أى روابط عائلية، هجر القوات الجوية تماماً وبدأ فى اتباع طريق الهيبيز الطويل الصعب الذى قاده إلى جنوب شرق آسيا ثم إلى هاواى وكان غارقاً لرأسه فى الفلسفات الشرقية والمخدرات. لقد أضاع «بيتر» بعضاً من أفضل سنى حياته هائماً على وجهه فى جزيرة هاواى.

وعندما تقابل مع «تريش»، تلك الفتاة الوحيدة الضائعة دعاها لتشاركه حياته ولكن فى الوقت الذى قابلناهما فيه كانا قد وصلا لنهاية المطاف معاً ووصلت حياتهما الفوضوية إلى نقطة النهاية.

والمثير للدهشة والإعجاب معاً أن الله بالفعل تدخل وأنقذ حياتهما من هذا النمط المستحيل، والفلسفة العقيمة، والآن هما زوجان سعيدان وعاد «بيتر الجديد» مرة أخرى للدراسة الجامعية لكى يصبح مدرساً ناجحاً وقصة هذين الزوجين تكرر نفسها أكثر من مرة فى حياة شباب بائس يلقى بكل التقاليد جانباً فى تمرده على المجتمع ليجد نفسه تحت رحمة تقاليد جديدة أكثر تدميراً. تجنح بهم إلى حياة جوفاء من الشهوة والفلسفات العاطلة.

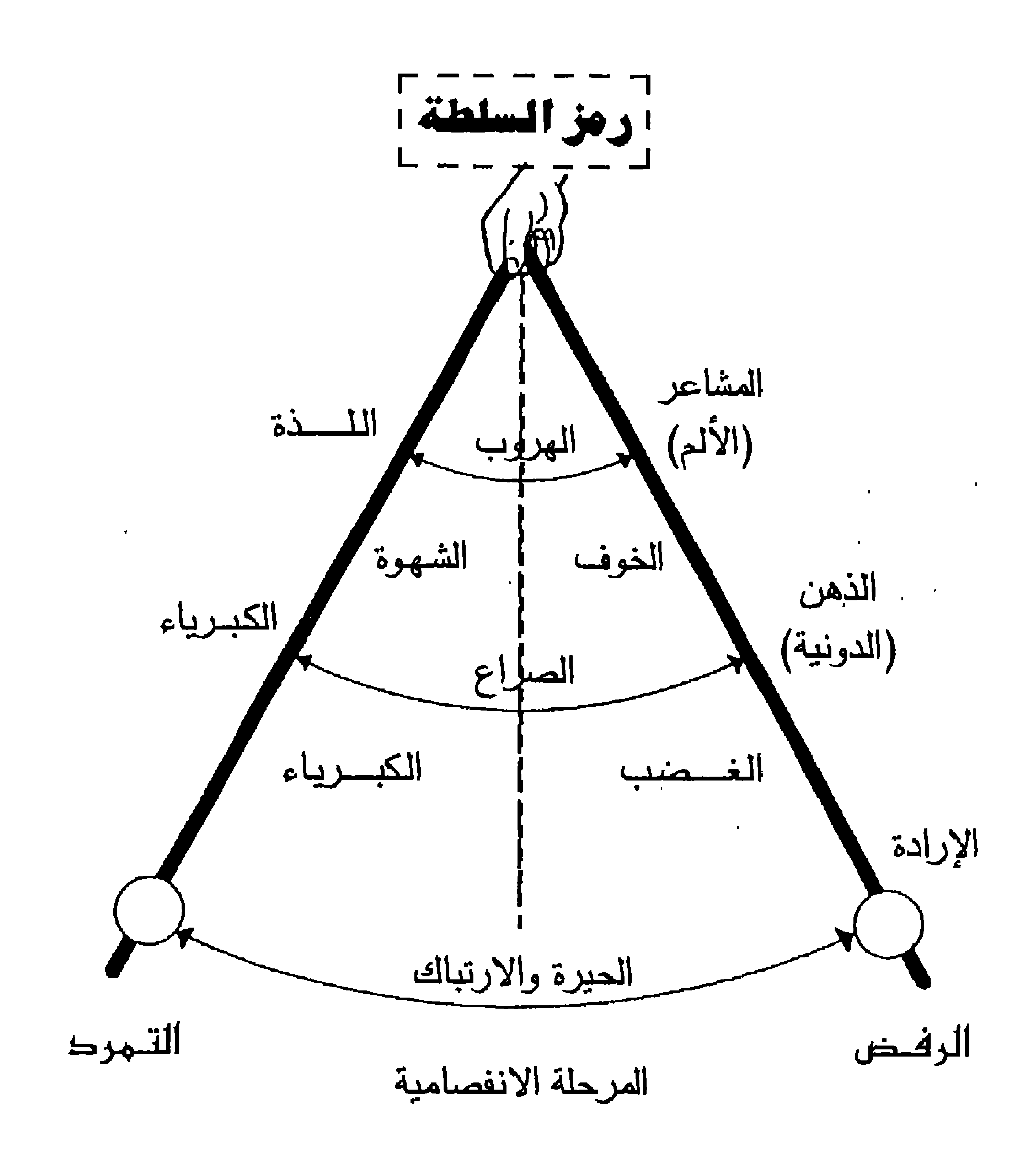
أن تكون «الأفضل» بأى ثمن

ولكن لا ينحرف الجميع نحو التمرد الظاهر كما فى قصة «بيتر» و«تريش» فالبعض يختارون أن يحاربوا مدفوعين بشهوة طاغية أن يكونوا «الأفضل» فى شيء ما. فقد كان الكثيرون يحلمون على مدى عشرات السنين أن يصبحوا أول رجال فضاء يهبطون على سطح القمر ولأن هذا الهدف عالٍ فإنه يتطلب الكثير من التدريب والتنافس والصراع من أجل أداء أفضل.

وكانت البداية بشخص واحد كان مستعداً لأن يدفع الثمن فى سبيل أن يتخلص من عقدة النقص والدونية التى كان يشعر بها وبالفعل أصبح رائد فضاء. وبالطبع عاش هذا الرجل لبعض الوقت يرفل فى ثياب المجد حتى جاء وقت لاحظ فيه أن هذا المجد قصير العمر وأن تلك الشهرة سرعان ما تضيع فقد تبعه الكثير من رواد الفضاء لذا بدأت شهرته تخبو وتفقد تركيزها كنقطة حبر ألقيت فى إناء مملوء بالماء وهكذا بدأ يفقد إحساسه بالإنجاز وقيمة الذات. لقد فشلت خطواته على القمر فى تسديد عجز الحب بل وازدادت صراعاته سوءاً وشدة وعندما كانت مشاعر الدونية تعاوده كان يلجأ للشراب ليغطى به الألم الناتج وهكذا أخذ الطريق النازل نحو إدمان الخمور.

والأمثلة لا حصر لها لهؤلاء الذين بدوا وكأنهم وصلوا للقمة ولكنهم يفاجئون بأن عجز الحب يزداد عمقاً وعنفاً بالوحدة.

إن تعظم المعيشة هو ما أسميه تأرجحاً هجومياً حيث يصارع الإنسان دون هوادة ويتنافس ويؤدى لكى يؤسس لنفسه التفوق ويعتلى القمة حتى يحصل على القبول بين الناس رافضاً حتى التفكير فى احتمال الفشل مُقَرِّراً أن الغاية دائماً ما تبرر الوسيلة.



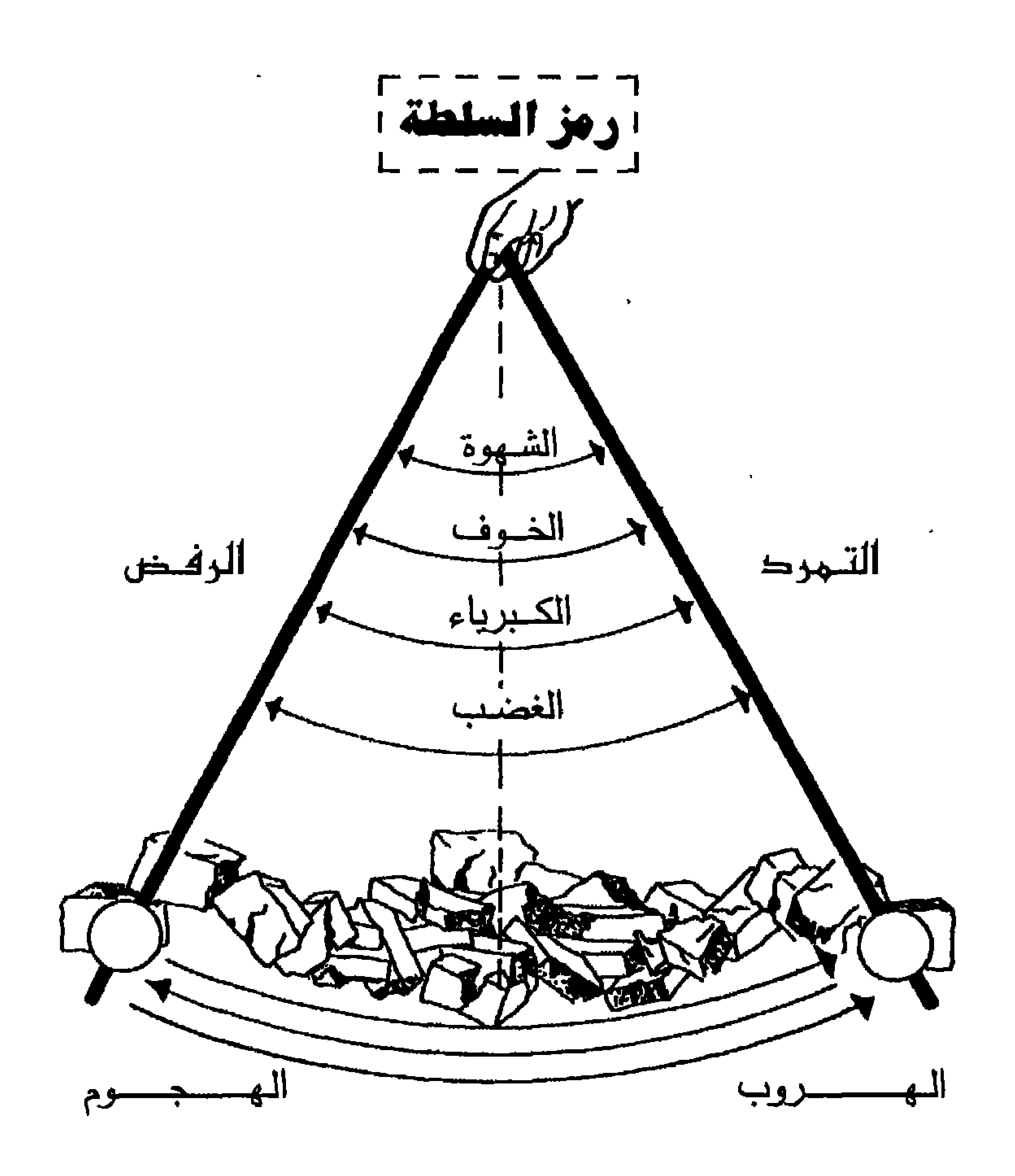
«المرض العقلى»

(شكل ١٩)

وشكل ١٩ يأخذنا خطوة أخرى فى هذا «التأرجح النفسى» فنرى كلاً من الشهوة والخوف كعاملين محفزين للتأرجح النفسى فيهرب الشخص من الألم إلى اللذة. لقد ناقشنا من قبل كيف أن اللذة يمكن أن تخفف الألم الداخلى وهذه اللذة تصبح شهوة آسرة إذ تتبع نمطاً قهرياً إدمانياً. والخوف أيضاً يمكن أن يتولد، كالخوف من فقدان اللذة أو الخوف من العبودية لها أو الاثنين معاً كما هو الحال فى إدمان الخمر والمخدرات.

وعلى الجانب الآخر، فإن الكبرياء والغضب يمكن أن يكونا عاملين محفزين لتأرجح ذهنى فعلى سبيل المثال، عندما يحاول شخص تسلق السلم الوظيفى لشركة ما قد تكون له أهداف داخلية خفية كأن يثبت أنه ليس أقل من الآخرين بل أفضل منهم مظهراً بذلك كبرياءه. ولكن عندما يجد نفسه فى يوم من الأيام مفصولاً، فإن هذا الكبرياء يجرح جرحاً عميقاً ويتأرجح بالتالى نحو أفكار الغضب فمع أنه كان يبدو فى البداية متزناً، إلا أن عنفه الداخلى سرعان ما يظهر فى بيته ومع أسرته. وبنفس الطريقة، عندما يتأرجح أى منا نحو التعالى بسبب الكبرياء فإننا سرعان ما نتأرجح للطرف الآخر وهو الدونية. عندما يصاب كبرياؤنا هذا بجرح عميق من جراء فشل ما، فإن الغضب والعنف غير المحكوم قد يعبر عن نفسه مدمراً من نحبهم.

والجزء الثالث من النفس وهو الإرادة يضعف بعد ذلك ضعفاً شديداً. وكلما خضعت الإرادة لمناورات العقل والمشاعر تصاب بالارتباك ويتراكم الضغط العصبى والإرهاق ليبنى حالة من عدم الاستقرار الذى يؤدى للانهيار بشكل أو بآخر كما يظهر فى شكل ٢٠.



رجل ذو رأيين

(يعقوب ١ :٧ ، ٨)

(شكل ٢٠)

في كل من هذه التأرجحات النفسية إما من خلال المشاعر أو الذهن أو الإرادة، سوف نرى الشهوة، والخوف والكبرياء والغضب وغيرها تزعزع جدران الشخصية حتى تهدمها إما جزئياً أو كلياً فعندما نتجاوز حدود احتمالنا للضغوط والشد العصبي، فسوف ندخل منطقة الانهيار والجدران التي نبنيها قد تنهار ونفقد السيطرة على حياتنا تماماً بكل عناصرها ووظائفها الجسدية والنفسية والروحية. ويشير يعقوب في رسالته (يع ١:٦-٨) إلى «ازدواج الفكر» والذي يترجم باليونانية ترجمة أفضل فيكون «ازدواج النفس» وهذا يعني وجود حالتين ذهنيتين متحاربتين معاً. وشكل ٢٠ يصور هذا واضعاً الرفض كحالة ذهنية والتمرد كحالة أخرى مضادة وإذا تأرجحنا بين الاثنين فإننا نعاني من عدم استقرار متزايد، وتزيد احتمالية الانهيار تبعاً لذلك وتصبح الصحة النفسية عندئذ في خطر.

إن السياق الذي أتى فيه تعبير «ازدواج الفكر» في رسالة يعقوب يشير إلى أسباب عدم الإيمان مؤكداً أن الشخص ذو الرأيين (أي ذو الفكر المزدوج) «متقلقل في كل طرقه»، وكلمة «كل» هنا تشير إلى أن الانهيار أو المرض النفسي قد ينتج من هذا التأرجح الذي تسببه الشهوة والخوف والكبرياء والغضب ولكن لدى الله حلاً أفضل لجدران الرفض والتمرد هذه لكي يزيلها بطريقة بناءة وشافية. وإذ نواصل المسير لننظر لتعاملات الله مع شعبه (إسرائيل) سوف نرى كيف أن الله يزيل أسوارنا المُعْوَجّة ليبني بدلاً منها أسواراً جديدة.

تعال جانباً

استدع لذاكرتك المواقف المؤلمة فى حياتك. صف كيف تعاملت مع الألم الداخلى واذكر النتائج. كيف تعاملت مع الضغط المتزايد فى حياتك؟

الفصل التاسع

إعادة بناء الأساس

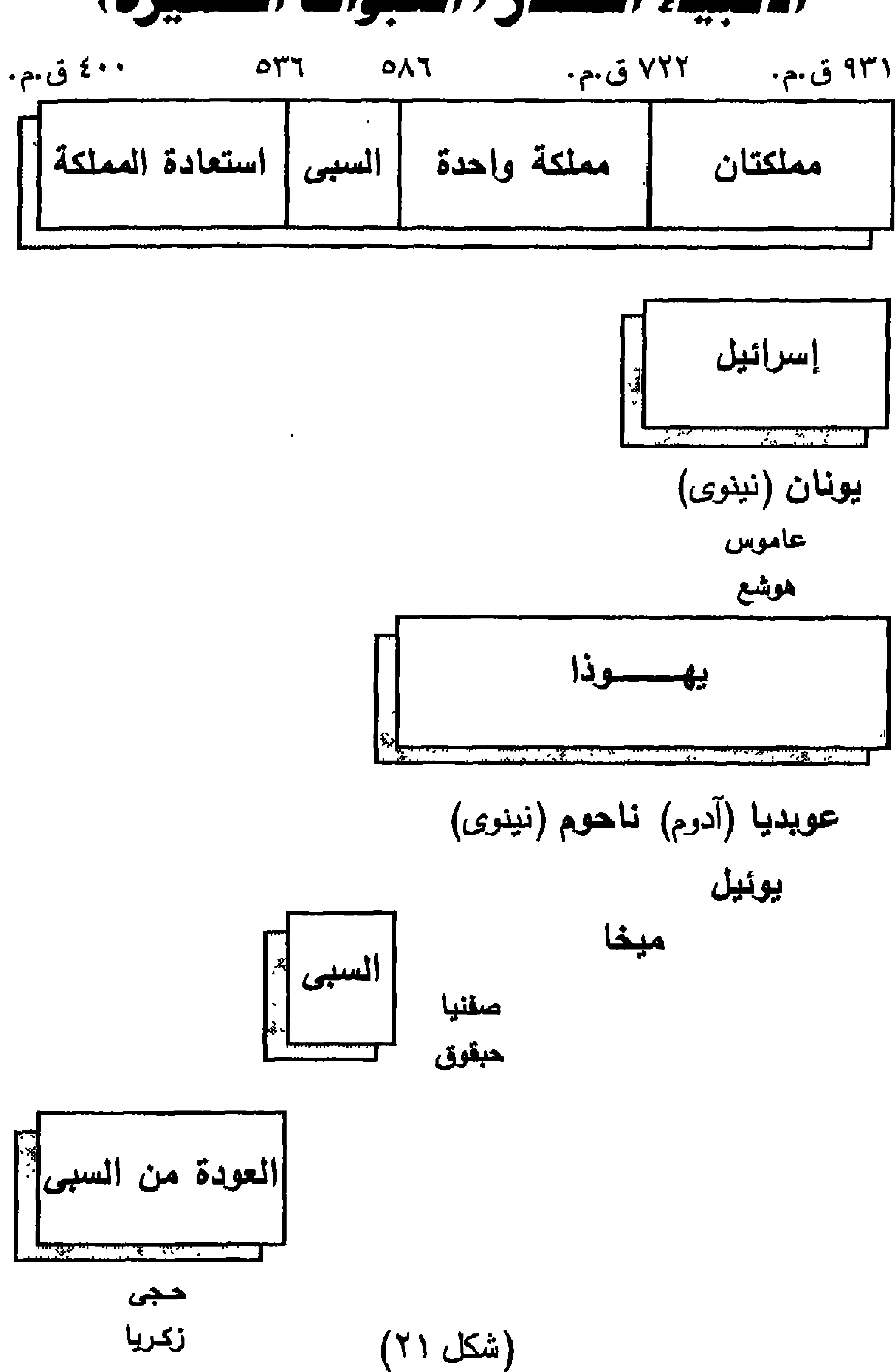
«وصرح ارتفاع أسوارك يخفضه. يضعه يلصقه بالأرض إلى التراب» (إش ٢٥ :١٢)

«فى ذلك اليوم يغنى بهذه الأغنية فى أرض يهوذا لنا مدينة قوية. يجعل الخلاص أسواراً ومترسة» (إش ٢٦ :١)

إن الأعداد الكتابية المذكورة سابقاً هى ملخص رائعٍ للطريقة التى يجب أن نبنى بها أسوار حياتنا، بطريقة جديدة مختلفة عمّا ذكرناه من قبل ويقولِ الرب فى هذه الفقرات إنه لا يريد أن يتركنا دون أسوار أو دفاعات عُرْضة للهجوم من عدو نفوسنا. ولكنه يريد أن يعطينا سوراً جديداً هو سور الخلاص (إش ٦٠ :١٨) وبوابات جديدة هى بوابات التسبيح تحمينا من الدمار والخراب وفى هذا الجزء من الدراسة، سوف ندرس كيف بعد أن هدمنا جدران الرفض والتمرد وأزلنا الحجارة، نبنى أسوار الخلاص فى حياتنا.

ولكى نرى كيف يتعامل الله معنا، دعونا نراجع بعضاً من تاريخ شعب إسرائيلِ، بادئين من انقسام المملكة.

الأنبياء الصغار (النبوات الصغيرة)



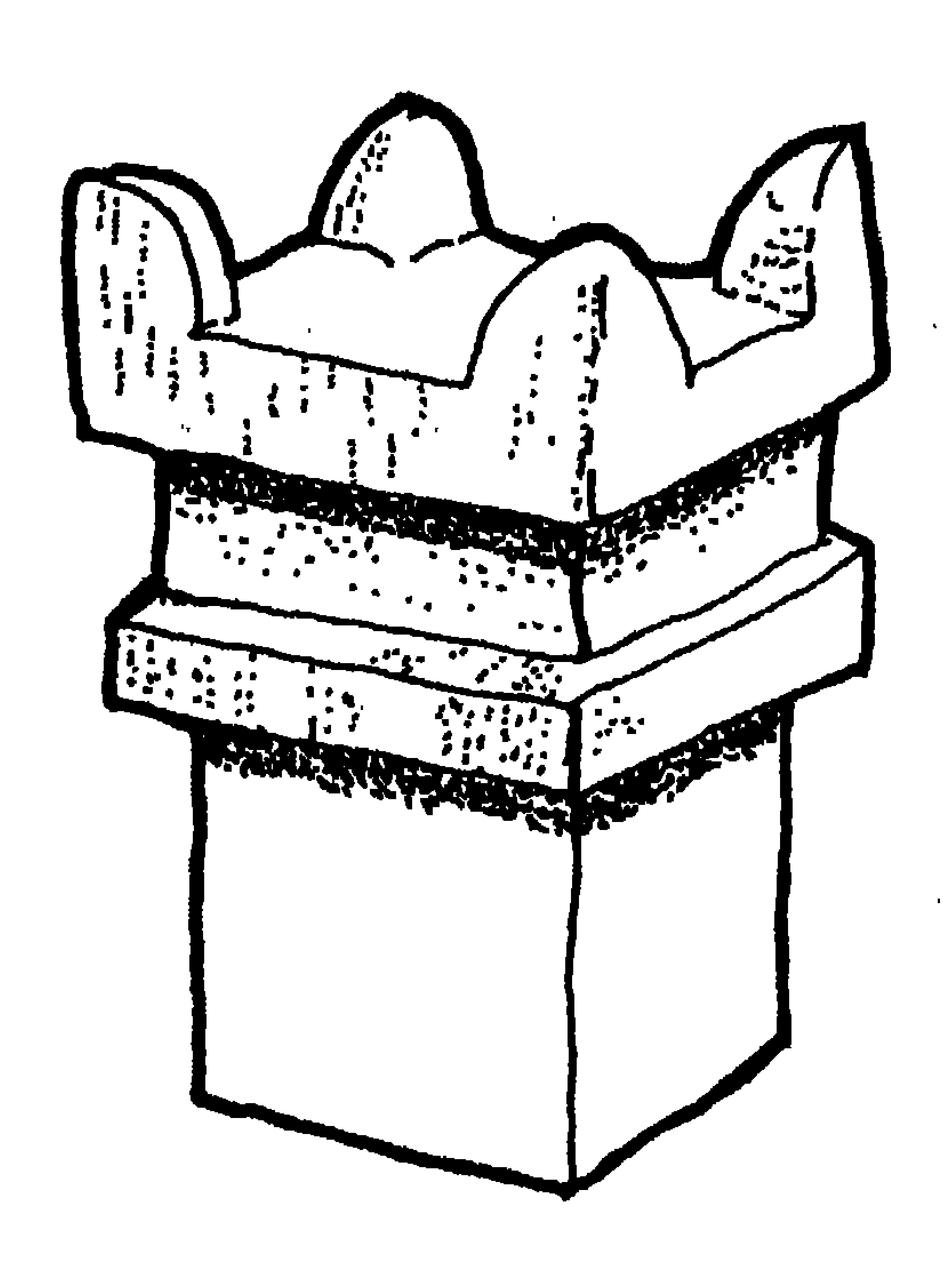
(شكل ٢١)

ويوضح التخطيط فى شكل ٢١ فكرة عامة مختصرة عن الأحداث فبسبب عدم اكتراث إسرائيل لتحذيرات عاموس وهوشع الممسوحة بالروح تعرضوا للسبى. وبالرغم من أن مملكة يهوذا أيضاً رأت ما حدث لإسرائيل وتحدث الله لها بتحذيرات مماثلة على ألسنة فريق قوى من الأنبياء إلا أنهم أيضاً لم يتوبوا. وبالتالى عانى كل من إسرائيل ويهوذا من سنين طويلة من الخدمة والعبودية فى بابل.

وخلال هذه السنين من السبى اليهودى حدثت تغيرات تاريخية. أولاً انهارت قوة بابل أمام الامتداد الكاسح للإمبراطورية الفارسية. ثم صعد صراخ شعب الله المختار والخاضع للتأديب والتطهير المؤلم وعندما رأى الله أن أيام تأديبهم قد اكتملت، استجاب لصراخهم بأن أعطاهم قادة ليقودوا الشعب راجعين لأرض ميراثهم.

وأول قائد عظيم كان الملك الأممى المدعو كورش، الذى شعر بأن الله يدفعه ليصدر إعلاناً مكتوباً أن هيكلاً سيبنى فى أورشليم للرب، وأن هذا العمل يحتاج لشعب يقوم به. لذا أعاد كورش كل كنوز الهيكل المسلوبة ليساعد على بدء هذا العمل، وكنتيجة لذلك عاد ٤٢٣٦٠ شخصاً من بنى إسرائيل لأورشليم تحت قيادة زربابل وكثيرين غيره. والآن لنتتبع تطور تلك الحركة الجماعية التى ربما تكون أهم حركة جماعية لشعب، رآها العالم حتى ذلك الوقت. تخيل معى هذه الجماعة العظيمة من الناس الذين أعياهم الترحال، وكيف يشعرون بعد أن عادوا من السبى وأجسامهم مترية وقواهم منهكة من طول السفر ليجدوا ميراثهم وميراث أجدادهم قد صار كومة من الحطام والركام.

ويخبرنا عزرا ٣:١-٦ كيف أن كل العائدين من السبى اجتمعوا معاً كرجل واحد ليقوموا بأول وأهم عمل فى أورشليم – بناء المذبح



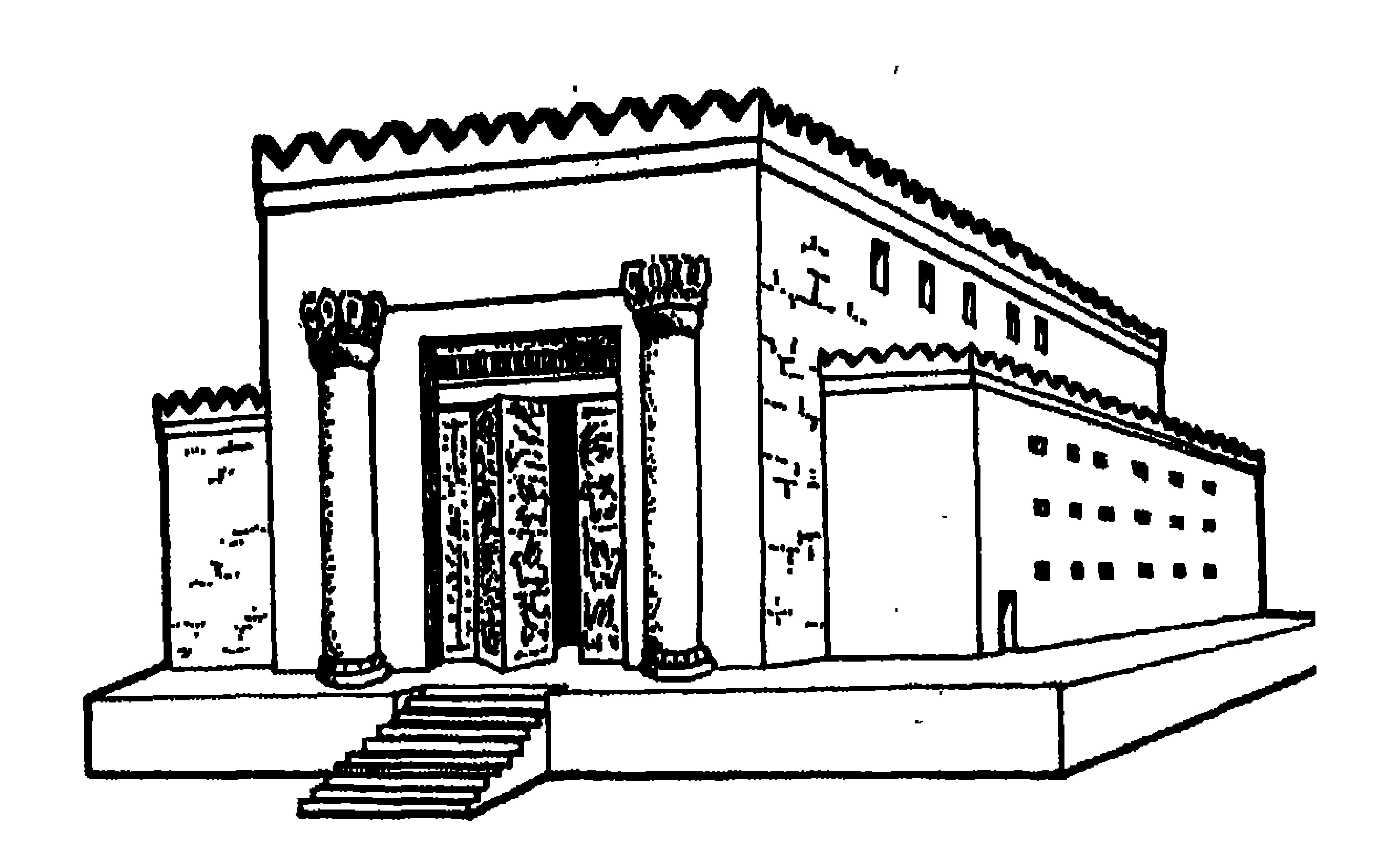
المذبـح

(شكل ٢٢)

وقبل أن تكون هناك أية عبادة، كان يجب تقديم ذبيحة عن خطايا الشعب، وهذا يوضح كيف أن العبادة لله لا تكون مقبولة إلا بعد التعامل الحاسم مع الخطية. والمذبح هو المكان الذى نأتى إليه لكى نتصالح مع الله ونبدأ فى حمل مسئولية خطايانا ونقبل من الله الفداء عن خطايانا. إن المذبح وما عليه من التقدمات، وبخاصة التقدمات التى يقدمها الإنسان مختاراً، ترمز للتكريس. والمذبح الجديد قد تم بناؤه فى أورشليم فى نفس مكان المذبح القديم، وهذا يمثل كيف أن العبادة الأولى قد أُعيد تأسيسها. إن العائدين من السبى عرفوا أنهم إن أرادوا أن ينجحوا فى بناء الهيكل فإنهم يحتاجون لبركة وقوة ونعمة من الله يهوه لكى يقدروا على هذا العمل، وهذا ليس صحيحاً فقط بالنسبة للمسبيين ولكن بالنسبة لنا أيضاً، فالمذبح هو مكان

الاعتراف	القبول
الذبيحة	العتق
التوبة	الشفاء
الغفران	الحماية
الكفارة	الدم الذى يطهر

وعندما نقبل المسيح لأول مرة كمخلص، فإننا نأتى للمذبح - ولكن هذا لا يعنى أننا لن نخطئ مرة أخرى. وعندما نخطئ، فكثيراً ما نفشل فى أن نعود مرة أخرى للمذبح. وبالتالى تنمو «الخطايا الصغيرة» وتتراكم فى حياتنا وإذا لم نعترف بها ونخرجها للنور فإنها تسبب انفصالاً بيننا وبين الله فنجد صعوبة فى سماع صوته واستقبال حبه وبالتالى يضعف حبنا له.



الهيكل

(شكل ٢٣)

لقد تعلم بنو إسرائيل هذا الدرس بعد معاناة، كما يحدث معنا اليوم فكثير من الأشياء قد تنمو وتغطى على المذبح فى حياتنا فيختفى بين الحشائش والنباتات الضارة ونحتاج إلى منجل قوى لكى نجده مرة أخرى وفى كل نهضة يجب على الشعب أولاً أن يتوبوا ويعترفوا بخطاياهم ويعودوا للمذبح حتى يستعيدوا شركتهم مع الله. إننا جميعاً نحتاج لأن نتبع هذا الطريق نحو المذبح كلما أخطأنا. إننا مدعوون أن نكون قديسين (١بط ١ :١٥) . والكتاب يقول إنه بدون قداسة، لا يقدر إنسان أن يرى الله (عب ١٢ :١٤) .

ثم بعد ذلك بدأ بنو إسرائيل يبنون هيكل الله تحت قيادة الكاهن زربابل (عزرا ٣:٧-١٣) والهيكل هو المكان الذى نعبد فيه الله وحده ونمارس الشركة معه ومع بعضنا البعض. وكما نحتاج للمذبح فى قلوبنا فنحن نحتاج أيضاً للهيكل أو المكان الخاص بالله وحده. نحتاج إلى مكان نضع فيه جانباً كل شىء آخر وندخل إلى محضره لنعبده ونسكن قلوبنا أمامه وهذا هو المكان الذى نستعيد فيه حيويتنا وتتعمق فيه علاقتنا به. وكما كان فى تلك الأيام، كذلك الآن فللهيكل أهمية كبيرة فى حياتنا. فهو مكان

العبادة	ممارسة الفرائض المقدسة
الشكر	حضور الله
الشركة	الفرح
العطاء	القداسة
الصلاة	القوة
الشهادة	المسحة

وفى كل من هذه الأمور، نرى كيف أن الهيكل كان مكان حضور الله حتى أنه فى بعض الأحيان لم يستطع الذين يخدمون فى الهيكل أن يقفوا على أرجلهم بسبب حضور الله المهيمن، وهذا ما نرجو أن نرى ولو لمحة منه فى أيامنا. وعندما تم العمل وأعيد بناء الهيكل كان احتفال إسرائيل عجيباً ويسرد عزرا ٣ :١١ كيف أن بعضهم كان يصيح والبعض يغنى وآخرون يبكون، بأصوات عالية حتى أن ضجيجهم كان يسمع من بعيد.

لماذا تأثر الشعب عاطفياً لهذه الدرجة؟ لقد عرفوا أن الهيكل يعنى أن الله سوف يحل بينهم مرة أخرى. ومن منهم يذكر الهيكل فى أيام الملك سليمان كان يبكى من الاشتياق العميق لأن يرى حضور الله وسط شعبه بقوة ونعمة مرة أخرى.

ما هى حالة هيكلك الشخصى؟ هل هو كومة حطام وأطلال ويحتاج بشدة لإعادة البناء؟ هل تركته يتحول إلى خرائب بسبب الإهمال وانشغال الحياة؟ كم هو مهم بالنسبة لك أن يعود حضور الله يملأ هيكلك يوماً فيوم؟ إننا كثيراً ما نكون منشغلين فى أعمالنا حتى من أجل الرب لدرجة أن لا يكون لدينا وقتاً له. يجب أن نعرف أن عمل أيدينا يكون مقبولاً لديه فقط عندما يكون تعبيراً عن علاقة حب بحيث يفيض الحب عملاً. إن هذه العلاقة لا تنمو وتتغذى وتقوى وتتأسس إلا فى الهيكل. ذلك المكان الذى نهمله عندما تزداد الضغوط والمطالب - حتى المشروع والصالح منها - وتزدحم حياتنا فلا يصبح هناك مكان له.

منذ عدة سنوات كنت أقود حلقة دراسية فى بينانج، ماليزيا عندما جاء بى الله إلى موقف مساءلة متحدياً إياى أن أواجه هذه الأسئلة.

لقد كانت هذه المدينة تدعى «لؤلؤة الشرق» و«مدينة الألف معبد» وقد كانت منذ زمن طويل مركزاً للعبادة الوثنية. ولأن التبشير ممنوع فى ماليزيا، لذا كان علىّ أن أحصل على تصريح خاص لكى أتحدث مع بضع مئات من الأشخاص فى هذه الحلقة الدراسية. وفى إحدى الليالى الحارة الرطبة قرب نهاية هذا الأسبوع من الخدمة، دعوت الحاضرين للتقدم للصلاة.

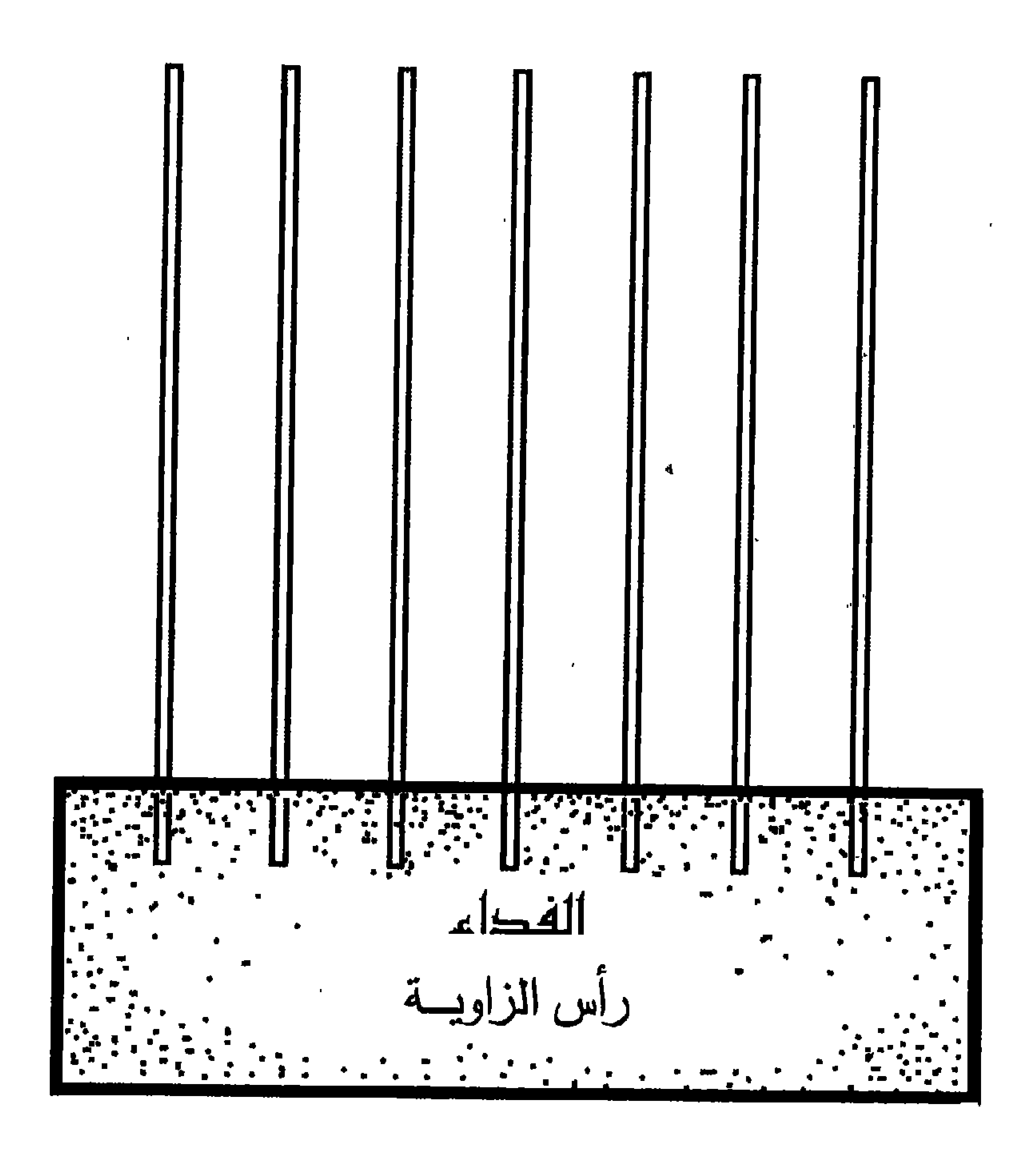
ومن المعروف أن ماليزيا هى مكان التقاء حضارات كثيرة مثل حضارة مالى والهند الصينية وفى هذه الليلة، وقفت أمام هذا الجمع، وكان جمالهم الأخاذ منعكساً على تنوع مظهرهم ولكن جمالهم هذا لم يفعل شيئاً لتهدئة شعورى المؤلم بالفراغ العميق وعندما رأيت سيدة هندية جميلة تبكى، بدأت أصلى من أجلها ولكننى وجدت نفسى خالياً إلا من مشاعر ضحلة لم تمكننى من التوحد بهذه السيدة. التى أفضت إلىّ فيما بعد أنها سيدة مطلقة تعانى من ألم ومرارة الانفصال وبالرغم من أنى كنت أعرف أن الله يعمل فى حياتها كنت لا أزال أشعر بأنى منفصل عنها وبعيد غير قادر على التعاطف معها.

وبعد ذلك عندما عدت لغرفتى الفخمة فى الفندق، شعرت أن هناك شيئاً خطأ كان موجوداً بالرغم من أن تلك الليلة كانت قوية. وبالرغم من أنى رأيت الروح القدس يطلق الناس أحراراً، لماذا بقيت أنا بارداً وبعيداً؟

عندئذ ركعت بجانب السرير، وطلبت إجابة من الرب، لماذا كنت بعيداً وغير مبالٍ. لقد كان الوقت يقارب منتصف الليل وكنت متعباً مستهلكاً من خدمة أسبوع كامل، لكننى دفعت نفسى دفعاً للصلاة.

سور الخلاص

عزرا = الصلح



(شكل ٢٤)

وأخيراً سمعت الرب يقول لى «بروس، لقد كنت مشغولاً جداً بعملى، حتى أنك لم تجد وقتاً لى» وفجأة رأيت كيف أن الشهور القليلة الماضية كانت مملوءة بالمواعيد والدراسات والخدمة لدرجة أنى أهملت المذبح والشركة الحميمة مع الله، لقد جعلت من خدمتى صنماً وكنت أتعبد فى محرابه بدلاً من الركوع عند قدمى الرب. لقد رأيت بوضوح كيف أن نعمة الله لم تزل تبارك كلمته من خلالى، ولكن بسبب إهمالى صرت أنا خارجاً أنظر من بعيد كالمتفرج.

وبدموع التوبة، اتضعت ووجدت نعمة عند الله لأعود للهيكل الذى فى قلبى منتظراً حضوره الذى يملأنى بالفرح.

ومنذ ذلك الحين وأنا ألاحظ كيف أن الكثيرين منا لا يطلبون حضور الله باعتباره الاحتياج المُلحّ ففى المزامير (مز ٨٤:٥-١٢) يتكلم داود عن أُناس سعداء ومحظوظين بل ويحسد الذين يسكنون فى محضر الرب. لأنهم يختبرون فرحه وراحته وقوته وكذا كل ما يحتاجونه فى خدمتهم. إن إهمال الهيكل أو إقصاء مكان العشرة الحميمة مع الله من مركز حياتنا يجعلنا معرضين لعبادة «آلهة» أخرى ويوقعنا فى الخطأ ويجعلنا نتوه فى متاهة وثنية من الدين المزيف فوجودنا فى محضره هو فقط الطريق إلى أن يعكس وجودنا وجوده هو. وكما كان فى أيام عزرا، نحتاج أولاً أن نعود إلى المذبح للتوبة ثم نهتم بالهيكل ولا نهمله أبداً. ومنذ أيام الكنيسة الأولى، ونحن نستطيع أن نأخذ هاتين الخطوتين وذلك فقط بسبب عمل المسيح الكفارى على الصليب يدعى المسيح، رأس الزاوية فى ١بط ٢:٤-٨ وهذا الرأس يجب أن يكون هو المذبح والهيكل فى حياتنا بشكل مستمر.

وحتى نعيد الرب إلى مكانه الصحيح فى حياتنا سوف لا نستطيع

أن نختبر الخلاص الحقيقى ولا نتقدم للأمام خطوة واحدة. ولإجمال ما ذكرنا نرى فى شكل ٢٤ أن الأساس لسور الخلاص هو **حجر الفداء**.

... لذلك يقول السيد الرب. هأنذا أؤسس فى صهيون حجراً. حجر امتحان حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً من آمن (من وثق، من اعتمد، من التصق بهذا الحجر) لا يهرب (لا يشعر بالخزى ولا يستسلم ولا يجرى فزعاً) واجعل الحق خيطاً (خيط القياس) والعدل مطماراً (لأكشف عن زيف أعمالكم) فيجرف البرد ملجأ الكذب ويجرف الماء الستارة (المخبأ) (إش ٢٨: ١٦-١٧).

إن هذه الأعداد ترسم صورة عاصفة رعدية، تجرف أمامها ملجأ الكذب وجدران الرفض والتمرد. وبمجرد هدم هذه الأسوار يؤسس سوراً جديداً. بحجر زاوية جديد حجر ممتحن وموثوق به يبنى عليه سور الخلاص ويكون هذا السور مستقيماً وآمناً متفقاً مع البر ومتسقاً مع **الزيج الإلهى** (المطمار).

فى الفصل التالى سوف نرى كيف يمكننا أن نبنى هذه الأسوار لتكون خلاص لنا.

تعال جانباً

- راجع دور ووظيفة المذبح فى حياتك.
- كيف يمكنك أن تنمو فى الشركة مع الله؟ اكتب خطتك.
- تأمل حجر الأساس لإيمانك ... ما هو؟!

الفصل العاشر

(العودة للآب)

الآن قد تم بناء الهيكل فى أورشليم، لكن المدينة المقدسة كانت لاتزال محاطة بأسوار منهدمة وأبواب محروقة بالنار. لهذا أقام الله نحميا ليقود المجموعة الثالثة والأخيرة من بنى إسرائيل للعودة من فارس لبناء أسوار المدينة. إن اسم «نحميا» يعنى «المشير والمعزى» وهو يرمز إلى الروح القدس عندما يأتى إلينا ليرشدنا ويقوينا للسير فى طرق الله.

كان نحميا فى الحياة العامة، ساقياً ومُشَيِّداً وحاكماً أما فى الحياة الروحية، فهو يتحدانا أن نشرب من كأس الرب ونُشَيِّد أسوار الخلاص ونعد أنفسنا لكى نحكم ونملك مع يسوع المسيح.

إن سفر عزرا الذى درسناه فى الفصل السابق هو سفر المصالحة، أما سفر نحميا فهو سفر استعادة إسرائيل لميراثها المعطى لها من الله. وكساقٍ للملك الفارسى فى القصر الشتوى فى شوشن، سمع نحميا بعض الأخبار المحزنة عن موطنه: فقد انهدمت أسوار أورشليم وأصبح الشعب فى حالة دائمة من الخطر والا هديد. وبالرغم من أنه كان بعيداً عن أورشليم إلا أنه كان مهتماً ومغتماً جداً بسبب هذه الأخبار وكان قلبه مملوءاً بالشفقة على شعبه حتى أنه بكى وناح وصلى لمدة أربعة شهور متشفعاً عن شعبه فى هذا الموقف العصيب.

ومن المناسب هنا أن نسأل هذا السؤال، «ماذا يكون رد فعلنا عندما يرسل لنا الرب رسالة عن طريق واحد من رجاله؟ »هل نفعل مثل نحميا ونستقبل هذه الرسالة بجدّية؟ للأسف، أعتقد أننا كثيراً ما لا نلاحظ أن الله هو المتحدث إلينا، أو ربما - وهذا أسوأ - ننسى ما قاله بعد بضعة أيام وفى سفر نحميا، نقرأ كيف أن نحميا سكب قلبه أمام الله لمدة أربعة شهور متتالية قبل أن يتلقى إجابة منه. وفى عدد ٥ من الأصحاح الأول، نرى كيف أن نحميا عندما جلس أمام الرب، بدأ فى شكره وتسبيحه على حفظه لعهده وعلى أنه الإله المحب الرحيم لكل حافظى عهده ووصاياه. كيف استطاع نحميا إزاء هذا الدمار الذى كان يعانى منه وطنه أن يتجاوب بمثل هذه الإيجابية بالتسبيح والشكر؟ من الواضح أنه بالتأكيد قد حصل على رؤيا كشفت له عن طبيعة الله وشخصه، حتى أنه فى وسط ذلك الموقف الذى كان يبدو مستحيلاً استطاع أن يسبح الله على أمانته.

معرفة ما هو حقيقى؟

عندما كان نحميا يسبح الله فى مثل هذا الموقف الصعب لم يكن يمارس نوعاً من إنكار الواقع ولكنه كان يربط هذا الواقع بشخصية الله التى هى واقع فالله أعظم من أى تحدٍ على وجه الأرض. وعندما بدأ فى تسبيح الله وشكره على شخصه وصفاته أدخل نحميا الله، الإله الذى يستطيع كل شىء إلى هذا الموقف الصعب الذى يبدو مستحيلاً.

وكما يخبرنا الكتاب أن الله يسكن وسط تسبيحات شعبه، فإننا عندما نسبح الله، يأتى ويسكن فى وسطنا، وعندما نراه ونلمسه ينتعش

إيماننا، ويتجدد رجاؤنا، وبالتالى نجد أن الموقف الذى كان يبدو مستحيلاً ينكمش إلى حجمه الطبيعى فى ضوء حقيقة الله.

وعندما بدأ نحميا فى تسبيح وعبادة الله، ارتفع الإيمان فى قلبه أن يرى شعب الله وقد استقام مع الزيج الإلهى واستعاد وعود الله له. عندئذ استطاع نحميا أن يقول مع أيوب، «بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأتك عينى (الروحية)» (أيوب ٤٢: ٥). ماذا كان يعنى أيوب؟ لقد سمع أيوب كثيراً عن الله. وعاش فى ضوء هذه الحقيقة ولكن عندما سمح الله بأن يجربه، حصل أيوب على كشف واضح لحقيقة نفسه، وتحت التبكيت العميق، تاب أيوب فى التراب والرماد وهكذا صرخ «الآن رأتك عينى الروحية». لقد كان أيوب يقول إنه تقابل مع الله بطريقة جديدة ومثيرة. لقد جاء أيوب للنقطة التى عندها انسكب إعلان الله فى قلبه وحياته، وإلى هذه النقطة يريد الله أن يأخذنا كلنا – ولكن هذه النقطة عادة ما تأتى فى قلب ظروف صعبة كالتى اختبرها أيوب ونحميا. وإذا تجاوبنا نحن أيضاً بالتسبيح فى وسط برية الظروف الصعبة سوف نحصل أيضاً على الإعلان الذى نريده لاجتياز هذه التجربة.

فى شكل ٢٥ ، نرى حجر الأساس **للفداء** حيث المسيح رأس الزاوية كما توجد سبعة أعمدة تقوى سور الخلاص. وكما رأينا من مثال نحميا، فإن أول هذه الأعمدة السبعة هو عامود **الإعلان**.

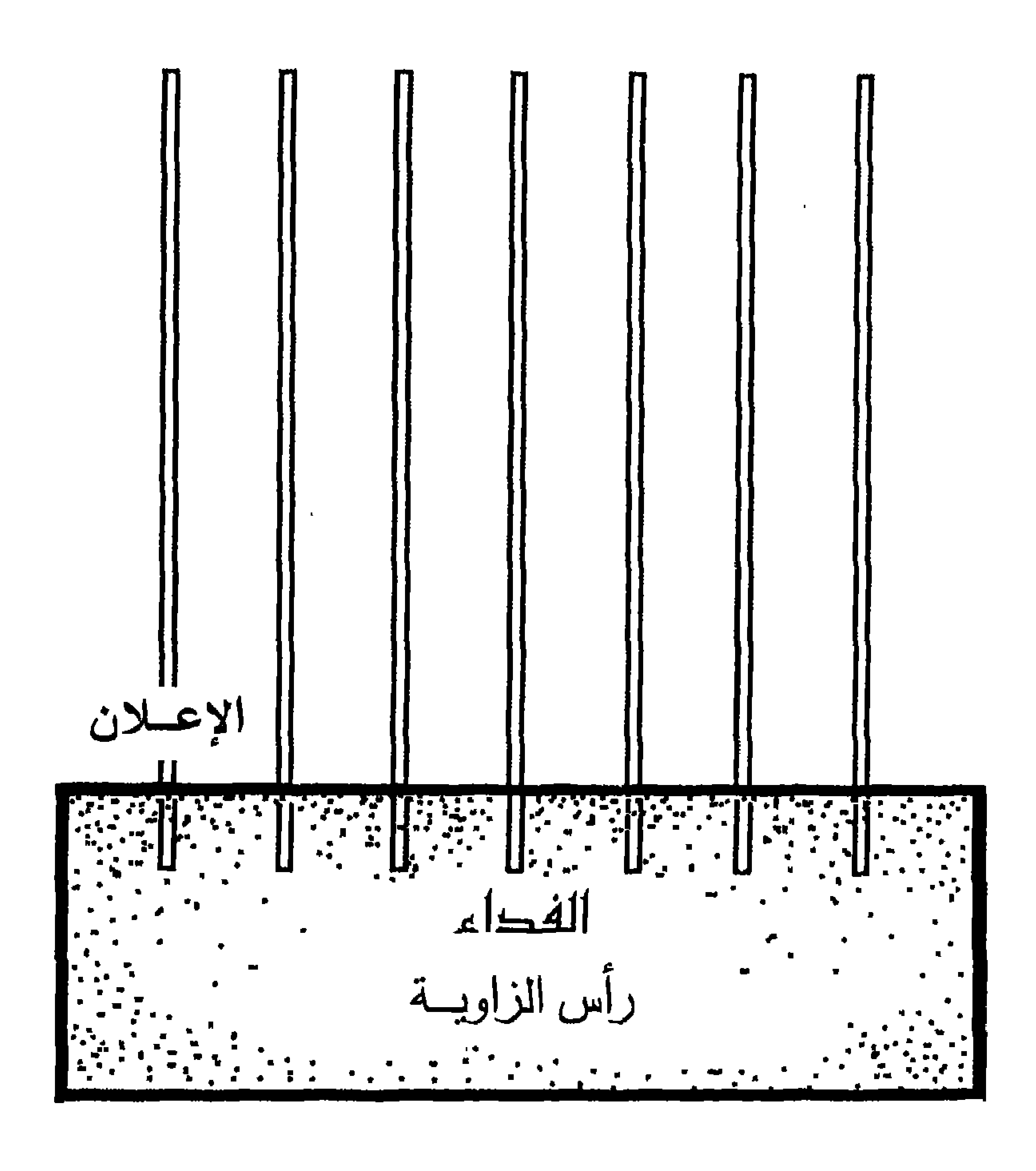
إن الإعلان ليس مجرد معرفة أو فهم أعمق، ولكنه بصيرة تحدث تأثيراً فى القلب وبالتالى تغييراً فى أسلوب الحياة.

ولا يحصل الشخص على الإعلان على أساس مستوى ذكائه ولكن هؤلاء الذين يطيعون كلمة الله هم الذين يتلقون إعلاناته.

سور الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٢٥)

الطفل الصغير الذى يفتح قلبه لله بكل طاعة، قد يحصل على إعلان أعظم من أعظم أساتذة اللاهوت والدين! مزمور ١١٩ :٩٧-١٠٠ يقول إن المطيعين يحصلون على إعلان أعظم من أساتذتهم وشيوخهم وأعدائهم. وفى نفس الوقت يؤدى العصيان إلى الوقوع فريسة للخداع وفقدان الرؤيا.

العلاقة الحميمة مع الآب

فى إنجيل يوحنا (يو ١٤ :١-٦) يتكلم المسيح مع تلاميذه عن رحيله. لقد ظن التلاميذ أنه يخطط للإطاحة بالحكم الرومانى الطاغى وتأسيس مملكته لذا فقد أصيبوا بحيرة شديدة بسبب كلام المسيح عن رحيله القريب. ماذا عن أحلامهم السياسية إذن؟ بعد قليل، كسر توما حاجز الصمت المضطرب وخاطب يسوع بشجاعة قائلاً له عن حقيقة ما يدور فى أذهانهم إذ لم يعرفوا أنه راحل إلا الآن فكيف يعرفون إلى أين هو راحل وكيف يذهبون إليه؟ أما يسوع فقال متحدياً كل أفكارهم المسبقة: «أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى» (يو ١٤ :٦).

أما التلاميذ فتعجبوا، ماذا كان يسوع يعنى؟ ثم يقول لهم إنه ذاهب لمكان آخر، لا ليؤسس ملكوتاً أرضياً بل سماوياً مع الآب. لقد كان يسوع يحاول أن يقول للتلاميذ ألاّ يتوقفوا «فى الطريق» بل يقطعوا كل الطريق إلى وجهتهم، التى هى العلاقة الحميمة مع الآب فالمسيح هو الطريق للآب ذلك الطريق الذى يجب أن نسلكه جميعاً لنعرف الله.

لم يكن الآب يريدنا أن نخلص ثم نظل متروكين كأيتام، بل هو يشتاق للعلاقة الحميمة معنا (يو ١٤ :١٨) . وهو يريد أن يأتى مع المسيح ويسكن فينا، نحن هيكله الحقيقى ليكون لنا صديقاً وأباً. وهكذا أصبحت المعلومات التى عرفها التلاميذ بأذهانهم، إعلاناً يتحدى كل حياتهم ويصبح جزءاً أساسياً فيها. لماذا يصبح من الصعب علينا جداً أن نتبع يسوع إلى أن نصل للآب؟ لماذا يظل كثيرون منّا يتامى بينما المسيح يشتاق أن نشترك معهم فى البنوة للآب؟ وخلال مرات عديدة كنت فيها أقدم المشورة رأيت المخاوف والمعوقات والشكوك وغيرها من القيود تمنعنا من الاستمرار لقبول محبة الآب. وما يلى من الإيضاحات يساعدنا أن نرى لماذا يحدث هذا.

المعوقات

عندما كانت «ليديا» تحضر مدرسة (شباب لهم رؤية) للتلمذة، كانت منتبهة جداً للأسابيع القليلة الأولى وعندما أتيحت الفرصة للطلبة أن يشاركوا باختباراتهم أمام الفصل، كانت «ليديا» أول المتحدثين.

«أنا من أسرة تتكون من ثمانية أبناء وبنات» قالت «ليديا» هذا بصوت ضعيف ولكن واضح. وكان الجميع صامتين ولم يخترق السكون إلا صوت زقزقة العصافير على أشجار جوز الهند فى الفناء الخارجى. وأضافت «ليديا» «عندما كنت فى مرحلة المراهقة، أصيبت أمى بالسرطان وكانت حالتها متأخرة» كان على عندئذ أن أترك المدرسة وأبدأ فى إدارة البيت وكنت محبطة جداً بسبب عدم استطاعتى أن أتمم دراستى وأتخرج مع زملائى وأصدقائى. ماتت أمى

بعد بضعة شهور وحيث أننى كنت الأخت الكبرى تحملت مسئولية رعاية الأطفال. لقد صارعت كثيراً لكى أفهم لماذا ترك الله أمى تموت، ولكن فى كل يوم كان أبى يقرأ الكتاب ويصلى معنا كان هذا يعطيني راحة حقيقية».

صمتت «ليديا» لبرهة وألقت نظرة على الجالسين وأكملت: «فى إحدى الأمسيات جاء أبى إلىّ ودعانى إلى غرفته» سكتت «ليديا» ثم أكملت فى تردد ملحوظ: «لقد أخبرنى أن مسئولياتى الجديدة تتضمن أن أحل محل أمى كرفيقة فراشه» عندئذ سرت موجة من الصدمة فى كل الحاضرين ومدت «ليديا» يدها لتمسح الدموع من عينيها وأضافت أن علاقة محرمة عندئذ بدأت بينها وبين والدها؟ وعندما حبلت نتيجة لهذا، قال لها والدها أن المولود سوف يصبح أخاً أو أختاً جديداً فى الأسرة.

وفى شهور الحمل الأخيرة، تحدثت «ليديا» مع أختها الصغرى واكتشفت انها أيضاً قد أصبحت على علاقة جنسية مع أبيهما. لقد كانت الفتاتان تريدان أن تثقا بوالدهما، لكنهما صارعتا إحساساً عميقاً بالذنب. وكلما كانتا تتحدثان أكثر شعرتا بمزيد من الذنب. لقد ظلل العار والخجل كل شهور الحمل التسعة ولم يترك مكاناً لأى فرح بسبب الأمومة المنتظرة.

أكملت «ليديا» قائلة: «لقد بدأت أكره أبى. كنت أصعد وأهبط فى علاقة متأرجحة معه من الحب والكراهية. وبدأت تنمو داخلى رغبة أن أنسى كل الضغوط المتصارعة داخلى والتى تسبب لى الحيرة والاكتئاب». وقالت «ليديا» إن والدها أيضاً شعر بالصراع الدائر داخلها لذا حاول تخويفها بالتهديدات اللفظية وكذا رشوتها. وكانت راحتها

الوحيدة تكمن فى حبها العميق لطفلها الوليد «چوى»، الذى كان يقال له وهو يكبر تدريجياً إنه أخ أصغر لهم. وأخيراً جاء اليوم الذى لم تستطع فيه «ليديا» أن تتحمل المزيد.

فجمعت بعض حاجيات ضرورية وأخذت بعض النقود التى كانت توفرها لهذا الغرض وكانت تصارع بين الإحساس بذنب الرحيل وبفظاعة البقاء ليوم آخر، وكانت الأسئلة تجرى بسرعة فى ذهنها.

لقد عانت أسرتها حزناً عميقاً عندما ماتت أمهم والآن ترحل «الأم» الوحيدة الأخرى التى عرفوها وتختفى فجأة من حياتهم آخذة معها «الأخ» الأصغر.

كيف أفعل ذلك؟ وفى نفس الوقت كيف لا أفعل ذلك؟ بكت «ليديا» أمامنا إذ شعرت بالألم مرة أخرى. وأجهشت ببكاء هز جسدها النحيل وهى تحكى كيف أخذت طفلها الرضيع وتسللت من البيت وتركت الجيرة المألوفة وعشرة العمر كله.

وسافرت لمكان آخر بعيد لتسكن مع صديقة قديمة من المدرسة وحصلت على وظيفة ثم استأجرت شقة صغيرة لها ولطفلها. عندئذ كتبت خطاباً لوالدها تشرح له فيه لماذا رحلت وأنها هى «وأخوها» فى أحسن حال. وأكملت «ليديا» تشارك كيف أنها جاءت لهذه المدرسة، وهى لا تزال تشعر بذنب عميق لا يتوقف وعار وخوف أن يعرف أحد بماضيها ويرفضها هى و«چوى»، الذى أصبح الآن فى بداية سن المراهقة.

لم تستطع «ليديا» أن تنفض عن نفسها إحساساً دفيناً بالنجاسة ولاتزال تصارع أحاسيس الكراهية تجاه نفسها وتجاه والدها.

وعندما استمعت لقصتها، صدمتنى قدرة النفس الإنسانية على الحياة وتحمل مصائب كهذه. لقد أعادت هذه القصة أيضاً إلى ذهنى أهمية الدور الوالدى فى الحياة البريئة للأطفال الصغار الذين يبدو أن لا خيار أمامهم إلا أن يصارعوا مرارة الحصرم الذى يأكله آباؤهم وما لم نعرفه جميعاً أنه بينما كانت ليديا تشارك كان «چوى» حاضراً حيث تعطل الأتوبيس الذى كان يقله إلى المدرسة وكان «چوى» فى المؤخرة متعجباً مما تعمله «أخته». وزادت دهشته عندما رآها تتقدم الصفوف وتصعد على المنبر لتشارك وظل «چوى» مختبئاً يستمع خلف الأعمدة المزخرفة المحيطة بالخيمة التى يعقد فيها الفصل.

ولم يكن «چوى» يدرى أن اللحظات التالية سوف تكون أغنف اللحظات فى حياته كلها إذ استمع للقصة الكاملة لأول مرة فى حياته. وبينما كان «چوى» يستمع «لأخته» تشارك انهمرت دموع الحزن والارتياح من عينيه حيث فهم أخيراً الغموض الذى كان يحيط بالسنين الأولى من حياته.

وعندما أكملت أمه المشاركة، لم يستطع «چوى» تمالك نفسه أكثر من ذلك وهرع إلى المنبر وألقى بنفسه فى أحضان أمه المذهولة من المفاجأة، واحتضن «چوى» أمه بكل قوة وانخرطا الاثنان فى البكاء. واخترقت أصوات النشيج الهادئ الصمت المطبق فى المكان حيث انهمرت دموع على أوجه كثيرة. وأخيراً التفت «چوى» نحو أمه، وهو لايزال يبكى، «لقد كنت دائماً أشعر أن هناك شيئاً خاصاً بينى وبينك، والآن أعرف لماذا! إننى أحبك يا ماما!

قلب الآب الكسير

وبينما كانا يحتضنان بعضهما البعض، كان يبدو وكأن الله نفسه يحتضنهم بين ذراعيه الأبوية الحنونة. ثم شعر واحد من فريق التدريس فى المدرسة أن الله يريد أن يعطيهم رسالة. وقال إن الله يبكى معهم فى حزن عميق بسبب صورة أبوّته التى تشوهت أمام أعينهم والألم العميق الذى سببته لهم ومضى هذا الرجل يقول إن محبة الله طاهرة ونقية وهو لن يخذلهم أبداً. لقد شعرنا كلنا وقتها أننا نقف على أرض مقدسة إذ رأينا الله الآب يعيد إظهار أبوته للأم وابنها ويقودهم لاختبار حقيقة شخصيته وجمال حبه عندئذ تلقت ليديا إعلاناً جديداً عن الآب وهذا الإعلان غيّر حياتها حتى أنها بعد ذلك اتجهت لتكون لها خدمة قوية بين ضحايا العلاقات الجنسية الغير شريفة. حتى أنها بدأت تشارك قصتها فى التليفزيون والراديو وتخبر كيف أن يسوع أحضرها للآب وشفاها إذ شفى صورة الأب المكسورة داخلها من خلال حبه الأبوى ثم تزوجت «ليديا» بعد ذلك من شخص مسيحى تقى.

وكما اختبر الكثيرون منّا، لقد تشوهت صورة الأب عند «ليديا» بشكل كبير بسبب الشهوة وبالتالى وصلتها صورة مشوهة عن الله الآب الذى هو أكثر شخص يساء فهمه، وتلقى عليه الاتهامات الباطلة وتلفق حوله الأكاذيب وينسب إليه الباطل وهذه خطة شريرة يضعها الشيطان نفسه. إن الآباء الأرضيين يمثلون صورة الله الآب أمام أطفالهم إلا أنهم يفعلون كل شىء سىء بدءاً من إهمالهم لأولادهم حتى ضربهم حتى الموت! لذا فلا عجب إن أصبحت الأبوة موضع تساؤل وخلاف شديد وسمعة سيئة.

فى الفصول السابقة ناقشنا عجز المحبة الذى يتولد فى حياتنا

بسبب الزيج البشرى الزائف. والمسيح يأتى بنا إلى الآب فيسد هذا العجز بل ويعطينا ضماناً يمكننا من اختبار الشعور بالأمان فى ظلال حبه دون البحث عن الحب فى الآخرين. إذا ظلت صورة الله الآب مشوهة بسبب سلبياتنا نحن والاختبارات المؤلمة التى نتعرض لها سوف يزداد عجز المحبة ويزداد الشرخ عمقاً فى حياتنا.

الصور المشوهة

إن احتياجنا لأن نعرف الشخصية الحقيقية للآب كان ظاهراً جداً أمامى عندما جاءت إلى «مولى»، هذه السيدة الشابة المتزوجة من شخص مسيحى مكرَّس وبالرغم من ذلك قررت أن تنفصل عنه لفترة بسبب الصراعات التى كانت موجودة فى حياتهما الزوجية. قالت «مولى» إنها عندما كانت فى الثامنة من عمرها انفصل والداها وذهبت لتعيش مع والدها. وفى أحد الأيام قالت لوالدها إنها تريد أن تذهب لتعيش مع أمها لفترة ولكن لأن صحته قد أصبحت عليلة جداً قال لها ألاّ تذهب وإلا سيموت. وعاشت «مولى» ممزقة بين رغبتها فى الذهاب وخوفها على والدها لذا أجلت الذهاب. وأخيراً وبعد مدة طويلة قررت الذهاب ولكن للأسف، توفى والدها وهى بعيدة عنه لذا فقد غمرها الألم والشعور بالذنب والاكتئاب الشديد حتى أنها شعرت أن والدها توفى بسبب أنها عارضته وذهبت عكس إرادته.

الثقة بالآب

ولمدة سنين بعد ذلك كانت صورة الله الآب فى ذهن «مولى» هى

صورة هذا الوالد فبدلاً من الثقة والمحبة كانت مشاعرها تجاه الله الآب هى فقط مشاعر الخوف وعدم الثقة.

أما الآن فبالرغم من أنها تردد كل الكلام المسيحى الصحيح إلا أن هذا الكلام نابع من عقلها وليس من قلبها. تخبرنا أمثال ٢٣ :٧ أنه كما نفكر فى قلوبنا هكذا نحن. إن الله يجىء بالزيج على قلوبنا وليس على عقولنا لأن القلب هو الذى يحدد أسلوب حياتنا وكيف نسلك فى الحياة.

وعندما انتهت «مولى» من حديثها، كنت أستطيع أن أرى مساحات كبيرة من عدم الثقة أثرت بشدة على علاقتها بزوجها. وعندما انتظرنا الرب معاً، عدنا للوراء لنرى كيف أن أباها كان يستخدم حبها له بشكل غير سليم. وبلطف، تكلم الله إلى قلبها وأظهر لها كيف أنها عاشت حياة من عدم الثقة وأنها تحتاج أن تتحمل مسئوليتها عن ردود أفعالها واتجاهات قلبها بأن تغفر لوالدها ولنفسها وفعلت «مولى» هذا، تائبة بدموع ومد الله يده إلى أعماق كيانها وشفى الجرح العميق فى روحها.

ما الذى حدث بالفعل فى قلب هذه السيدة الشابة؟ لقد عرفت المسيح والروح القدس أما الآب فرأته من خلال نظرة مشوهة بسبب أبوها الأرضى. وفى ذلك اليوم صلينا، وأطلق الله «مولى» من مخاوفها وشكها وبدأت الاكتشاف المثير لمن هو الله الآب بالفعل والآن استردت «مولى» كل شىء فى حياتها حتى زواجها.

إننا جميعاً مثل «ليديا» و«مولى»، لدينا صور مختلفة عن الأب ندخل بها حياتنا المسيحية ربما ماتت أمنا بالسرطان عندما كُنّا أطفالاً أو تم طلاق والدينا وعشنا فى منزل أحد الأقارب، ربما عشنا سنوات حياتنا الأولى مع أب مدمن للخمر أو أب مدمن للعمل والإنجاز كان يضع لنا

دائماً مقاييس للأداء لم نصل إليها أبداً ولم يحاول أبداً أن يقيم معنا العلاقة التى كنا فى أمس الحاجة إليها.

فى كل هذه المجالات وغيرها ما هى الصورة التى تتكون لدينا عن الله الآب؟ ما هو الزيج الذى يصبح فى حياتنا عندئذ؟ إننى عندما أقدم مشورة لأشخاص كثيرين أجد أن الزيج الذى يتبعونه مختلف تماماً عن الزيج الإلهى فيما يتعلق بشخص الله وطبيعته.

احتياجنا العميق

لقد كانت صورة الله عندى هى صورة شخص لا يمكن أبداً أن يقبلنى ويشجعنى وهى صورة بعيدة تماماً عن الزيج الإلهى. وبسبب اختبارات حياتى، صدقت أكاذيب الأنبياء الكذبة وذلك حتى لمس الله حياتى بعمق وقوة وسمح لى أن أعرف الله الآب الحقيقى وعندئذ فقط بدأت لأول مرة أعرف الشعور بالأمان والراحة. إننا كلنا نحتاج لإعلانٍ عن شخصية وطبيعة الله. إننا نعرف كثيراً فى عقولنا والكثير قد كُتِبَ عن الله – ولكن هل نعرفه فى قلوبنا؟ لأى مدى هو حقيقى؟ وهل لدينا بالفعل علاقة حب عميقة معه تكون هى أغلى شىء فى حياتنا؟

إن يسوع هو الطريق لمعرفة الآب وكلما سمحنا له بأن يقودنا، أصبح الآب حقيقة فى قلوبنا وحياتنا. فكما أن نحميا احتاج لمثل هذا الإعلان حتى يمكنه من إتمام المهمة التى أعطاها له الله كذلك فإن كل واحد منا أيضاً يحتاج لإعلان خاص حتى يتمكن من إتمام مشيئة الله وقصده فى حياته. إننا لكى نرى سور الخلاص مبنياً ومرتفعاً فى حياتنا علينا أن نمضى قدماً لنعرف الله الآب.

إن أبانا السماوى يحزن بشدة من الأحداث التى تشوه صورته الأبوية. لقد وضع الله أن تنعكس صورته بشكل كامل ونقى من خلال الأجيال المتعاقبة من الأسر والأمم والشعوب ولكن إبليس من خلال طرقه الخبيثة الخداعة وكذبه المضلل قد أغوى قلوب الكثيرين من أبناء الله ليجعلهم يأخذون موقف العداء من أبيهم السماوى فالكثيرين من الناس يعلنون بصراحة عدم ثقتهم وعدم إيمانهم بل وكراهيتهم واستيائهم من الله بل وحتى ينكرون وجوده ذاته.

ولكن المسيح يظل هو الطريق الثابت والحق الصريح والحياة الحقيقية المؤدية لله الآب. وعندما نضع أيدينا فى يده ونسمح له بأن يقودنا للعودة للشركة مع الآب المحب فإن مخاوفنا تبدأ فى الذوبان أمام حرارة محبته.

يعكس مزمور ١٣٩ الطبيعة الحقيقية لله الآب. وفيما يلى بعض من الأوجه الجميلة لطبيعة الله الآب العادل فى كل طرقه والمحب فى كل أفعاله.

والكتاب فى هذا المزمور يظهر الله بهذه الصفات:

كُلىّ القدرة ١٣٩ :١-٤

كُلىّ الحضور ١٣٩ :٥

كُلىّ العلم ١٣٩ :١٣-١٤

كُلىّ المحبة ١٣٩ :١٥-١٨

وعندما نقف أمـام طبيعة الله، لا نملك إلا أن نقف مندهشين من كل مـا يجمعه الله فى شخصيته الفريدة. وإننا إذا استطعنا أن نقترب منه ونختلس النظر إلى جدوله اليومى سوف يصيبنا الذهول مما سنراه! وإذا استطعنا أن نفحص هذا الجدول اليومى بدقة سوف تصيبنا الرهبة إذ نكتشف أنه يعلم إحصـاء حتى شعور رؤوسنا ولكنك قد تتسـاءل، لماذا يهتم شخص له مثل هذه القدرة ويتدخل فى أدق تفاصيل حياتى؟ إننى شخصياً لا أجد فى عقلى سوى سبب واحد – وهو انه يحبنى محبة شديدة وعميقة حتى أنه لا يهمل أى من تفاصيل حياتى.

إن الله يريدنا أن نراه ونعرفه كما هوّ بالحقيقة وهو يريد أن يعطينا هذا الإعلان الحقيقى ربما أكثر مما نحن مستعدون لتقبله. إن قلبه يتألم من قسوة خطايا الآباء والأمهات واشتياقه الأعظم هو أن يمتص أبناءه ويعلن لهم حقيقة شخصيته.

إن الإعلان يجب أن يُتبع بخطوة أخرى، فبدون الوجه التالى من سور الخلاص يمكن لهذا الإعلان أن يكون عقبة وفخاً للكبرياء.

فى الفصل التالى، سوف نرى ما هو أعظم مفتاح لتغيير أسلوب حياة الإنسان ونحن نستكمل دراستنا عن إعادة بناء أسوار الخلاص.

تعال جانباً

- صف صورة الله الآب التى تكونت لديك وأنت طفل صغير.
- صف صورة الله الآب التى لديك الآن.
- راجع الأوقات التى تعتقد أنها أهم المرات التى أعلن لك الله فيها عن أبوته فى حياتك.

الفصل الحادى عشر

مقياس الله

لقد قال د. ل. مودى ذات مرة: إن أفضل طريقة لإثبات اعوجاج عصا ليست هى رفضها أو الجدال بشأنها وإنما وضع عصا مستقيمة بجانبها. وفى هذا الفصل سترى وجهاً آخر من أوجه المقياس الإلهى - عصاه المستقيمة التى تمثل محبة المسيح التى لا تزول وكل ما تشتمل عليه هذه المحبة الأبوية.

«توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله» (مت ٣: ٢) ترددت هذه الكلمات بقوة ووضوح كأنها تيار كهربائى قوى سرى فى الجموع التى أتت من كل صوب وجدب إلى البرية. لقد كانت هذه الشخصية الصارمة المتقشفة لرجل لم يكن يرتدى سوى مسوح من شعر الجمال كفيلة بهز كيان كل السامعين فهو لم يصطنع الكلام ولم يغلفه بطريقة جذابة بل واجه الجموع بالحقيقة العارية متحدياً الجميع أن يعودوا لمقياس الله المستقيم حتى تستقيم حياتهم. وقبل ذلك بمئات السنين تبنى نحميا مقياس الله ليواجه به الأخبار المؤلمة عن خراب أمته.

فبعد الصوم والصلاة، حصل نحميا على إعلان من الله وتاب قائلاً: «لتكن أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك الذى يصلى إليك الآن نهاراً وليلاً لأجل بنى إسرائيل عبيدك ويعترف بخطايا بنى إسرائيل التى أخطأنا بها إليك فأنا وبيت أبى قد أخطأنا» (نح ١: ٦).

لكي نبني سور الخلاص المشار إليه في إشعياء ٦٠ :١٨، رأينا أن هناك أعمدة من الصلب لتسليح هذا السور وهذه الأعمدة يجب أن توضع أولاً وتثبت على حجر الزاوية لتجعله سوراً قوياً وثابتاً متحدياً الزمن.

في الفصل السابق رأينا العامود الأول وهو الإعلان أما الآن فسندرس العامود الثاني وهو **التوبة**.

وفي عملية التوبة هذه، اعترف نحميا بخطايا أجداده الذين ذهبوا للسبي بسبب خطاياهم، وبالمثل، نحتاج نحن أيضاً أن نسأل من هم أجدادنا، وهذا لا يعني المعنى الحرفي فقط، فكل رموز السلطة التي تعرضنا لها في حياتنا، وأثرت فينا، تعدّ من هؤلاء الأجداد. وقد تتساءل، هل كانت هناك فائدة من توبة نحميا عن خطايا أسلافه بالإضافة إلى خطاياه، حيث أن معظم هؤلاء الجدود الأولين كانوا قد ماتوا منذ زمن والحقيقة هي أن نحميا عندما انتظر الرب لم يحصل فقط على إعلان عن الله الآب بل أيضاً على إعلان عن خطاياه وخطايا آبائه.

لم يجلس نحميا على كرسي القضاء ولم يمارس لعبة «إلقاء اللوم» ولكنه اعترف أن خطايا آبائه قد أثرت في الأبناء وأبناء الأبناء (عدد ١٤ :١٨). لقد رأى أن الآباء والأجداد أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست. فماذا عساه يفعل؟ لقد تحمل نحميا المسئولية، ليس فقط عن خطاياه بل عن خطايا كل الشعب الذي كان يتشفع عنه أمام الله. وفي عمله هذا، كان نحميا يمثل ما سوف يفعله المسيح على الصليب حاملاً خطايانا حتى يطلقنا أحراراً. وإذا اتبعنا نحن أيضاً هذه المبادئ الكتابية، فإننا نستطيع عندئذ أن نغير لا حياتنا فقط بل حياة الأجيال القادمة.

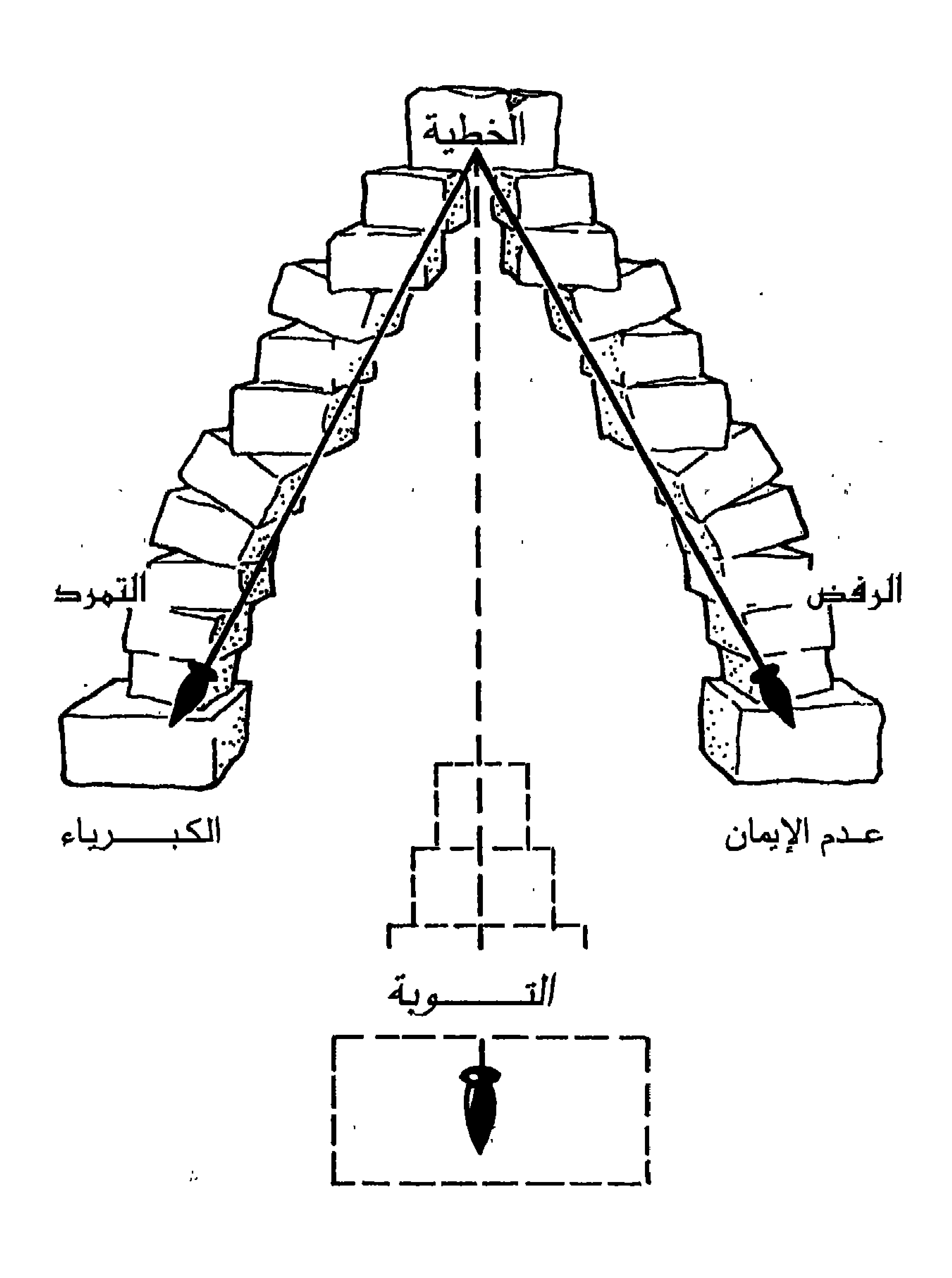
فلو كان أجداد نحميا قد تجاوبوا مع الله بالتوبة، لما كانوا قد سُبوا وما كانت الأجيال التالية قد ولدت فى السبى وعاشت سجينة لسنين طويلة. فبالتوبة فقط يمكن أن يحدث التغيير فى حياتنا والتوبة تعنى تغيير المسار كاملاً واستبدال أسلوب الحياة بأسلوب آخر جديد.

والتوبة الحقيقية تُعَرَّف بأنها قرار داخلى صارم أو تغيير شامل للذهن وفى العهد الجديد الكلمة اليونانية التى ترجمت «التوبة» تعنى حرفياً «تغيير الذهن والرأى»[×]. فالتوبة قرار وليس شعور أما فى العهد القديم فالكلمة العبرية التى تترجم عادة «توبة» تعنى حرفياً «تغيير الاتجاه» أو«العودة فى الطريق المخالف» وهكذا نرى أنه بينما يؤكد العهد الجديد على الطبيعة الداخلية (الفكرية) لقرار التوبة الحقيقية، يؤكد العهد القديم على المظهر الخارجى (السلوكى) الذى يعكس هذا التغيير الداخلى لذا فالتوبة، هى تغيير داخلى للذهن ينتج عنه تَحَوُّل خارجى للسير فى طريق مختلف تماماً.

والشكل ٢٦ يوضح علاقة التوبة بجدران الرفض والتمرد. فكما رأينا من قبل أننا نبنى هذه الجدران محاولين أن نحمى أنفسنا من الهجمات المختلفة على حياتنا. ولكن عندما نتوب عن الخطية، فإن الجدران تقع ونستطيع عندئذٍ أن نبنى أسوار الخلاص وفقاً للزيج الإلهى.

كيف يرتبط الرفض بالخطية فى حياتنا الماضية؟ إننا غير مسئولين عن رفض الآخرين لنا عندما كنّا أطفال ولكننا إذا قبلنا تلك «البرمجة» السلبية وأكملنا حياتنا فى نفس هذا الإطار فعندئذ نصبح

(×) W. E Vine, The Expanded Vines Expository Dictionary of New Testament Words (Minneapolis: Bethany House Publications, 1984). PP. 251-252.



(شكل ٢٦)

مسئولين وهكذا تصبح معركة الانتقال من عدم الإيمان إلى الإيمان معركة بين الحق الإلهى والفكرة السلبية التى قبلناها فى مراحل مبكرة من حياتنا.

تحديد القيمة

ولتوضيح هذه الفكرة، دعنا نسأل: ما هى قيمة ساعة يد مثلاً؟ إن قيمتها تقدّر بحسب الثمن الذى دفعناه فيها وهذا ما نفعله مع كل الأشياء. ولكن ماذا عن قيمة الحياة؟ وبالتحديد دعنى أسألك هذا السؤال: ما هى قيمة حياتك أنت؟

عندما سألت هذا السؤال فى حلقة درس طبية فى سويسرا أجاب أحد الأطباء قائلاً: «أنا أساوى ٢٠ فرنك سويسرى بالإضافة لقيمة حشو أسنانى الذهبى». ومضى يشرح أنه بحسب الأبحاث هذا هو كل ما يساويه جسم الإنسان! وضحكنا جميعاً. ثم قام طبيب آخر وقال «لا بل نحن نساوى ٢ مليون فرنك سويسرى لأننا نحن السويسريون نعمل كثيراً».

لقد حسب د. هارولد. ج. موروفيتز، وهو أستاذ فى الفيزياء الحيوية، متوسط قيمة جرام واحد من الإنسان ووجد أنه يساوى ستة ملايين دولار (٦٠٠٠٠١٥,٤٤) ليصبح رجلاً بستة ملايين دولار! وحتى بعد هذا البحث عن الإنسان عامة، اختتم د. موروفيتز قائلاً: «كيف إذن يمكننا أن نجمع الخلايا إلى أنسجة والأنسجة إلى أعضاء والأعضاء إلى أشخاص؟».

وهكذا اختفت لغة الأرقام والدولارات والسنتات! إن لغة الأرقام

تواجه بعنف الحقيقة. إن كل إنسان منّا هو أغلى من أى ثمن. وهكذا انتقلنا من هذه الحسبة الرخيصة للمواد إلى ذلك الاستنتاج الفلسفى الهائل – وهو أن كل إنسان له قيمة غير محدودة. لقد وصل كاتب المزامير لتلك الحقيقة عندما تأمل فى نفسه وقال «إنى قد امتزت عجباً» (مز ١٣٩ :١٤).

وعندما نتأمل بأمانة فى قيمة حياتنا، نحتاج لأن ننظر للثمن الذى دفع فينا ومن الذى دفعه. يقول الكتاب المقدس إننا لسنا لأنفسنا، بل قد اشترينا بثمن (١كو ٦ :١٩ ، ٢٠)! ولاتزال التقاويم المعلقة فى بيوتنا تقول إن المسيح مات منذ حوالى ألفى سنة، واضعاً حياته لكى يشترينا بدمه، منقذاً إيانا من الخطية والموت. ولا توجد عملة إنسانية يمكنها أن تُقَدِّر ما دفعه. فالكتاب يقول: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥ :١٣) وبالتالى، يجب على كل واحد منا أن يتمسك بهذه الحقيقة وهى:

أن قيمتنا لا تقدر بثمن

رؤية قيمتنا

«لا يقدر أحد أبداً أن يفتدى أخاه أو يقدم لله كفارة عنه. لأن فدية النفوس باهظة يتعذر دفعها مدى الحياة» (كتاب الحياة مز ٤٩ :٧، ٨).

إن الله يقول لنا بوضوح أن كل ثروة العالم لا يمكن أن تشترى إنساناً واحداً ولا يستطيع ذلك إلا دم يسوع المسيح وحده إن قيمتنا فى نظر الله هى أكبر من كل كنوز العالم. وعندما نقول إن لا قيمة لنا، أو أننا أدنياء بلا ثمن ولا تقدير فإننا لا نتكلم من وجهة نظر الله.

وعندما سألت بعض الطلبة إذا ما كانوا يشعرون بعدم القيمة، وجدت عند قليلين منهم اتجاهاً مشجعاً. وعندما سألتهم عما إذا كانوا قد فكروا فى نفوسهم فى يوم من الأيام أنهم بلا قيمة، أجابه قليلون جداً منهم بالنفى. ما الذى نستنتجه من ذلك؟ إن عدم الإيمان الساكن فى القلب يلغى نظرة الله الإيجابية لحقيقتنا وقيمتنا. إن عدم الإيمان أو الإيمان المغلوط هو أهم خطية فى إطار زيج الرفض.

ويجد الكثيرون منا أن الأسهل أن نتفق مع البرمجة التى يقوم بها الآباء والمجتمع والمشاعر المغروسة فيها والتى تقوى من هذه الأفكار عن أن نقبل حقيقة محبة الله لنا. وبتصديقنا لهذه الأكاذيب، نتورط فى خطية عدم الإيمان. حتى أن عدم الإيمان الخفى الذى يسكن قلوبنا ينفى داخلنا كل ما نسمعه من الله عن قيمتنا التى لا تقدر بمال ويجعل من محبته لنا مجرد نظرية بعيدة عن الواقع وعن قلوبنا. وبالانغماس فى عدم الإيمان ننحصر فى زيجنا البشرى القديم ونفشل فى قبول الزيج الإلهى.

إن النجاح أو الإنجاز لا يحدد أبداً قيمة الإنسان ولا مستوى الأداء ولا حتى عدد الأشخاص الذين يحبوننا ويحترموننا وإنما تكمن قيمتنا بالكامل فقط فى إعلان الله: «هكذا أحب الله العالم ...» (يو ٣:١٦) وهذه حقيقة لا تتغير.

خطية عدم الإيمان

لقد بدأ عدم الإيمان أولاً فى جنة عدن عندما وجد الشيطان طريقه لخداع حواء ودفعها للشك فى الله. ولايزال إبليس يمارس خداعه هذا

حتى اليوم ويظل عدم الإيمان هو الخطية الرئيسية أو حجر الزاوية الذى تبنى فوقه الحجارة التى تكوّن فى النهاية جدار الرفض وكلاً من شخصيتى «المسيحى المذْعِن» و«المسيحى السلبى» التى درسناها والتى لها أساس من عدم الإيمان.

وقد كانت خطية عدم الإيمان خطيرة فى نظر الله حتى أن جيلاً كاملاً من بنى إسرائيل قد رفض وحرم من دخول أرض الموعد ميراثهم وذلك بسبب عدم الإيمان (عب ٣:١٦-١٩) ولم يتجاسر سوى يشوع وكالب أن يؤمنا، بينما شك الآخرون فى قدرة الله وإحسانه فماتوا فى البرية.

واليوم، يفشل الكثيرون فى قبول ميراثهم الروحى لنفس السبب – عدم الإيمان فالحياة بالنسبة لهم هى تجوال بلا هدف فى برية الحياة يعذبهم الشك والإحباط ورفض النفس وحتى كراهيتها. وإذ يفشلون فى تحقيق أهدافهم وأحلام صباهم، ورغباتهم، يضلون الطريق فى برية الشك والأحزان.

خطية التمرد

عندما يصبح زيج التمرد هو النقطة المرجعية فى حياة الإنسان، فإنه عندئذ يبنى جدار التمرد حيث تكون الكبرياء هى حجر الزاوية والشخصية التنافسية والانتقادية تتمركز حول فكرة تعظم المعيشة التى تعرِّف بأنها عدم استعدادنا لأن نُعْرَف على حقيقتنا، ورغبتنا الدائمة فى أن نعطى للآخرين صورة غير حقيقية عنا. إن الله يقاوم الكبرياء (١بط ٥:٥) وهو فى النهاية سيضع حداً لها (إش ٢:١٢).

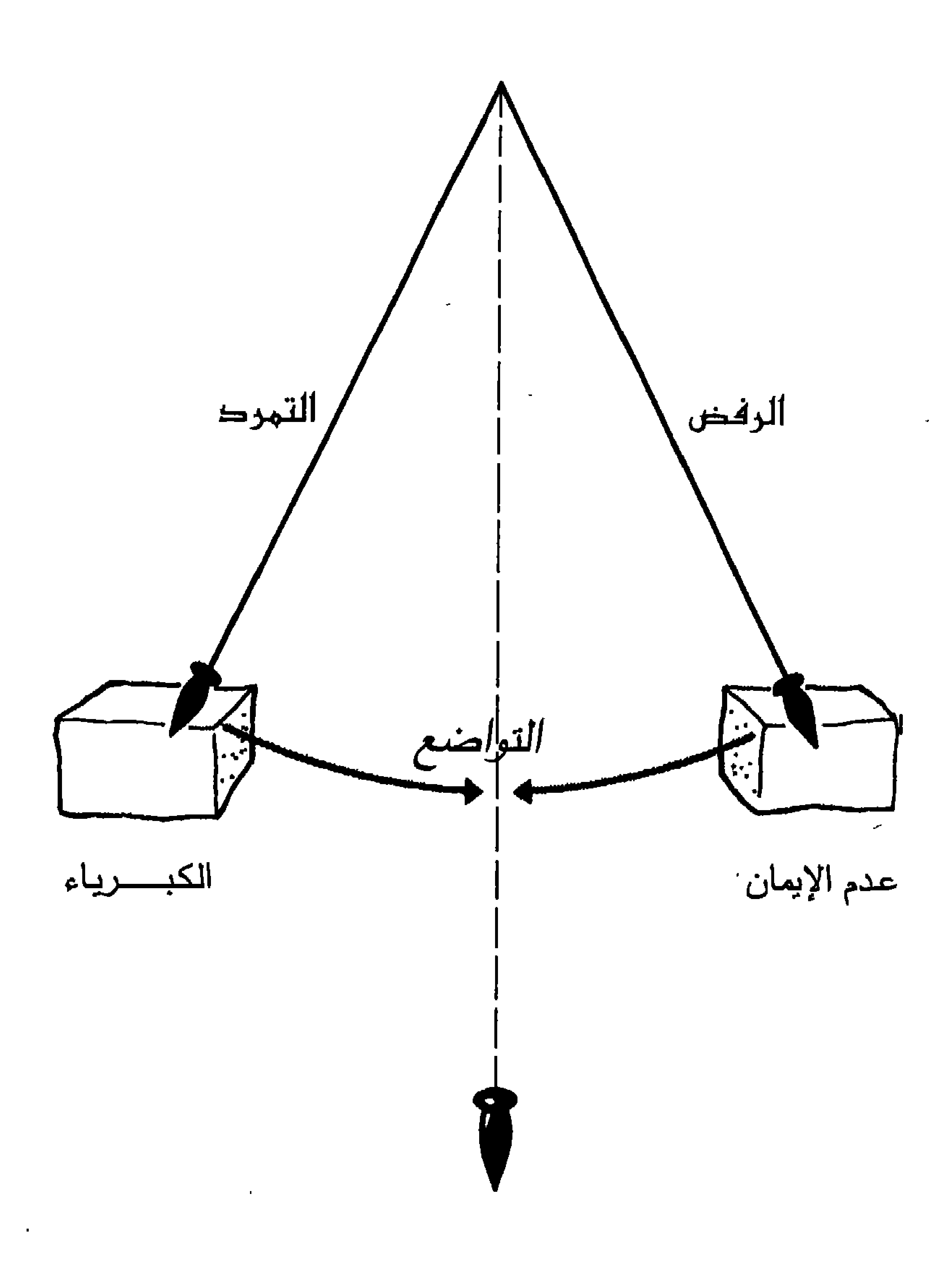
يشعر البعض أن الله ليس فقط ضدهم بل يقاومهم أيضاً بينما الحقيقة هى أن الله يقاوم الكبرياء التى لا يودون التخلى عنها.

ولنأخذ شخصية «چاك» مثالاً لذلك، فبعد أن صار مسيحياً مؤمنا وسلم عمله لله، اختبر «چاك» أزمة تلو الأخرى فتدهورت علاقاته الأسرية حيث نشأت تصدعات خطيرة فى علاقته بزوجته وفى النهاية صارت حياة «چاك» من سيء لأسوأ عندما أدت نكسة كبيرة إلى خسارته لعمله الخاص وأسرته معاً. وبدأ «چاك» يرى أن الله كان يتعامل مع الكبرياء الذى كان فى حياته على مستويات مختلفة. وعندما بدأ يتعاون مع الله ويتعامل مع كبريائه بدأت ظروف «چاك» تتغير للأفضل. فسرعان ما وجد منظوراً جديداً للحياة. إن الذى اكتشفه «چاك» هو أمر رئيسى فى مسيرنا مع الله. لقد أدار المفتاح الكفيل بأن يحرره من الزيج الإنسانى المزيف وذلك بأن بدأ فى أن يضع نفسه أمام الله. ولكى تميز ما إذا كانت الكبرياء تلوث حياتك أنت أيضاً اسأل نفسك الأسئلة التالية:

عندما يتولى شخص منصباً كنت تتمناه أو لو كانت مواهب شخص وإنجازاته تغطى على مواهبك وإنجازاتك – كيف يكون رد فعلك؟ هل تشعر بالغيرة؟ الغضب؟

فى لحظات فحص النفس الأمينة، نقول أشياء كثيرة عن أنفسنا. كيف يكون رد فعلك إذا قال لك شخص آخر هذه الأمور نفسها عنك؟

عندما ينقدك الآخرون، هل يثير هذا عنفك وسخطك؟ هل تبرر لنفسك أن تنتقد نفس الشخص الذى انتقدك؟



(شكل ٢٧)

إذا رأيت فى حياتك مناطق بنيتها على حجر الكبرياء فإنك – مثل «چاك» – تحتاج أن تدير مفتاح التواضع الذى يعرف بأنه الاستعداد لأن نُعْرَف كما نحن بالحقيقة بغض النظر عن النتائج. والتواضع هو المفتاح الذى يفتح الباب لنعمة الله أن تعمل بحرية فى حياتنا وبينما نحن نسير بشفافية نحو الحق والنور اللذين يحرراننا، فإننا نكتشف قيمة التواضع فى حياتنا.

فهم التواضع

إن التواضع هو أيضاً من صفات المحبة. فإذا قلنا إننا نحب الله ولا نحب أخونا أو أختنا فكيف إذن «تثبت محبة الله فينا» كما يقول الكتاب (١يو ٣:١٧) وكما أن محبتى لأخى ولأختى تثبت محبتى لله كذلك تواضعى أمام الله تثبت علاقاتى بالآخرين. وبدلاً من الانكماش والابتعاد عن التواضع نحتاج أن نكون مستعدين لأن نظهر أمام كل الناس على حقيقتنا.

وفى أحد الأيام سألت الله فى الصلاة، «لماذا يصعب علىّ أن أجعل الناس يعرفونى كما أنا، بينما من السهل علىّ أن أظهر كما أنا أمامك؟» فترددت هذه الكلمات بهدوء فى عقلى: «هذا لأنك تخاف الإنسان أكثر مما تخافنى». واندهشت إذ وجدت أن هذا صحيح. فخوفاً من الرفض والجرح، عادة ما كنت أصارع لكى لا أفصح عن حقيقتى خوفاً مما قد يظنه الآخرون أو يقولونه. ولأول مرة رأيت أن التوبة الحقيقية تتضمن تواضعى واستعدادى للظهور على حقيقتى أمام كل الناس.

إن الكلمة اليونانية للتواضع «TAPEINOS» تعنى «الروح

المتضعة»(×) وبالطبع لا يستمتع أحد بأن يكون فى حالة وضيعة متدنية ولكن إن سرنا بالتواضع فسنكون مستعدين لأن نضع أنفسنا «يارب: من ينزل فى مسكنك» (مز ١٥: ١) ويحيا فى محضرك؟ يقول مزمور ٥١: ١٧ إن الذى يحيا فى محضر الله هو صاحب «القلب المنكسر والمنسحق» إن هذا الشخص هو الذى يسكن مع الله فى المكان المقدس المرتفع فالاتضاع أمام الله هو سر ارتفاعنا ومجدنا. إن التوبة هى عملية مستمرة لا يجب أن تتوقف. يجب أن نختبر الانكسار بصفة مستمرة أمام الله. معترفين بخطايا قلوبنا. كيف نسير يومياً فى هذا الاختبار المتجدد. يقول يعقوب ٥: ١٦-١٧ هذه الكلمات:

«اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (الهنات، الخطوات الخطأ، التعديات، الخطايا) وصلوا (أيضاً) بعضكم لأجل بعض، لكى تشفوا (وتُستَرَدوا إلى حالة روحية سوية للعقل والقلب) طلبة البار (القلبية، الحارة، المستمرة) تقتدر كثيراً فى فعلها (فهى ذات طاقة فعّالة).

نحتاج لأن نأتى للرب تائبين عن عدم إيماننا وكبريائنا وكل نتائجهما وثمارهما مستعدين لأن ندرب قلوبنا على التواضع أمامه. ثم نبدأ فى فتح قلوبنا وحياتنا للمشاركة مع بعضنا البعض عندئذ يبدأ الله عملية الشفاء غير المسبوقة فى حياتنا ولكن أول خطوة هى الاستعداد للانفتاح بأمانة وشفافية والاعتراف بأخطائنا وتقصيراتنا أمام الله وأمام شخص نكون قد أقمنا معه علاقة تتسم بقدر من الثقة والأمان. أما بالنسبة للأمور العميقة والصعبة نحتاج لأن نتحدث إلى شخص نال

(×) Vine's Expository Dictionary, op. cit., pp 568-569

تدريباً على المشورة المسيحية ويؤمن بقوة الصلاة للشفاء. وكما رأينا، فإن التحدى الذى يضعه نحميا أمامنا هو أن نثبت هذا العامود المسلح من التوبة فى قلب حجر الأساس الذى هو الفداء ولتسهيل عملية الشفاء والتجديد المستمرة، من الضرورى أن نسير مع بعضنا البعض فى النور.

وبينما نحن نبنى سور الخلاص لاتزال هناك بعض الأعمدة المقوية الضرورية لتأسيس سور منيع يقف بصلابة أمام عواصف الحياة. وفى الفصل التالى سوف ندرس كيف أن التوبة هى عملية مستمرة كفيلة بأن تحوّل أسلوب حياتنا ومن خلال الإيمان تطلق كل إمكانيات الله فى حياتنا.

تعال جانباً

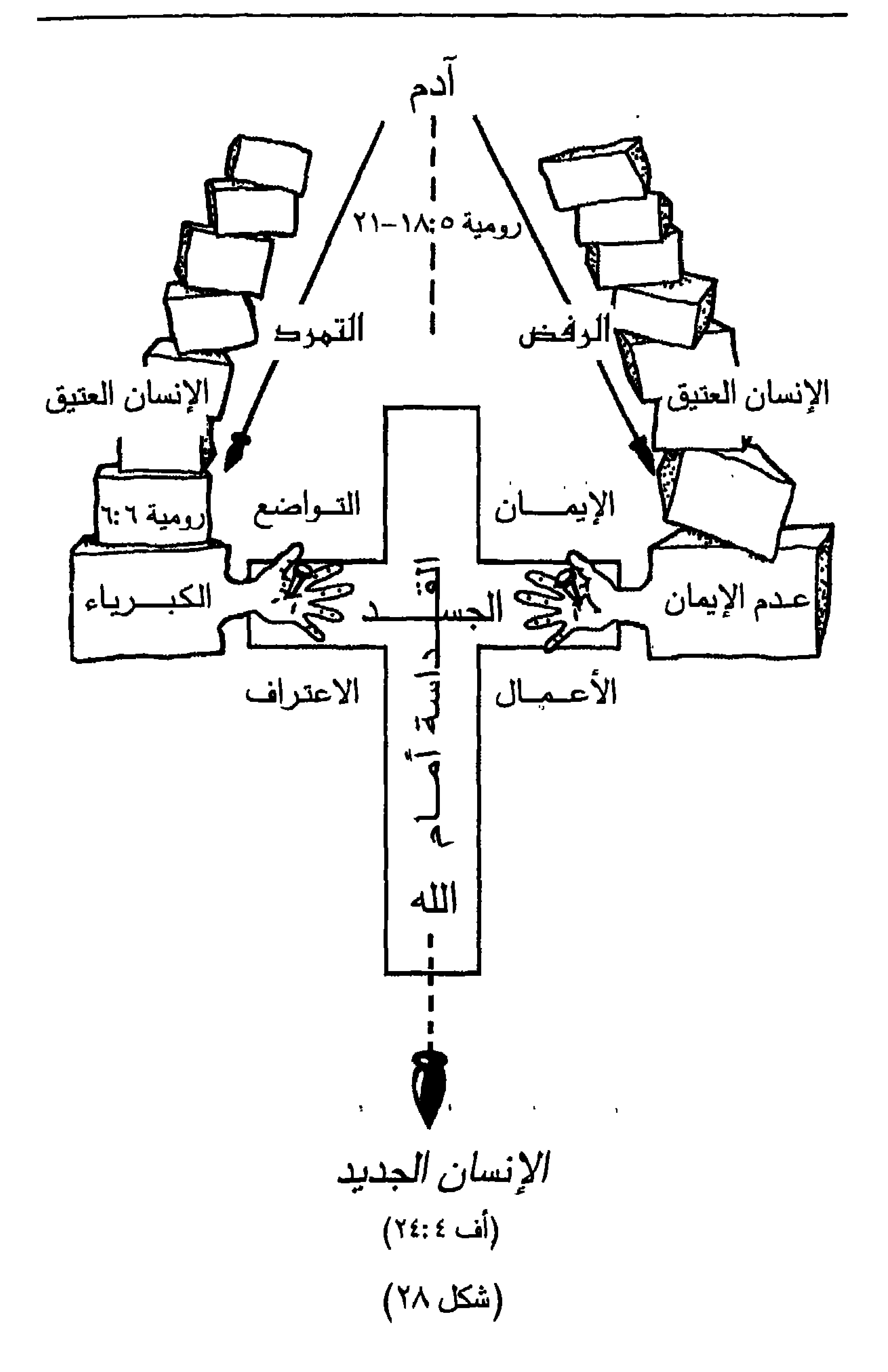
راجع مناطق الكبرياء وعدم الإيمان فى حياتك قم بتقييم فعالية توبتك فى كل منطقة من هذه المناطق.

الفصل الثانى عشر

القلب المعذب

الآن بعدما درسنا المدخل للتوبة، سوف نواصل شرح التوبة كعملية من شأنها أن تُغيِّر حياتنا. سوف نرى كيف أن التوبة الكتابية تتجاوز كل الطرق الأخرى للتغيير وكيف أننا عندما نستخدم مفتاح الإيمان فإنه يفتح الباب للحصول على كل الموارد الإلهية.

إن أول وأهم مكونات التوبة نجده عند الصليب. فقد قال يسوع: «إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى» (لو ٩:٢٣). يفشل الكثيرون منا فى التجاوب مع هذا التحدى الإلهى لتطبيق ذلك الحق ما الذى كان يعنيه يسوع بهذه العبارة؟ إن شكل ٢٨ يوضح لنا كيف يمكننا أن ننتقل من الإنسان العتيق إلى الإنسان الجديد، حيث يمثل آدم قمة التمرد وعدم الإيمان الذى نرثه ونكتسبه فى حياتنا والطريق الوحيد الفعال لكى نتخلى عن الكبرياء وعدم الإيمان هو أن نسمرهم على الصليب جنباً إلى جنب مع كل الخطايا التى حملها عنّا المسيح. ولكى نفعل هذا، نحتاج أولاً لأن نحسب أنفسنا أمواتاً بالفعل عن هذه المناطق فى حياتنا، ثانياً يجب أن نستبدل عدم الإيمان باستقبال إعلان الله لنا عن قيمتنا الحقيقية والتمسك بهذا الحق بالإيمان وأخيراً يجب أن نستمر فى أن نحيا ذلك عملياً.

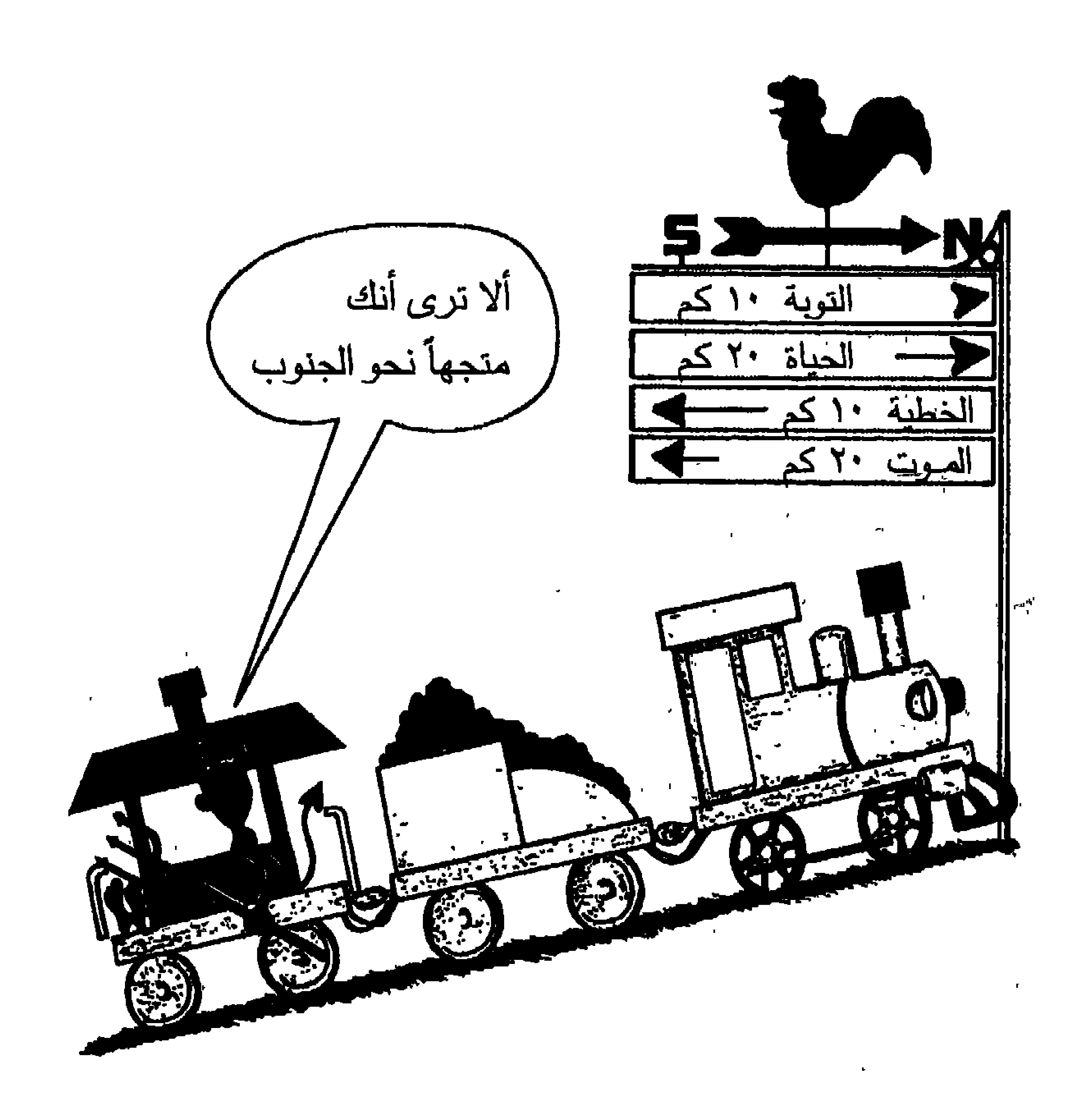

آدم
رومية ٥ :١٨-٢١
التمرد
الرفض
الإنسان العتيق
الإنسان العتيق
رومية ٦:٦
التواضع
الإيمان
الكبرياء
الجسد
عدم الإيمان
الاعتراف
الأعمال
القداسة أمام
الله
الإنسان الجديد

(أف ٤ :٢٤)

(شكل ٢٨)

يقول الرسول يعقوب «الإيمان بدون أعمال ميت» (يع ٢:٢٠) فالمعرفة العقلية البحتة للحقيقة ليست لها سوى قيمة ضئيلة جداً إذا لم تقترن بتطبيق عملي يومي. إن عمل الإيمان في الحياة هو الأهم فهو الذى ينقلنا من زيج الرفض إلى قبول النفس والاقتناع بقيمة نفوسنا وهو الذى يتفق مع الزيج الإلهى. وإذا كنا نحتاج أن ننتقل من موقف الكبرياء فإن المفاتيح للتغيير هى التواضع والاعتراف. إن اعترافنا بخطايانا يفتح قلوبنا ليستخرج كل الأمور العميقة المدفونة والتواضع يجعل الباب يظل مفتوحاً حتى يحدث التغيير فى القلب. إننا من خلال الشفافية نتعامل بالموت مع جذور الكبرياء فعندما نستخدم تواضع الاعتراف بالخطأ، يتم تجريد الكبرياء من قوتها فلا تصبح قادرة على التحكم فى حياتنا. إن التحدى الموضوع أمامنا هو أن نخلع العتيق ونلبس الجديد (كولوسى ٣:٨-١٠). نحن لا نتكلم عن عملية ميكانيكية وإنما عن إطلاق للقوة المغيِّرة من خلال الانتصار الذى حققه المسيح على الصليب. إن الإيمان بعمل المسيح الكامل يطلق نصرة للفرد الذى يمارس هذا الإيمان بشكل حقيقى.

إننا ونحن نجرى هذه التغييرات، سوف نقابل مقاومة داخلية كما هو موضح فى شكل ٢٩. وفى هذا الرسم الإيضاحى نجد أن المحرك يمثل **الروح** وعربة الفحم (توليد القوى) تمثل **الذهن** والعربة الأخيرة (عربة العمال) تمثل **المشاعر** والشيطان يجلس فى عربة المشاعر يحاول أن يستخدم طريقة حياتنا فى هذا العالم الوجودى المعاصر فبدلاً من أن يسمح لنا بالتحرك تحت قيادة الحق والمبادئ يحاول أن يؤثر علينا لنتحرك وفق مشاعرنا وتحت قيادة وحى اللحظة والنزوات العابرة. إن المشاعر مهمة جداً ومفيدة للتواصل والتعبير ولكن إذا احتلت


ألا ترى أنك
متجهاً نحو الجنوب
S
N
التوبة ١٠ كم
الحياة ٢٠ كم
الخطية ١٠ كم
الموت ٢٠ كم

(شكل ٢٩)

مقعد القيادة تصبح فى غاية الخطورة. إن المشاعر قد أعطيت لتكون تحت سيطرتنا لا لتكون سيداً يسخرنا لخدمته!

مشاعر خرجت عن عقالها

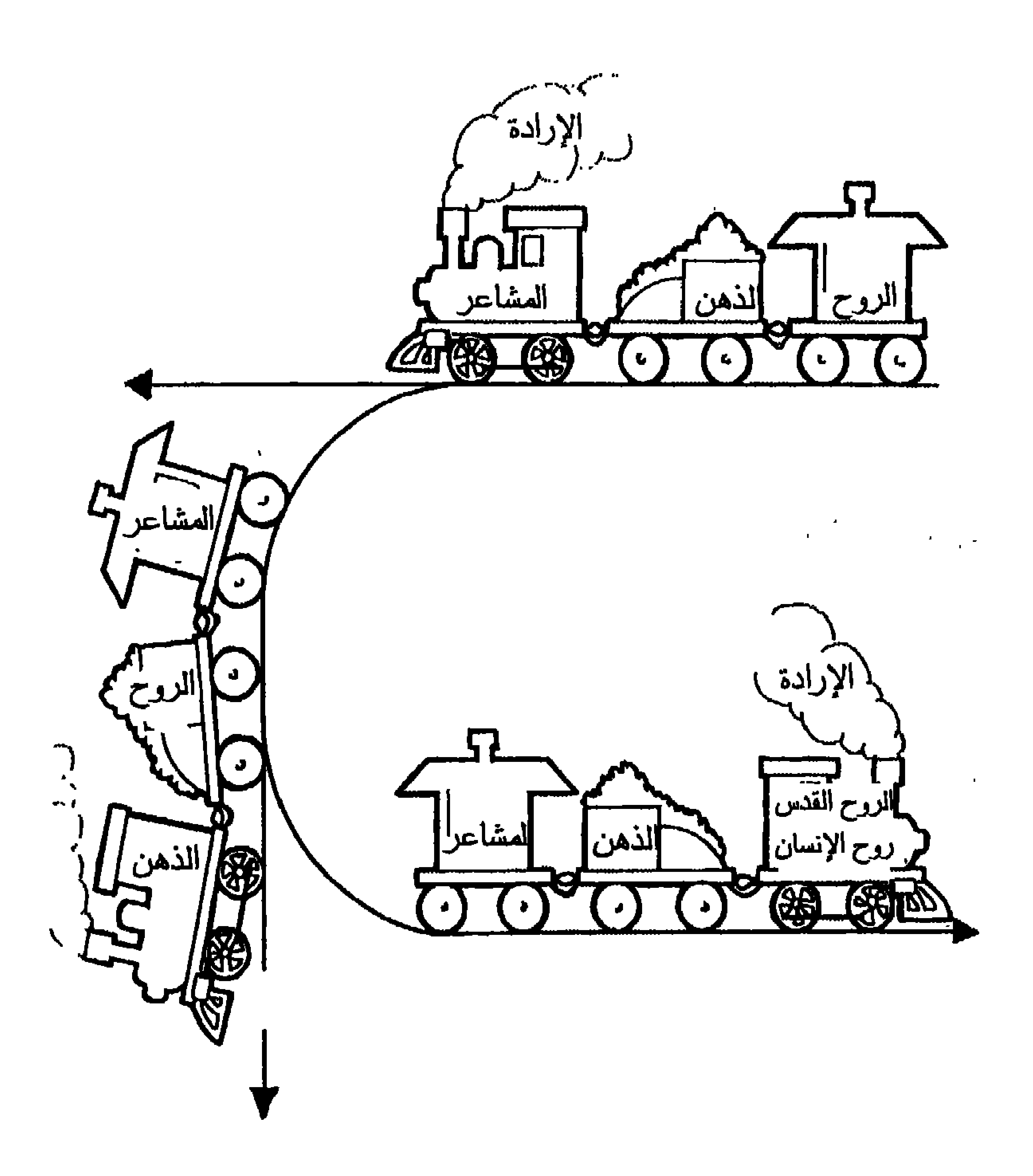
ربما رأينا شخصاً مثل هذا الشاب الذى فى نوبة غيظ وثورة ركب دراجته البخارية وانطلق مزمجراً بسرعة رهيبة وأكملت جرائد الصباح القصة تحت عنوان «مصرع أربعة أشخاص فى حادث تصادم بسبب السرعة الجنونية».

إننا عندما نسمح لمشاعرنا أن تسيطر علينا فإننا عندئذ نتوجه نحو المصائب بسرعة جنونية! فنحن نرى فى العالم كله الآثار المأساوية للمشاعر التى خرجت من عقالها ولم تعد تحت السيطرة فالكثير من البلدان تضع الانتحار كالسبب الأول فى وفيات الشباب والاكتئاب وصل لدرجات وبائية مما يظهر كيف أن المشاعر يمكن أن تسيطر على المجتمع بأسره إذا أعطيت الحرية الكاملة!

الشكل التالى (شكل ٣٠) يساعدنا على فهم مدى قوة المقاومة التى نواجهها عندما نحاول التوبة وتغيير الاتجاه. فالقطار الموضح فى قمة الشكل يمثل «القطار الإنسانى» الذى يشير لحالتنا عندما نتبع قيادة المشاعر والقطار الذى تحته يمثل موقف التوازن الذى ننشده عندما تنقاد روحنا الإنسانية بروح الله القدوس وتتبع المشاعر قيادة الروح. ولكن ماذا يحدث عندما يتم تغيير الترتيب؟

كما هو موضح، يحاول القطار جاهداً أن يغير اتجاهه راجعاً عندئذ سنجد المشاعر تتشبث وتخرج مخالبها كقطة محاصرة فى ركن تموء

قطارات الحياة

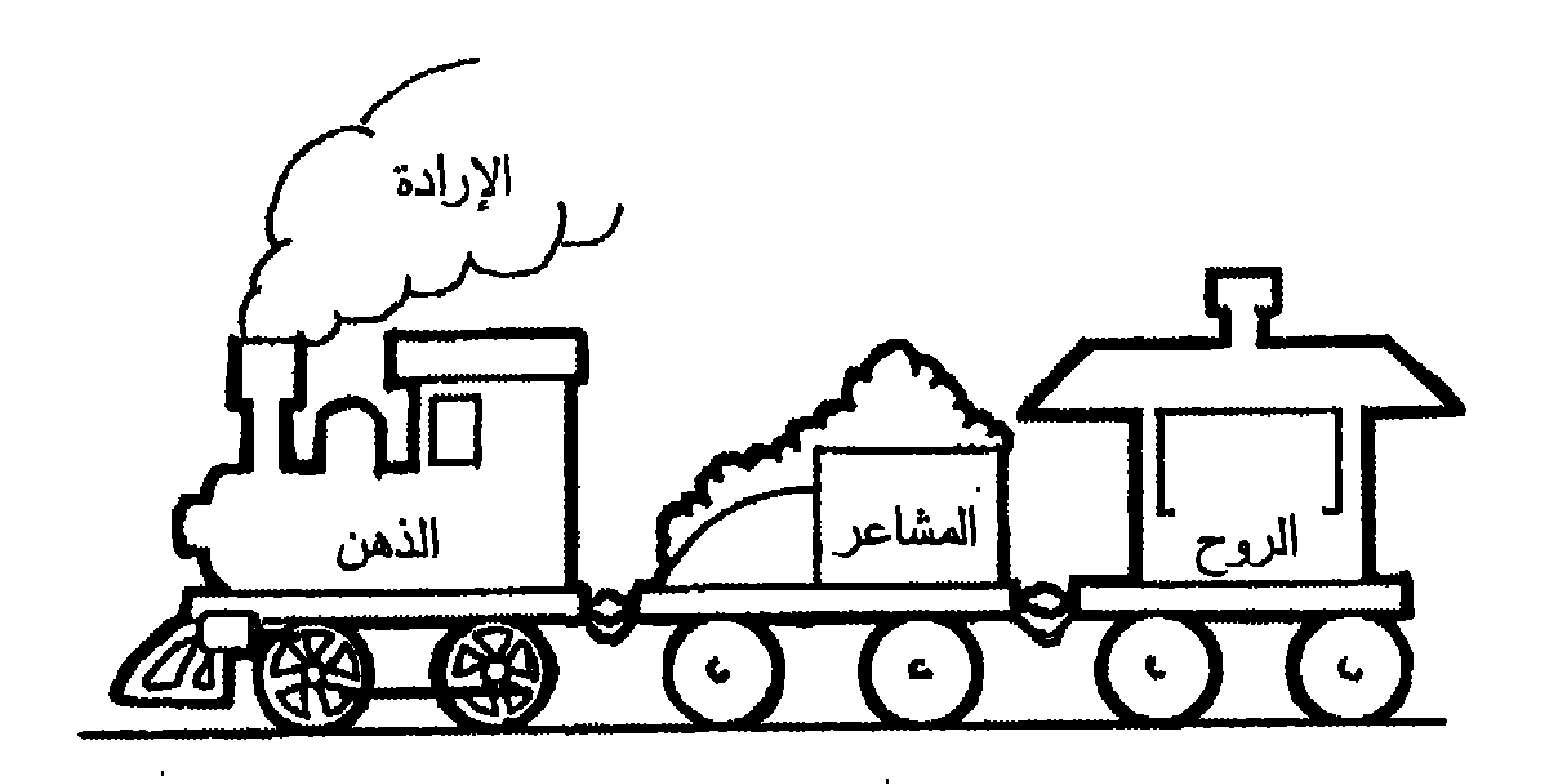


(شكل ٣٠)

وتزمجر مدافعة بشراسة عن موقعها القيادى مهددة إنه إذا لم تتوقف عملية التغيير هذه فإنها سوف تجعلنا نختبر انهياراً عصبياً.

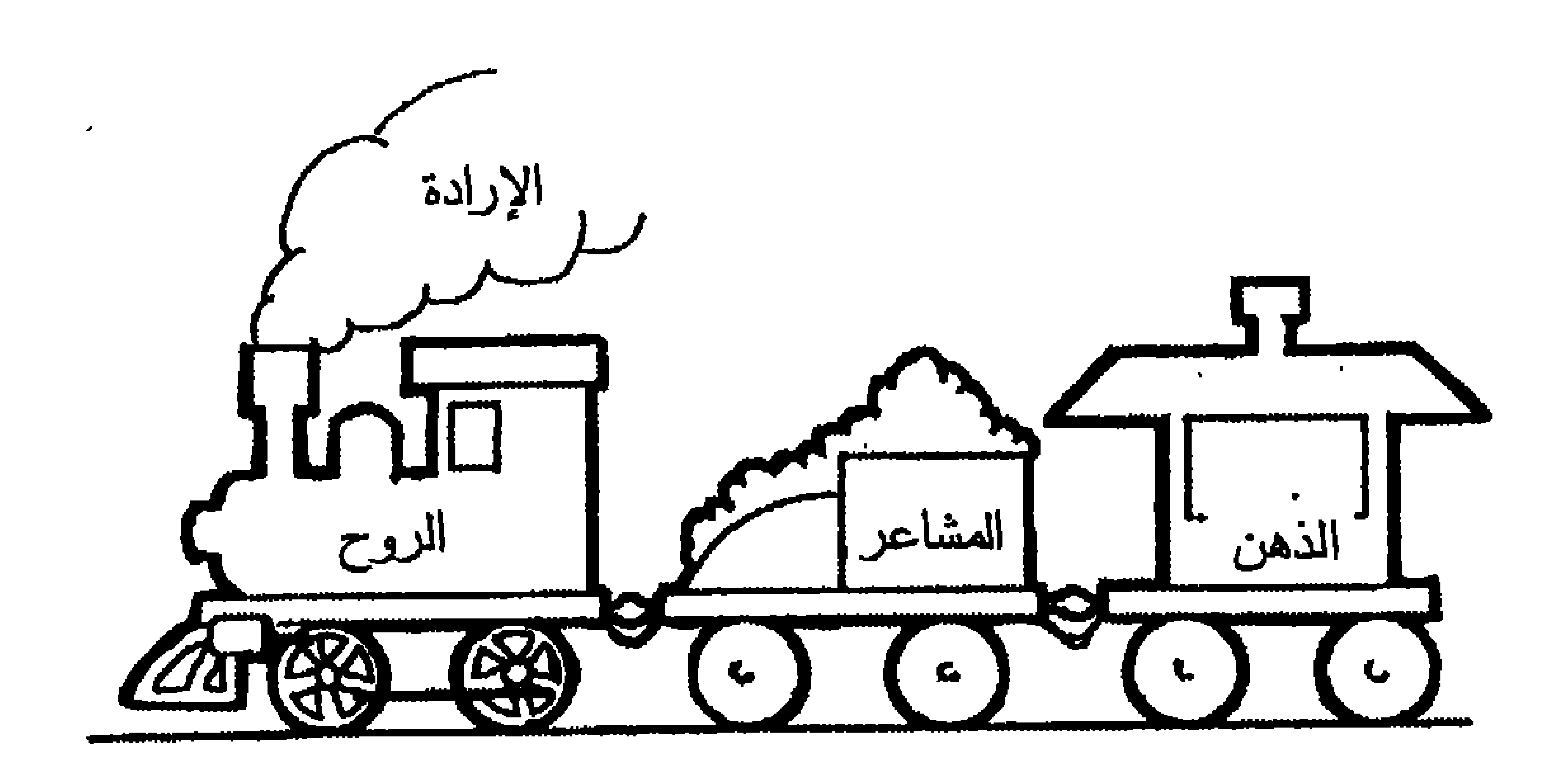
عندما نلقى نظرة على الكلمات العبرية المترجمة (التوبة) فإننا نفهم لماذا يحدث هذا فالكلمة حرفياً تعنى «التنهد والأنين والارتجاف» وكل هذه الكلمات تعكس ثوران وجيشان عاطفى عميق. وهذا ما يحدث لمشاعرنا عندما نقرر التوبة. ولكن عندما نغير اتجاهنا أخيراً (إذا استطعنا) فإن مشاعرنا فى النهاية تختبر السعادة عندما تنقاد بروح الله.

وبنفس الطريقة، فإن «القطار المنطقى» المقود بواسطة الذهن يمثل حالة مشابهة فعندما نحاول التوبة فإن المعركة التى ندخلها هى مع المقاومة «المنطقية» فقد يكون الخوف من الظهور بمظهر البلهاء، الطفوليين أو غير المنطقيين هو العدو القوى الذى يقف أمام التغيير.



«القطار المنطقى»

أما الاختيار غير المتوازن الثالث الذى يمكن أن نواجهه هو أن تكون الروح الإنسانية هى التى تقود فى المقدمة، ولكنها لا تزال تحت تأثير آخر غير تأثير الروح القدس وهذا القطار يمكن أن نسميه «القطار الروحانى» أو «قطار الشعوذة». لذلك فعند التوبة يجب على هذا الشخص أن يصلى للتحرر من الأرواح الشريرة وقد تصل المقاومة التى قد يلقاها هذا الشخص من الأرواح الشريرة إلى حد درامى فظيع.



«القطار الروحانى»

وبالرغم من أننا قد فصلنا بين هذه الأوجه المختلفة التى تمثلها قطارات المشاعر والذهن والروح إلا أن هذه الأمثلة قد تفصح عن نفسها بطرق مختلفة وكما حذر يوحنا المعمدان أننا يجب أن نتوب لأن ملكوت السموات قد اقترب (مت ٣:٢) فإننا يجب أن نتوب لكى نختبر التغيير الحقيقى للقلب والحياة وكلما بنينا حياتنا على الزيج الإلهى، اختبرنا حياة أكثر غنى وبركة.

الإطـلاق

ولكى نختبر التغيير سنلقى نظرة على وجه آخر من أوجه التوبة وهو وجه مهم جداً إذ بدونه، تصبح التوبة جوفاء وبلا قيمة.

وفى الأصحاح الأول من سفر نحميا، نجد سجلاً لتلك العلاقة الفريدة بين عبد وملك. بين شخص يهودى وسيد أممى بين شخص واقع تحت ضيق وشخص يسبب له هذا الضيق.

عندما سمع نحميا بأخبار أورشليم، انعكس حزنه عليه عندما ظهر أمام الملك لقد كان دور نحميا كساقٍ للملك هو أن يقدمَ للملك خمراً جيداً مع بهجة نفس ولكن عندما سمح نحميا لحزنه أن يظهر فى محضر الملك كان يعنى هذا أنه يضع نفسه فى خطر الموت ولكن اهتمام نحميا وحزنه على شعبه فاق اهتمامه بنفسه وعندما لاحظ الملك ارتحشستا مظهر نحميا المكتئب طلب منه أن يفسر له سبب حزنه.

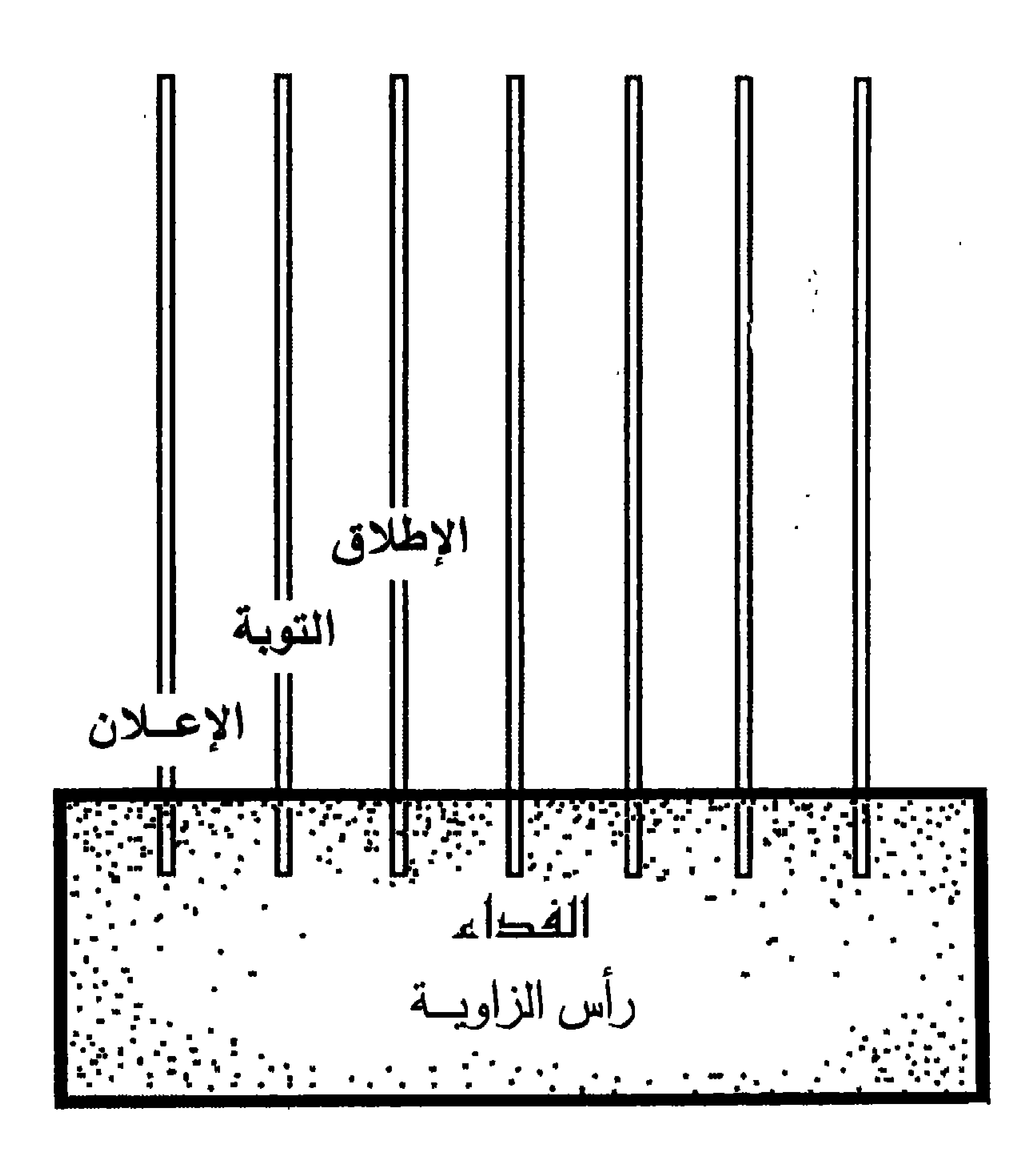
وما تلا ذلك من حديث عكس بصورة واضحة مدى حب الملك لساقيه نحميا فعندما سمع الملك عن حالة أورشليم لم يطلق نحميا فقط، ويعفيه من التزاماته تجاه القصر، ولكنه أيضاً أعطاه إذناً وحمّله بالعطايا لكى يعيد بناء المدينة المقدسة! وهذا لا يوضح فقط يد الله التى تدخلت لمعونة نحميا بل يظهر أيضاً أعماق قلب نحميا. من الواضح أن نحميا وصل للمرحلة التى استطاع فيها أن يغفر لأعدائه بل وكان يخدم الملك بأمانة وولاء. لقد **أطلق** مضايقوه من خطاياهم تجاه شعبه، ولم يحتفظ فى قلبه بكراهية أو مرارة وهذه هى الدعامة الثانية التى يجب أن تنغرس فى حجر الفداء ... **الإطلاق**.

إن غفراننا لمن أساءوا إلينا **يطلق** هذا الشخص من الاحتياج أن

سور الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٣١)

يرد لنا أو يعوضنا أو حتى يعتذر لنا. عندما نصل إلى موقف الغفران من القلب، يحدث نوع آخر من الإطلاق فى قلوبنا نحن وأريد أن أوضح ذلك بالقصة التالية.

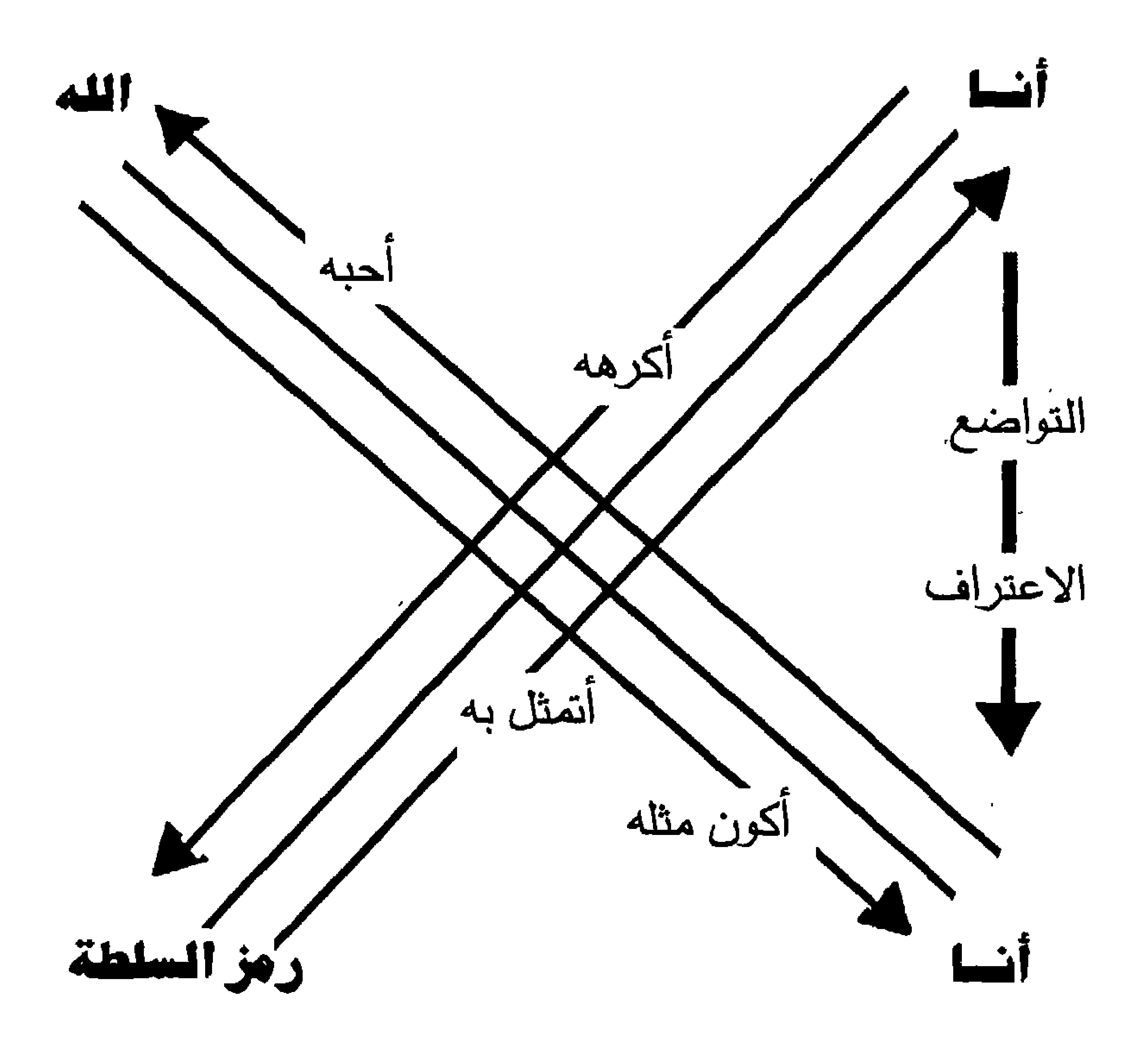
فى مدارس المشورة التى ننظمها فى هيئة شباب له رسالة (YWAM) نعطى وقتاً للدارسين لكى يشاركوا من حياتهم الشخصية. وأذكر أن إحدى الدراسات وتدعى «كاى»، وهى سيدة فى أواخر الأربعينات من عمرها، بدأت تحكى عن نفسها، ولكن بعد بضعة دقائق صمتت تماماً، وعندما ذهب اثنان منا ليصلوا معها بهدوء، بدأت «كاى» فجأة ترتجف وتهاجمنا بالإهانة اللفظية وحتى العنف الجسدى. عندئذ عرفنا أننا لسنا أمام مجرد إطلاق عادى للمشاعر ولكننا كنا نواجه تأثيرات شيطانية واضحة. وعندما كثّفنا من صلواتنا ازدادت ردود أفعالها العنيفة وبعد مرور بعض الوقت دون تغيير قررنا أن نجلس مع كاى بمفردها بعد انتهاء وقت الدرس.

وبعد ذلك، وبينما كنا ننتظر الله فى الصلاة، حصل أحدنا على كلمة علم من الله أن «كاى» لم تكن مستعدة لأن تغفر لوالدتها وعندما واجهناها بذلك اعترفت بوجود أصل مرارة دفين فى قلبها وبدأت تصيح «إننى أكرهك! إننى أكرهك! إننى أكرهك!» كما لو كانت والدتها معنا فى الغرفة.

إطلاق الغفران

وبعد أن تحدثنا معاً، فى النهاية وصلت «كاى» لأن أصبحت قادرة أن تطلق غفران لوالدتها وعندما صلينا من أجلها مرة أخرى،

الإطلاق من خلال المغفرة



(شكل ٣٢)

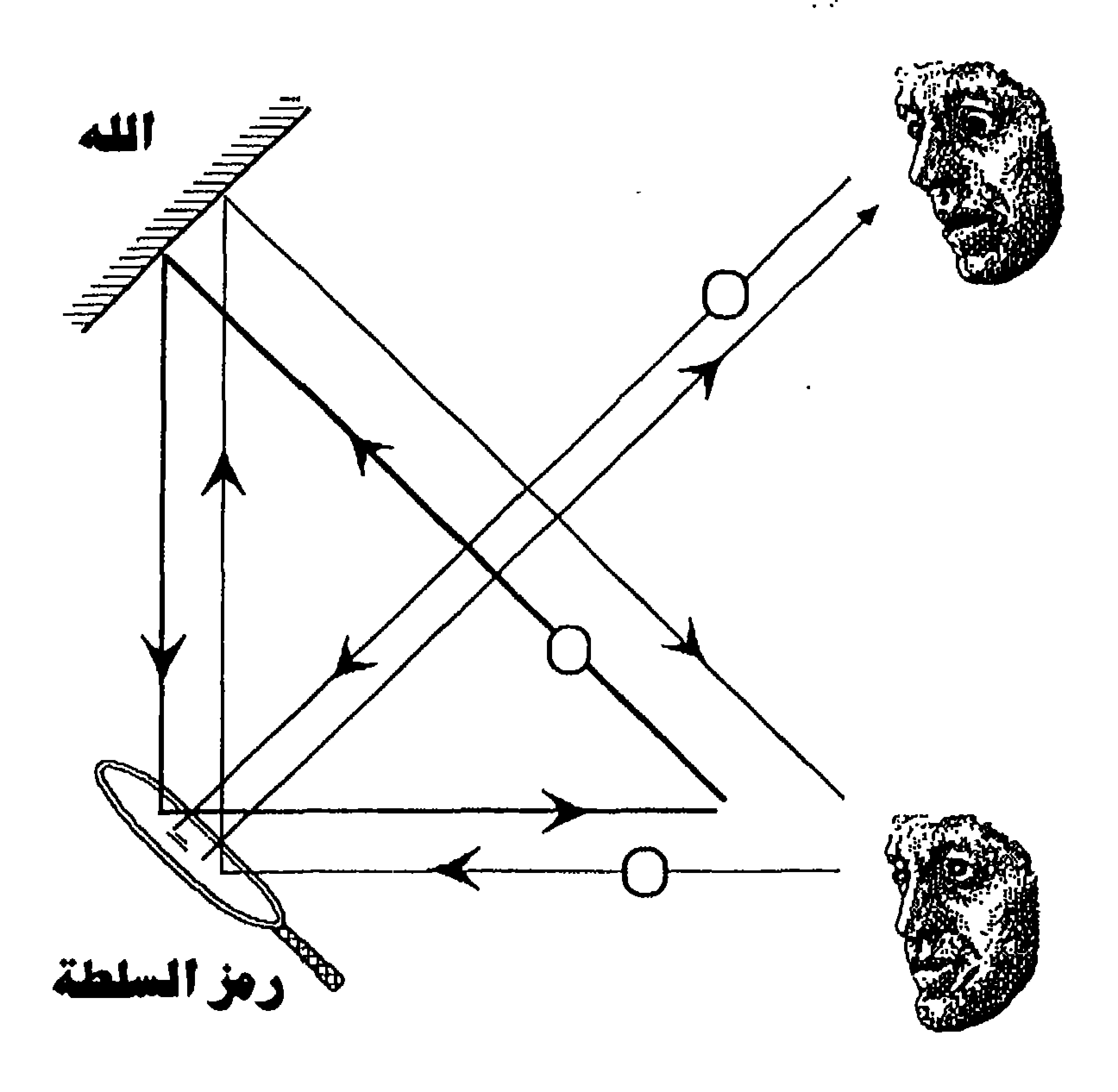
تحررت «كاى» فوراً من العذابات الشديدة التى كانت تعمل فى الخفاء وراء ستار عدم غفرانها.

فى إنجيل متى (مت ١٨ :٢١-٣٥) نجد قصة رجل قد سامح دائنه فى دين قدره ما يوازى «١٠ ملايين دولار» بمقياس ذلك العصر ولكنه لم يقم هو بالغفران كما غفر له وبينما هو عائد لبيته، قابله أحد زملائه وكان مديوناً له بنحو عشرين دولاراً فبدلاً من أن يظهر رحمة كما حصل هو على رحمة أرسل زميله هذا للسجن. وعندما سمع الدائن الأول بالقصة، غضب غضباً شديداً وتراجع عن سماحه الأول وسلمه للمعذبين حتى يفى بالملايين العشرة! والآن أصبح هذا الرجل سجيناً، لا بسبب دينه الأصلى، بل بسبب روح عدم المغفرة. واختتم يسوع المثل بقوله إن الله يفعل بنا نفس الشيء إذا لم نغفر كل واحد منا للآخر من القلب ونستخلص من هذه القصة أن عدم الغفران يؤدى للعذاب والمرارة والكراهية والاستمرار فى ذلك يؤدى بدوره للأمراض الروحية وكذا الجسدية لكى تنمو فى الداخل ولتوضيح ذلك أكثر لننظر لشكل ٣٢.

نرى فى هذا التوضيح، أن الاتجاه لعدم المغفرة عادة ما يحدث بسبب وقوع ظلم فى الطفولة سواء كان حقيقياً أم متخيلاً وخلال سنين عمرنا قد تتكون لدينا نظرة سلبية عن رمز السلطة والتى تنعكس علينا فى فترة المراهقة أيضاً. والتحول من النظرة السلبية لرمز السلطة الأرضى إلى التماس الشفاء من الله يحدث فقط من خلال التواضع والاعتراف.

إننا نحتاج لأن نعترف بالكراهية والاستياء ونغفر للشخص الذى قد أساء إلينا وهذه هى بداية الإطلاق والرؤية الجديدة.

رؤية الله بوضوح



١- رؤية رمزالسلطة.
٢- رؤية الله من خلال رمز السلطة.
٣- رؤية الله.

(شكل ٣٢)

في يوم من الأيام كنت أعمل صباحاً في عيادة المشورة الخاصة بنا في هاواي، زارني شاب يدعى «نيفيلي» وكان قد تزوج حديثاً وأفضى لي بأنه يعاني من مشاكل زواجية. وكان يبكي وهو يعترف بأنه يكره أباه ويحتقره لتدميره للأسرة بسبب إدمان الكحوليات. ولكن للأسف وجد «نيفيلي» نفسه يواجه نفس الصراع الذي واجهه أبوه مع الخمور.

إننا عندما ندين بعضنا البعض، ونحتفظ بالإدانة في قلوبنا يحدث أمراً غاية في الخطورة إذ نجد أنفسنا في نفس الخطية التي ندينها.

فعلى سبيل المثال، حكمت «كارين»، التي كانت قد وقعت ضحية لعلاقة مع أحد أقاربها، على كل الرجال بأنهم سواء فيما يتعلق بالجنس، وأن المرأة في نظر كل الرجال هي شيء للاستخدام وربما لسوء الاستخدام إذا لزم الأمر لإشباع رغباتهم. وسرعان ما تحولت «كارين» نفسها لتصبح هكذا فأصبحت تستخدم الرجال وتسيء استخدامهم عن طريق الدعارة. لقد أصبحت دينونتها وكراهيتها كالطبق الطائر الذي يقذف به بعيداً فيعود راجعاً للشخص الذي قذفه فلأنها اعتقدت أن كل الرجال سواء وحكمت على نفسها بأنها لن تجد حبًّا حقيقياً كان كل الحب الذي حصلت عليه هو الشهوة.

الحل الوحيد

كما رأينا فإن الطريق الوحيد للخروج من هذا الحلزون النازل المدمر هو من خلال **التواضع والاعتراف**. أولاً، يجب أن نكون أمناء ومنفتحين على مشاعرنا السلبية ومعترفين بالكراهية والمرارة التي في

قلوبنا ثم نقوم بالغفران دون شروط أو مواصفات. إن إطلاق الغفران شفهياً، هو خطوة فى غاية الصعوبة ولكنها يمكن أن تكون البداية للغفران من القلب وعادة ما تكون المهمة الأصعب هى أن نغفر لأنفسنا ولكن من خلال هذا الغفران يمكن لجراح القلب أن تشفى ولدموع المرارة أن تمسح. يجب أن نعرف أيضاً أن الندبات التى تخلفها الجروح لا تمحى تماماً وكذا البقع التى تتركها الدموع المرة فى النفس وفى نسيج المشاعر الرقيق ولكن هؤلاء الذين يعاندون فلا يغفرون فهم دون أن يدروا قد اختاروا طريق العذاب.

وحتى بعد اختيار خطوة الغفران، قد نظل نصارع حتى نتحرر من الميل لإسقاط مخاوفنا وعدم ثقتنا على الله (كما نرى فى شكل ٣٣). إننا عادة ما نميل لأن نرى الله من خلال صورة مشوهة نستمدها من رموز السلطة الذين قابلناهم فى حياتنا (طريق ٢) وبدلاً من أن ننظر من خلال مرآة «رموز السلطة» هذه نحتاج لأن ننظر مباشرة إلى الله لنحصل على الفهم والحكمة (طريق ٣) ومن خلال الله نستطيع أن نرى صورتنا الحقيقية.

وكلما رأت عيوننا الله كما هو بالحقيقة، أحبته قلوبنا وبدأنا فى التغيير لنصير أكثر شبهاً به (شكل ٣٢).

إن هذا الإطلاق يحدث لنا من خلال الغفران عندما نقدمه دون شرط أو قيد أو كما قال يسوع لسبعين مرة سبع مرات!

وكما رأينا فإن المعذبين يجدون الفرصة لكى يؤلموننا بل وحتى يدمروننا إذا استطاعوا وكل ذلك من خلال عدم الغفران.

فى الفصل التالى، سوف نواجه هؤلاء المعَذِبين وهم يحاربون

النــبى نحـمـيـا الذى جـردهم بمهـارتـه وحكـمـتـه من أسلحــتـهم مـرة ومرات.

تعال جانباً

راجع القطارات وحدد ما هو نوع القطار الذى كنت تستقله فى حياتك.

اعترف ببعض من خبراتك تائباً.

صف أى (عذاب) اختبرته من خلال عدم الغفران، ما هى الخطوات التى أخرجتك منه؟

الفصل الثالث عشر

النصرة الكاملة على العدو

إن العدو الأكبر الذى يقف أمام إعادة بناء أسوار الخلاص فى حياتنا هو إبليس نفسه. يعتقد البعض أن إبليس ليس سوى شخص من صنع الخيال، بينما يراه البعض الآخر سيداً لهذا العالم، وأنه فى يوم من الأيام سيسود العالم ويعبده الناس، ومهما كانت الطريقة التى يراه بها الناس سوف يظل إبليس عدواً شريراً، له سجل طويل من الشر والجرائم!

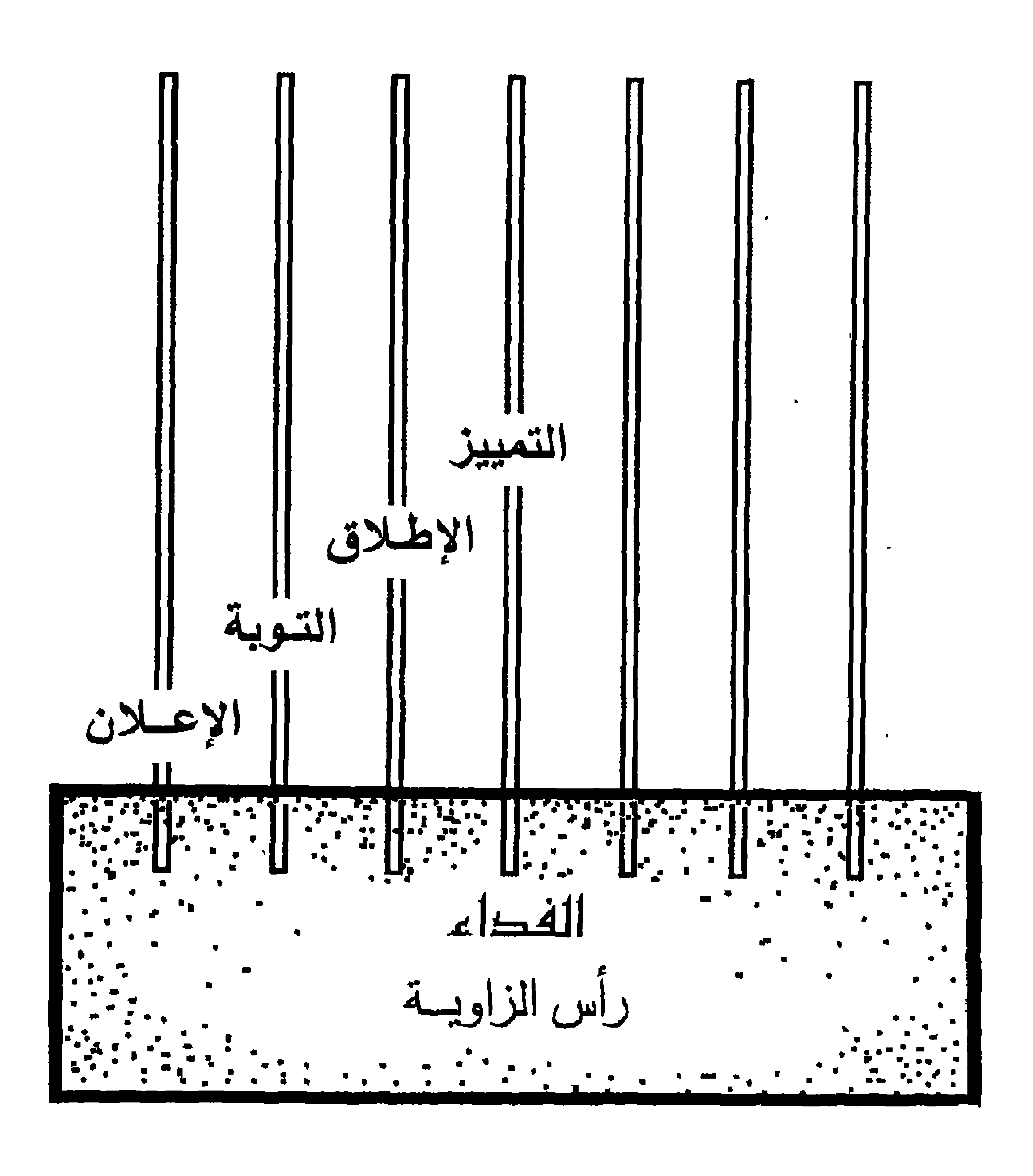
ويقرر الكتاب المقدس بوضوح أن الشيطان شخص يعيش فى الواقع، ويتحرك فى العالم، وله العديد من الأتباع الواقعين فى قبضته الذين مع اقتراب نهاية العالم سوف يعطونه المزيد من الولاء والسلطان فى حياتهم وهو الوقت الذى سوف تبرد فيه محبة الكثير من المؤمنين بالمسيح (مت ٢٤:١١-١٣).

وقد واجه نحميا هذا العدو عندما أطاع دعوة الله لكى يعيد بناء أسوار أورشليم. وبالنظر لصراعات نحميا، سوف نرى بعضاً من أساليب إبليس لكى يهزم ويفشل خطط نحميا التى أعطاها له الله. سوف نرى الدعامة التالية التى يجب أن نغرسها فى حجر الأساس هى التمييز فعندما نتعامل مع الشيطان، يجب علينا وقبل كل شيء أن نميز أساليبه حتى يمكننا أن نفسد خططه وعملياته.

سور الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٣٤)

الغضب والخوف

فى نحميا ٤ :١-٧ نقرأ أن أكبر عملاء إبليس كان سنبلط وجشم وطوبيا الذين غضبوا جداً عندما سمعوا بخطط نحميا لإعادة بناء أسوار أورشليم. وعندما قابلوه فى الطريق للمدينة انهالوا عليه بالاتهامات والتهديدات وبالرغم من أن الكثيرين ممن سبقوا نحميا وخلفوه قد استسلموا للخوف إلا أن نحميا رفض أن يتراجع.

«خشية الإنسان تضع شَرَكاً والمتكل على الرب يُرفع». لم يؤمن نحميا فقط بهذا الكلام بل عاش حقيقة هذا الكلام (أم ٢٩ :٢٥) ووثق بالله. وكما وجد نحميا، فإن الشيطان دائماً ما يصب غضبه علينا من خلال من نحبهم ومن خلال الفشل وتعطل المعدات وأيضاً من خلال المرض وغيرها من الطرق ولكن يوسف وأيوب وبالأخص يسوع كانوا أمثلة رائعة توضح كيف أن الله يحول غضب إبليس هذا إلى بركة وخير. لقد رجم اسطفانوس مجموعة من الرجال الغاضبين الذين غذى إبليس غضبهم - ولكن لو كان إبليس يعرف القوة الإيجابية التى سوف تنطلق من هجومه هذا لكان قد توقف وألغى هجومه على اسطفانوس. وكان شاول يقف ويشاهد هذا المنظر قبل أيام من تحوله ليصير بولس الرسول، لقد رأى شاول عند موت اسطفانوس نوعية من الغفران هزت كيان شاول تماماً «لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح» (٢تى ١ :٧) (الله لم يعطنا روح الخوف - أو الجبن أو الارتعاد - بل أعطانا روح المحبة والذهن الهادئ المتزن) إن إبليس يحاول أن يخيفنا ويرعبنا ولكن الذين يثقون بالله يعرفون أن زئير العدو ليس سوى زئير أسد عجوز قد وقعت أسنانه!

التهكم

إن أحـد الأسـاليب الأخـرى التى يمارسـها إبليس هى **التهكم** والسخرية والتى تنشأ أيضاً من العنف المكبوت فى نفس الإنسان لقد ازدرى الأعداء بنحميا وسخرو منه واتهموه باطلاً أنه يتمرد على الملك ارتحشستا (نح ٢ :١٩) الذى قد بارك العمل بالفعل بل أن سنبلط قد اتهم نحميا بأنه يحاول أن يرشى الله! (نح ٤ :١-٣) وها هى هجمة خبيثة تشن على نحميا فى أرضه ووسط شعبه شبيهة بتخطيط الشيطان لتجربة يسوع فى البرية عندما اقتبس له آيات من الكتاب بطريقة ملتوية (مت ٤ :٣، ٦) . إن إبليس قد استطاع فى مرات كثيرة أن يحدث انقسامات فى الكنيسة ويضعفها بتشويه الحق بهذه الطريقة وهذا ما كان يحاول أن يفعله مع نحميا.

وبينما كان سنبلط يهزأ بالعمل ويصفه بأنه غير مجدٍ كان طوبيا يحاول زعزعة قدرات ومواهب المجموعة التى تبنى ولكنه نسى أن معظمهم قد عاش فى السبى مدة طويلة يعمل بالسخرة فى البناء والتشييد!. إن المشتكى على الأخوة «لا يعبأ بالحقيقة بقدر ما يهدف بسخريته إلى أن يثير الشك وعدم الإيمان فى صدورنا محاولاً أن يجهض خطط الله ومقاصده فى حياتنا.

وفى أسفارى حول العالم لعقد الحلقات الدراسية والتكلم فى اللقاءات الروحية كثيراً ما أرى عمل الشيطان فى المؤمنين – ولكن يوجد موقف واحد لن أنساه أبداً. كانت «مايدا» شابة مستعبدة بالشهوة الجنسية وقد نالت جروحاً كثيرة فى علاقات حميمة مع كثير من الرجال فى بحثها اليائس عن الحب. وللأسف فإنى أرى الكثيرين جداً مثل هذه الشابة يدخلون فراش الزوجية محملين بهذه الأحمال الزائدة.

لذا فيجب على المتزوجين، لكى يختبروا الإشباع العميق والقرب الحميم مع شركائهم فى الزواج، أن يفرغوا هذه الأحمال التى يحملونها من ماضيهم. بل إن هذه الأحمال عادة ما تؤثر أيضاً على علاقة الإنسان بالمسيح وتؤدى إلى الفشل فى الوصول إلى علاقة حميمة مع الله.

لقد كانت «مايدا» تمثل هذه المأساة وقد شرحنا لها ذلك ولكننا عندما كنا نصلى من أجلها لكى تتحرر من قيود حياتها السابقة، فجأة أصيبت بتشنجات فى جسدها كله ثم حدث شيء عرفنا منه بوضوح أن هناك شياطين تحاربنا لكى تستمر فى السيطرة على هذه الشابة، لقد ظهرت على شفتى «مايدا» ابتسامة سخرية واستهزاء وأخذت تضحك بصوت غريب مملوء بالسخرية والاستهزاء بشكل كان يهز كل كياننا ونحن نحاول مساعدتها. عندئذ عرفنا أن للشيطان سلطاناً عميقاً على حياتها بحيث لم يكن على استعداد أن يترك هذا السلطان دون صراع حقيقى وعلى مدى الأسبوعين التاليين مضيت أنا واثنين آخرين من فريق العمل نجلس جلسات مشورة وصلاة عميقة مع هذه الأخت وفى كل مرة كان العدو يستهزئ بنا كنّا نشجعها أن تأخذ على عاتقها مسئولية انتهار هذه الأعمال الشريرة ورفضها من حياتها تماماً وبالتدريج، نمت قوة «مايدا» الروحية حتى وجدت نفسها تمتلك سلطاناً حقيقياً جديداً على قوات الظلمة.

الخداع والبلبلة

إن الأساليب التى يستخدمها أبو الكذاب لكى يفقدنا توازننا ويعطلنا عن العمل تتضمن أيضاً البلبلة الفكرية والخداع.

في نحميا ٤ :٨ نرى كيف أن سنبلط وجشم وطوبيا قد تآمروا مع حلفائهم لكى يؤذوا ويخدعوا ويبلبلوا أفكار اليهود الذين يقومون بإعادة البناء ولكن بالرغم من المحاولات الكثيرة التى قاموا بها، ظل نحميا يرفض بثبات أن يرضخ لتهديداتهم وخداعهم واستمر يثق بالله بكل قواه ويكمل العمل فى السور. يجب أن نلاحظ أن إبليس هو رئيس التشويش والبلبلة وعندما نجد أن سحب التشويش القائمة قد استقرت فوق رؤوسنا، يجب أن ننتظر بثبات رياح الروح القدس القوية لكي تدفعها بعيداً عنا لكى تشرق شمس الحقيقة وتعطينا إرشاداً واضحاً فى طريقنا.

يتحدث نحميا أيضاً عن نبية اسمها «نوعدية» وكثيرين غيرها (نح ٦ :١٤) الذين من خلال **النبوات الكاذبة** حاولوا أن يخيفوا نحميا ويثنوه عن دعوة الله له لإعادة بناء أسوار أورشليم.

وكما ناقشنا فى فصول سابقة، يستطيع إبليس أن يستخدم مثل هؤلاء الأنبياء الكذبة لكى يبعدونا عن حق الله ومثل هذه الهجمات قد تكون مدمرة وبالأخص عندما تأتى من أشخاص مقربين كشريك الحياة أو أحد الوالدين أو أحد أعضاء الكنيسة وفى بعض الأحيان قد تكون مثل أيوب الذى نصحته زوجته أن يبارك (يلعن) الله ويموت (أى ٢ :٩) وذلك عندما كان يواجه أشد أزمات حياته قسوة.

إننا أيضاً لا نريد أن نكون مثل النبى الشاب فى ١ ملوك ١٣ الذى كان يأخذ بنصيحة النبى الشيخ بدلاً من أن يستمع لما يقوله الله وبالتالى وقع بين أنياب الأسد. يجب أن يكون لدينا تمييز ونسهر ونصلى حتى لا نقع فى تجربة ونصير فريسة للضلال والتضليل.

الأصدقاء المزيفون

إن الصداقات **المزيفة** هى فخ جديد من فخاخ العدو التى يضعها بسهولة وما أسهل أن يخوننا هؤلاء الأصدقاء. لقد خان الياشيب الكاهن نحميا عندما أعطى طوبيا حجرة كبيرة فى المعبد ليستخدمها كمخدع بينما كان نحميا قد غادر أورشليم (نحميا ١٣ :٤-٦) وهذه القصة تصور أسلوباً تقليدياً لإبليس الذى يستخدم بنفس الطريقة صداقاتنا وعلاقاتنا مع العالم لكى يؤسس لنفسه مكاناً للعمل فى قلوبنا. إننا لا نستطيع أن نحب الله والعالم معاً لأن محبة العالم هى عداوة لله (١يو ٢ :١٥-١٦). وإذ نستطرد فى قراءة سفر نحميا والأصحاح الثالث عشر نلاحظ أن نحميا على الفور واجه تفريط الياشيب وخيانته بأن ألقى فى الشارع كل متعلقات طوبيا ونحن أيضاً يجب أن نفعل مثل ذلك بأن نتعامل بحزم وبدون رحمة مع أى عدو يدخل داخل حدودنا، لأنه إذا دخل لن تأخذه بنا رحمة ولا شفقة فالشيطان عدونا المدمر يهدف دائماً إلى الإيقاع بقلوبنا وتحويل ولاءنا من الله للعالم وهكذا قد فعل بقلوب كثيرة ودمر خدمات كثيرة قوية.

التأثير الشيطانى

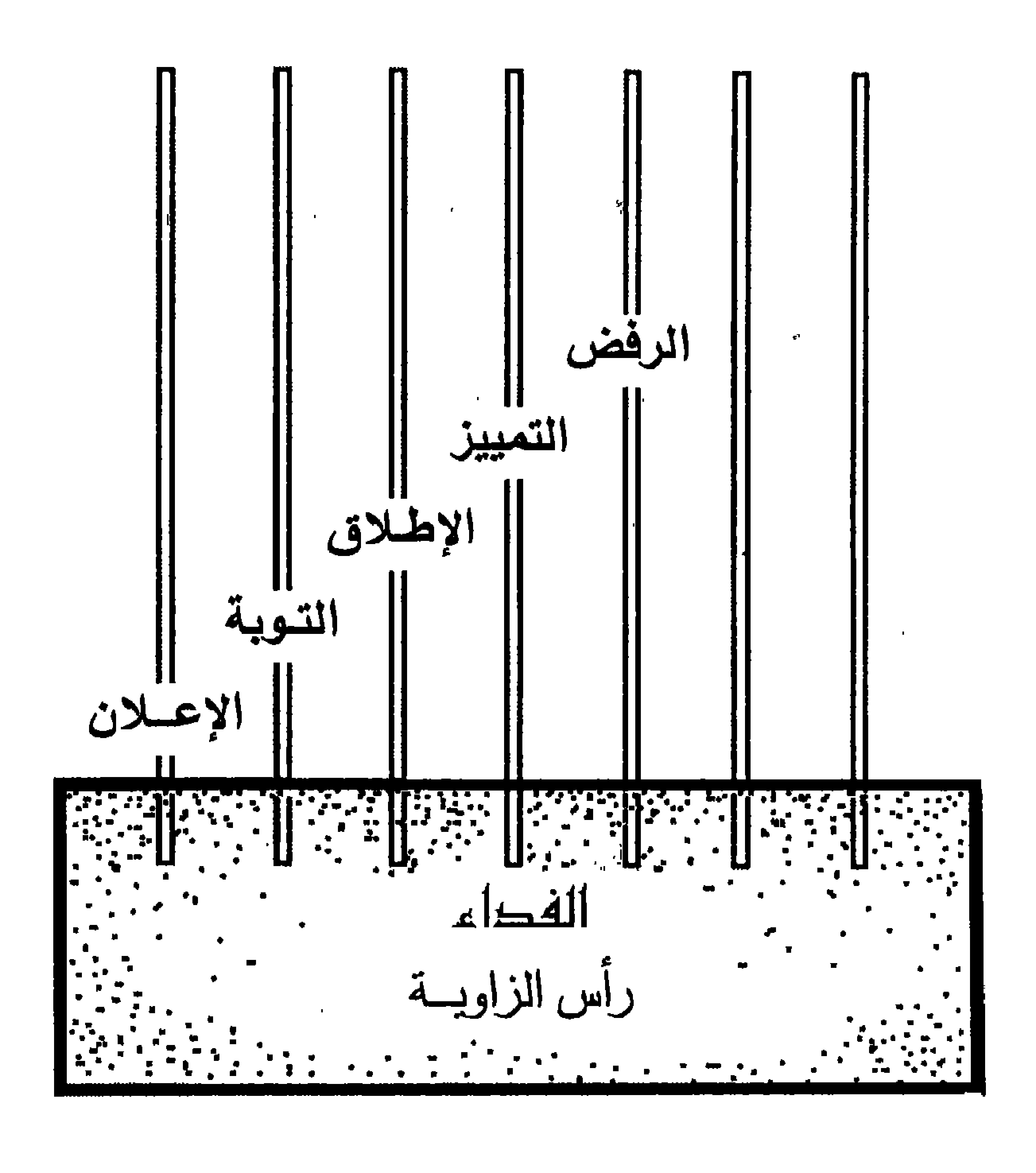
إن هدف إبليس الرئيسى هو **التأثير** علينا بأن يغرر بنا لنصنع تحالفات شريرة مع أنظمة وأفراد وشهوات مختلفة. إن عبارة «التأثير الشيطانى» هى ترجمة لكلمة يونانية تعنى الوقوع تحت تأثير الشياطين أو الوقوع تحت سلطانهم(×) وهذا يشير ببساطة لعملية يستخدمها إبليس ليزرع نفسه فى قلوبنا وبالتالى يتسلط علينا.

(×)Vine's Expository Dictionary op. cit. p 238

أسوار الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٣٥)

وكلما سمحنا له بفرصة أكبر للدخول، ازدادت سلطته فى حياتنا وقوى تأثيره علينا لذا فعندما نشعر بتأثير الشيطان أو وجوده فى أى مكان من قلبنا يجب أن نفعل فوراً مثلما فعل نحميا ولا نعطه أى أرض فى حياتنا ولا موطئ قدم. لا تفكر فى إقامة أى هدنة معه أو استضافته ولو للحظة واحدة! فوق **كل** تحفظ احفظ قلبك واحرسه لأن منه مخارج حياتك (أم ٤: ٢٣).

الرفض

الآن وبعد أن درسنا بعض الأساليب الشريرة التى يقوم بها العدو لكى نتحفظ منها، نحتاج أن نسأل هذا السؤال الآن وهو كيف نتعامل مع العدو عندما نكتشف وجوده؟

إن أول خطوة لمحاربة عمل الشيطان فى حياتنا هى، كما قلنا، أن نميز أعماله. والخطوة الثانية هى أن ننتهره ونرفض كل أنواع نشاطه فى حياتنا، وهذه هى الدعامة التالية التى نغرسها فى حجر الأساس - **الرفض**.

كان نحميا ينتظر الرب

منذ أن سمع نحميا بحالة أورشليم، نجده يطلب الرب بالصلاة والصوم ثم عندما سمع بأن أعداءه يتآمرون ضده، توجه مباشرة لمخدعه للصلاة وفى نفس الوقت أقام حرّاساً (نح ١: ٤، ٤: ٩) وعندما استأجر الأعداء شمعيا لخداع نحميا لكى يختبئ فى الهيكل ليبعدوه عن طريقهم، استطاع نحميا أن يكتشف الخدعة بكل حكمة واستودع أعداءه بين يدى الله.

والسؤال الآن هو عند أى مرحلة من الأزمة نلجأ إلى الله، هذا إن لجأنا إليه أصلاً؟ إننا نحتاج كنحميا أن نطلبه **فوراً** وننال من نعمته المتاحة لنا فى كل الظروف. إن العدو قد يخدعنا بسهولة ولكنه لا يقدر على الله!

سار نحميا للأمام، فى مخافة الرب

حاول أعداء نحميا إرهاب نحميا وإخافته لمنعه من مواصلة بناء أسوار أورشليم (نح ٦:٨-١٤). ولكن نحميا لم يخف على حياته، إذ كان قد استودعها بين يدى الله، وإنما كان خوفه الأكبر هو أن لا يرضى الله. لقد وقف نحميا فى رهبة من الله مطيعاً له فيما كلّفه به دون خوف من البشر «خشية الإنسان تضع شَركاً والمتكل على الرب يرفع» (أم ٢٩:٢٥). فإذا خفنا مِن أى شىء أو شخص أكثر من الرب العلى المَهوب سوف نقع فى شَرك خوف البشر. إذا أخذنا فى اعتبارنا آراء البشر وتقييمهم لنا ونصائحهم وأفكارهم أكثر من تقييمنا لأفكار الله فإننا نصير أسرى للبشر والخوف منهم، والله وحده هو العلاج للخوف «مخافة الرب (الاعتراف بشخصه وكراهية الشر) رأس (بداية) المعرفة» (أمثال ١:٧). والواضح من المكتوب أن نحميا ظهر أكثر من مرة كرجل حكيم. هل نستسلم لمخافة الناس ونقع فى هذا الشرك؟

إننا عندما ننهزم أمام الخوف فكأننا نعتقد أن من نخافه - أو ما نخافه - أقوى وأعظم من الله ولكن الحقيقة هى أنه ليس هناك من هو أقوى من الله القدير.

استمر نحميا فى العمل

فى نحميا ٤: ١، ٧ نقرأ كيف كان سنبلط وطوبيا متضايقين عندما ظهر من يهتم ويعمل لخير اليهود ولكن حتى فى مواجهة هذا العداء، استمر نحميا فى تفقد الأطلال التى كانت فى يوم من الأيام أسوار أورشليم الشاهقة الشامخة، لقد رفض نحميا أن يتشتت عن العمل الذى دعاه الله ليعمله. حتى سخرية أعدائه المزعجين واستهزاؤهم لم يمنعاه من العمل وإنما وضع نحميا الموقف كله بين يدى الله واستمر فى البناء وشجع رفقاءه أن يفعلوا نفس الشىء.

حتى التهديد بالحرب لم يوقف العمل (نح ٤: ٢١) فانقسم الرجال الذين يعملون إلى قسمين: أحدهما يحمل الرماح والقسم الآخر يبنى. وهكذا نحن أيضاً يجب أن نستمر فى العمل وفى نفس الوقت نكون مستعدين للقتال، لأن لنا عدو مستعد أن يفعل أى شىء لكى يمنع الله من أن يبنى كنيسته، ولكن حتى أبواب الجحيم لن تقوى على الثبات أمام قوة وقدرة الله الحى. إننا نحتاج أن نتمثل بنحميا الذى استمر فى العمل فى مواجهة ظروف شديدة الصعوبة ومشيرين غير مشجعين. إننا نحتاج لأن نكون «راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب ...» (١كو ١٥: ٥٨).

لقد كانت عينا نحميا تراقبان الأعداء

«فصلينا إلى إلهنا وأقمنا حراساً ضدهم نهاراً وليلاً بسببهم ... ولم أكن أنا ولا إخوتى ولا غلمانى ولا الحراس الذين ورائى نخلع ثيابنا. كان كل واحد يذهب بسلاحه إلى الماء» (نح ٤: ٩، ٢٣). لم ينتظر

نحميا الرب فقط ولكنه أيضاً كان مفتوح العينين ومتيقظاً لأى هجوم من أعدائه الذين يحاولون منعه من إتمام إرادة الله.

وقد يأتى العدو فى ثياب ملاك نور وقد يأتى أيضاً فى هجوم صريح كأسد زائر ولكن مقاصده هى دائماً أن يوقف عمل الله فينا ومن خلالنا وبسبب عدم اليقظة سقط الكثيرون أمام خططه الماكرة ولكننا إن تمثلنا بنحميا فإننا نسهر ونصلى لئلا نقع فى تجربة.

نحميا يضبط نفسه

تحدى سنبلط الحورونى وطوبيا العمونى وجشم العربى نحميا (نح ٢ :١٩) وهزأوا باليهود واحتقروهم بل واتهموهم بالتمرد على الملك لكى يخيفوهم ويمنعوهم من إتمام العمل. فماذا كان رد فعل نحميا؟ لقد رفض الدخول معهم فى مهاترات، وكان كل ما قاله إنه أعلن أن لا حق لهم ولا نصيب ولا ذكر فى أورشليم، أى أن عليهم أن يخرجوا أنفسهم من الأمر برمته فهو لا يعنيهم.

وبعد ذلك استثار وجود طوبيا نحميا للرد والقيام بعمل ما (نح ١٣ :٧-٩) ولكن نجده مرة أخرى ينفصل عن أعدائه وفى هدوء يطهر الهيكل من متعلقات طوبيا وحفظ نفسه من تأثير الأشرار.

إن هناك وقتاً للمواجهة ووقتاً لضبط النفس وعزل أنفسنا عن تأثيرات الشر فى حياتنا. إن ضغط الأقران (الشلة) يهزم الكثيرين من المؤمنين الذين يرزحون لفترات طويلة أكثر من اللازم تحت تأثيره حتى الملك شاول اضطر أن يركع أمام ضغط المقربين له وكانت النتيجة أنه فقد ملكه على إسرائيل (١صم ١٤ :١٣-١٥) وغيره

من الملوك والقضاة فشلوا فى التنصل من تحالفاتهم مع العدو وبالتالى لم يتمموا دعوتهم. يوجد وقت للمعانقة ووقت للانفصال عن المعانقة (جا ٣:٥) والتحدى الذى نواجهه كثيراً هو أن نميز الوقت المناسب والتجاوب المناسب مع الظروف الراهنة.

نحميا يحارب

لقد هدد أعداء اليهود بأنهم سوف يأتون ويقتلونهم إذا استمروا فى العمل فى بناء السور، وكما قلنا من قبل أن تهديداتهم لم تثن نحميا بل على العكس جعلته يعد للمعركة، فجعل نصف الرجال وبعض أسرهم يقفون للحراسة بكامل سلاحهم، بينما ظل الآخرون يعملون فى السور متسلحين أيضاً بسيوفهم وهنا لا نرى فقط تصميم نحميا على العمل ولكن نرى أنه رأى الحاجة **للحرب** أيضاً لقد عرف نحميا أمراً نحتاج أن نعرفه جميعاً – وهو أننا فى حالة حرب ويوجد عدو يريد أن يتغلب علينا دائماً وسوف لا يعقد معنا سلاماً إلا بشروطه هو والطريقة الوحيدة للانتصار هى أن نكون جنوداً من الدرجة الأولى يعدنا المسيح للحرب غير مرتبكين بأمور هذه الحياة ولكن مكرسين للسهر والصحيان والحراسة والحرب والبناء تحت قيادة المسيح (١ تيمو ٢ :٣، ٤).

ولأن محاربتنا لا تحدث فى العالم المادى بل فى العالم الروحى غير المنظور فإن أسلحتنا أيضاً يجب أن تكون ملائمة لهذا النوع من المعارك ويقول بولس الرسول إن هذه الأسلحة ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون العدو (٢كو ١٠ :٣-٥). والآن دعنا نلقى نظرة على هذه الأسلحة:

اسم يسوع

عندما نستخدم اسم يسوع، فإننا نضع أنفسنا فى صفوف قواته محاربين من أجل الحق والعدل والبر، توجد قوة فى اسم المسيح فوق كل قوة العدو.

دم المسيح

فى رؤيا ١٢ :١١ نقرأ «وهم غلبوه بدم الخروف» وهى الغلبة العظيمة التى حصل عليها يسوع فوق الصليب على الخطية والموت والشيطان. عندما بذل المسيح دمه، فإنه قد فعل ذلك بدلاً منا فاتحاً لنا الطريق للخلاص من سلطان إبليس لقد سفك دمه عنا وهذا الدم هو الذى قهر العدو وطرده هارباً.

كلمة شهادتنا

والسلاح الثانى الضرورى للانتصار كما جاء فى رؤيا ١٢ :١١ هو «كلمة شهادتهم». فعندما كان المسيح فى البرية صائماً لأربعين يوماً وليس فيه أى قوة جسدية أظهر من خلال شهادته قوة الكلمة عندما كان يصارع تجارب إبليس (مت ٤ :١-١١). لقد استخدم المسيح الكلمة بمهارة كسيف فى يده أرهب به العدو وجعله يهرب ويفشل فى الإيقاع بيسوع فى تجاربه. إن كلمة الله حق وعندما نؤمن بهذا الحق ونعترف به فى وجه العدو فإنه يهرب من وجه الحق ولا يحتمل نوره الساطع (يو ٨ :٣٢).

سلاح الله

يوصينا الرسول بولس فى أفسس ٦ أن نرتدى سلاح الله الكامل حتى نستطيع أن نثبت فى يوم المعركة ضد قوى الظلمة. وكل قطعة من هذا السلاح الكامل لها أهميتها.

خوذة الخلاص
درع البر
منطقة الحق
حذاء استعداد الإنجيل
ترس الإيمان
سيف الروح

وإذا ارتدينا هذا السلاح يومياً وتعلمنا كيف نستخدمه سوف يمكننا أن نطرد العدو فى كل مرة يهاجمنا فيها.

منذ بضعة سنوات، كان البعض منا يصلون مع رجل مسن كانت لديه ميول انتحارية. وفجأة تحولت فرصة الصلاة البسيطة إلى حدث مريع عندما أظهر العدو نفسه كالسيد الشرير الذى يسخر هذا الإنسان لخدمته. فجأة قفز هذا الرجل مزمجراً بكلمات تشبه الحشرجة ووجهه ملتو القسمات بالغضب الشديد والتقط كرسياً ورفعه فوق رأسه وبدأ يتحرك نحونا ببطء فى الغرفة التى أصبح جوها مكهرباً بالخوف والترقب والغضب حتى أن واحداً منا تسمر من الخوف أما الآخرون فقد ارتدَوْا بسرعة أسلحتهم الروحية وبدأوا الحرب. وعندما دعونا باسم الرب يسوع وأعلنّا قوة دمه، رأينا كيف توقف هذا الشخص على بعد

أقدام مننا وكأن يداً غير منظورة أوقفته ثم وقع الكرسى مهشماً على الأرض وصرخ الرجل صرخة قوية ووقع على الأرض مجهشاً فى البكاء كطفل صغير.

وعندما ركعنا بجانبه، اعترف بالخيانة الجنسية التى كانت فى حياته وتاب أمام الله ثم صلينا كلنا معه فصار رافضاً كل أعمال العدو فى حياته حتى حصل فى النهاية على الحرية والإطلاق اللذان كان يطلبهما بشدة. ووجدنا بعد ذلك أن الاكتئاب والأرق وأفكار الانتحار التى كان يعانى منها لم تستمر طويلاً إذ ظل يقف بقوة فى وجه سلطان الشرير فى حياته متمتعاً بالنصرة فى المسيح. إن إبليس هو بالحقيقة عدو رهيب كما رأينا فى هجومه على نحميا.

فى الفصل التالى سوف ندرس أسلوباً آخر من أساليب العدو. إن الظلم سواء الحقيقى أو المتخيل هو أمر صعب التعامل معه وبخاصة عندما يدخل حياتنا عن طريق أشخاص نثق بهم. إن الشيطان يعرف كيف يستخدم هذا السلاح الفتاك الذى ذبح به الكثيرين، وسوف نرى كيف نستطيع أن نتجنب ضرباته وليس ذلك فقط بل كيف نجرده تماماً من هذا السلاح.

تعال جانباً

راجع بعض الهجمات الشيطانية التى تعرضت لها أنت شخصياً

وضّح من حياتك الخاصة كيف استخدمت بعضاً من أساليب نحميا لتهزم العدو.

الفصل الرابع عشر

بداية جديدة

توالت ضربات الظلم المتلاحقة على بنى إسرائيل من الداخل والخارج وسببت لهم الكثير من الجروح والأذى بينما هم يحتالون على العيش فى السبى ولكن تغيير المكان لا يعنى بالضرورة تغيير القلب وسرعان ما وجد العائدون من السبى أن المظالم القديمة بدأت تنمو وتتفشى فى المجتمع اليهودى. ونقرأ فى نحميا ٥ :١-٧ كيف أن مجموعة من صفوة اليهود الأثرياء بدأت تعطى قروضاً بفوائد باهظة مضيفة عبئاً جديداً على العائدين من السبى فزادت من محنتهم، وأدت مطالبة هؤلاء للمديونين بالوفاء إلى أن الكثيرين رهنوا، بيوتهم وأراضيهم بل وحتى باعوا أولادهم وبناتهم فى العبودية حتى يستطيعوا أن يأكلوا ويعيشوا. وارتفع صراخ الشعب وبكاؤه وعلى مر العصور تردد صدى مثل هذا الصراخ من أمم وشعوب كثيرة فى العالم صراخ المعاناة من **الظلم** نفس الصراخ صعد من الأرض مطالباً قايين بدماء أخيه هابيل البرىء الذى قتله أخوه فى نوبة حسد وغضب ونفس هذا الصراخ صعد من اليهود الذين هلكوا بين أيادى أعوان هتلر فى أفران الغاز الرهيبة وهو أيضاً نفس الصراخ الذى صعد من الكمبوديين الذين تعرضوا لما يشبه الإبادة الجماعية على يد جيوش پول پوث وڤييت كونج وهو نفس الصراخ الذى يصعد اليوم من مئات الآلاف من شعب

البوسنة الذين يعانون من الإبادة على أيدى الصرب وأيضاً الأفغانيين الذين هربوا من القتل لكى يعيشوا كلاجئين.

صرخة قلوبنا

وربما يصعد نفس هذا الصراخ من أعماق قلوبنا وعندما نتناول موضوع الظلم، يجب أن نتذكر ثلاثة مبادئ رئيسية:

١- إن الله عادل فى كل طرقه.
٢- إن إبليس ظالم فى كل طرقه.
٣- إن الإنسان ظالم فى كثير من طرقه.

وفى عالمنا اليوم، يحدث الكثير من الظلم من عدم إنسانية الإنسان فى التعامل مع أخيه والكثيرون واقعون تحت تأثير نهم لا يشبع؛ للتملك والسلطة. وقلوبهم ملوثة بالطمع والشهوة حتى أنهم ينظرون للناس على أنهم أشياء تستخدم ويمكن التضحية بهم. ومثل هذا الوسواس القهرى يسبب جروحاً دائمة فى جميع أنحاء العالم.

«روح الإنسان تحتمل مرضه أما الروح المكسورة فمن يحملها؟» (أم ١٨ :١٤). ما معنى أن يجرح الإنسان وما هو تأثير ذلك عليه؟ إن هذا الجرح المؤلم ينبع من قلب الإنسان أو روحه كنتيجة للتوجهات والأفعال والكلمات الخالية من المحبة التى يوجهها لنا الآخرون ويمكن أن يوصف بأنه ألم مزمن لا يتوقف ينبع من مكان أعمق من كل أعضاء جسم الإنسان. والشخص الذى لم يختبر هذا الألم الداخلى العميق من قبل، شخص محظوظ بالفعل.

والشخص الذى يميل نحو السلبية، تظهر فيه أعراض الجروح

الدائمة فى صورة شفقة على النفس، وإدانة النفس، والانحصار المرضى فى الذات. وربما يؤدى ذلك لكراهية النفس والاكتئاب أو حتى أفكار الانتحار. أما الشخص الذى يميل أكثر للعنف فيصبح غاضباً، منتقداً، ديانا، كارها، وربما يستخدم العنف ضد المقربين إليه وهذه الأعراض عادة ما تكشف عن «روح جريمة» تأخذ الإنسان بكامله فى طريق الألم والمعاناة. إن الروح المجروحة قد تؤدى إلى هدم بنيان الحياة بأكمله، وكسر العلاقات الهامة مع الآخرين، والقضاء على قدرة الروح المسئولة عن تعضيد كيان الإنسان كله.

وإذا كنّا لا نستطيع احتمال الجروح فى حياتنا كيف يمكننا التعامل معها؟ هل توجد طريقة أخرى للتعامل مع لص الحياة هذا؟

لقد قدرت إحدى الدراسات أننا نستخدم ٥٠٪ من قدراتنا النفسية فقط للتغلب على جروح الماضى. كيف إذن نتحرر ونبدأ فى اختبار نصيبنا الكامل من الحياة؟ هل يمكن أن نمحى ذكرياتنا، هل نستطيع تجديدها أو إعادة برمجتها؟

تسجيلات القلب

لكى نفهم عمل المخ البشرى بشكل أفضل دعونا نلقى نظرة على بحث أجراه «د. ويلدر بينفيلد» فى مونتريال(×) وهو بحث يدور حول علاج مرضى يعانون من بؤارات صرعية وفى هذا البحث كتب «بينفيلد» بعض الملاحظات المثيرة للدهشة فيما يختص بالذاكرة والمشاعر خلال مسار الجراحات التى كان يجريها فى المخ فبينما كان

(×) Memory Mediquisms A.M.A Archives of Neurology and Psychiatry 67 (1952) 178-198.

المريض تحت مخدر موضعي وهو واع تماماً، قام «بينفيلد» باستثارة القشرة الخارجية للمخ فى منطقة الفص الصدغى بواسطة تيار كهربائى ضعيف. وكانت النتيجة مفاجأة! لقد ظهرت على السطح أحداث من الماضى مع المشاعر المصاحبة لها وخرجت من اللاوعى و«عرضت» أمامه فى العقل الواعى بكل وضوح وبتفاصيلها واستنتج «بديفيلد» من هذا أن الأحداث والمشاعر المصاحبة لها مرتبطة معاً ارتباطاً وثيقاً ومحفوظة على «شريط» فى قشرة الفص الصدغى للمخ ولم تؤدى الاستثارة الكهربية فقط إلى تذكر كامل، ولكنها أدت إلى أن عاش الشخص هذه الأحداث فى ذهنه. ومنذ ذلك الحين تظهر الملاحظة أن الاستثارة التى تحدثها الحياة اليومية العادية يمكن أن تحدث نفس التأثير فتخرج إلى السطح ذكريات ومشاعر يمكن أن تعود حتى لفترة ما قبل الولادة. والسؤال هنا هو ماذا نفعل عندما تظهر هذه الذكريات والمشاعر على السطح؟ هل يمكن شفاء جروح الماضى وتخفيف آلامها؟ دعونا نرجع إلى ما قاله خالقنا من تعليقات على الحياة والإنسانية لنحصل على المزيد من البصيرة للرد على هذه الأسئلة.

لقد تكلم الله من خلال بولس الرسول وأوصانا أن «نتغير عن شكلنا بتجديد أذهاننا ...» وأن نتجدد بروح أذهاننا (رو ١٢: ٢؛ أف ٤: ٢٣) ولكن ما هى روح الذهن؟ وكيف يمكننا تطبيق هذا؟ لقد عرّفها فنسنت أنها «المبدأ الأعلى فى حياة الإنسان التى يفكر بها ويحكم على الأمور. إنها مركز التفكير الأخلاقى والمعرفة»(×) وتغييرها هنا لا يعنى ببساطة مجرد تغيير رأى أو عقيدة فهو يقول أن «روح الذهن» عندما تتجدد فهى تحدث تغييراً فى توجّه العقل وكل ما فيه من أفكار.

(×) Marvin Vincent, Word Studies in the N.T. Vol. 3 (Grand Rapids Erdmans p. 395.

تجديد القلب

من خــلال هذه الأفكار والآيات الكتــابيــة، نرى أن **التجديد** هـو الدعامة التالية التى نضعها فى حجر الأساس. والتجديد أمر ضرورى لشفاء جراح نفس الإنسان.

«لأنه هكذا قال الرب. كسرك عديم الجبر وجرحك عضال» والرب يتكلم هنا عن عدم قدرة الإنسان على التعايش مع المشكلة التى يعانى منهــا والتى تضـعـفـه. ثم يقـول الرب «لأنى أرد لك عـافيـتك وأبرىء جـراحك، يقـول الرب» (إر ٣٠:١٢، ١٧) كـيف يشـفى الرب جـراحنا ويجددنا بروح ذهننا؟ وما هى مسؤليتنا نحن فى هذه العملية؟

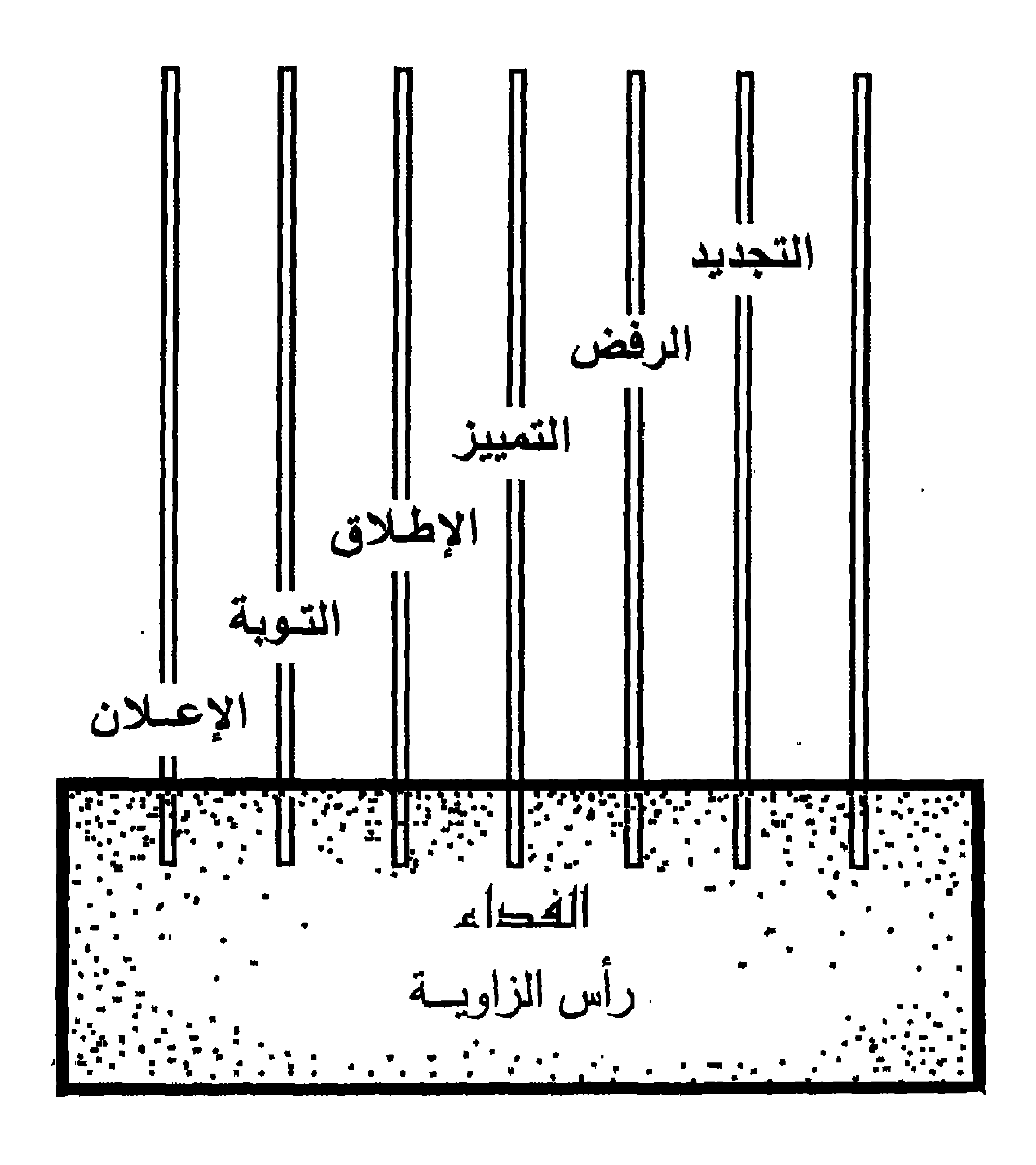
دعونا نقترب أكثر إلى كلمة تجديد. إن أحد الأفعال باللغة اليونانية التى تترجم «يجدد» هو «anakainoo» وفى قاموس Vine التفسيرى للعهد الجديد نجد أن الكلمة منقسمة إلى قسمين «ana» وتعنى مرة أخرى و«kainos» وتعنى جـديـد وليس جـديد بمعنى «حـديث» ولكن بمعنى «مختلف»(×).

وهكذا يعنى التجديد أن يصير الكل جديداً أى أن يصبح الماضى جديداً متغيراً. إننا بالطبع لا نستطيع تغيير أحداث تمت فى الماضى لكننا نسـتطيع أن نغـيـر ردود أفـعـالنا وتوجـهـاتنا التـى تنبع من هذه الأحداث، وتؤثر فى روح ذهننا وبالإضافة لذلك، فإن هذه الكلمة يمكن أن تشير ببساطة إلى شفاء جروح الماضى وبداية حياة جديدة كما فى رومية ١٢ :٢ فإننا نستطيع أن نتغير عن شكلنا وتتغير التشوهات التى قد أحدثها فينا الماضى والحاضر وكل هذا من خلال تجديد روح الذهن.

(×) Vine Expository Dictionary, op. cit., p. 960

سور الخلاص

نحميا = إعادة البناء
عزرا = المصالحة



(شكل ٣٦)

شفاء القلب

يتساءل البعض هذه الأيام ما إذا كان شفاء القلب أمراً كتابياً أم لا. لم تكن لدى داود أى شكوك عندما تأمل عودة المسبيين وإعادة بناء أورشليم قائلاً: «يشفى المنكسرى القلوب ويجبر كسرهم»(×) فى سفر الرؤيا نقرأ عن نهر من البلور الصافى ينبع من عرش الله وعلى جانبيه شجرة الحياة التى «أوراقها لشفاء الأمم» (رؤ ٢٢:٢).

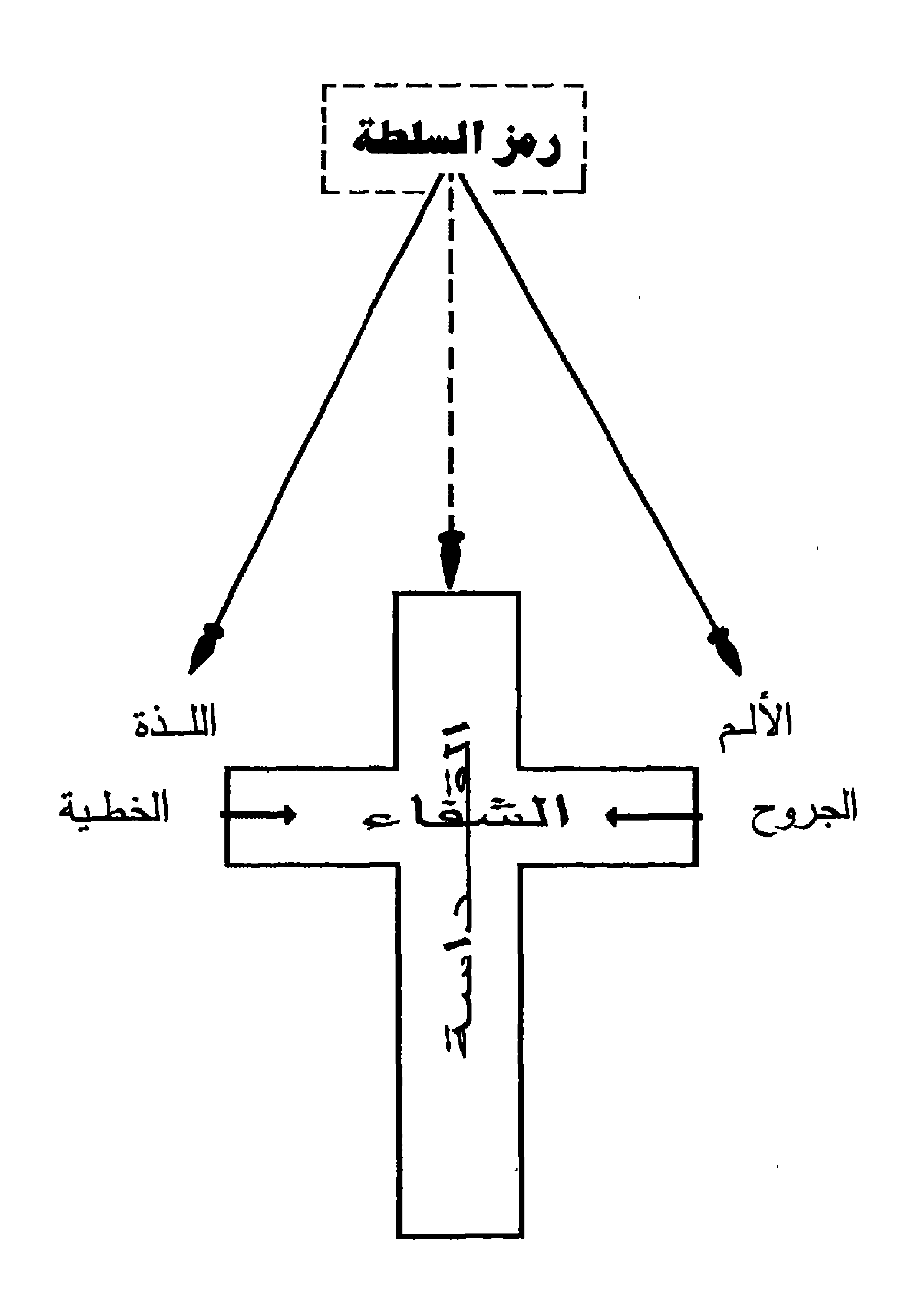
لا شك أبداً أن رغبة الله هى أن يشفى الجريح والكسير. يقول البعض إن المؤمنين المسيحيين هم فقط الذين يطلقون النار على جرحاهم. وللأسف فإن هذا كثيراً ما يحدث، ولكن الله قد رتب شفاء للجروح، تماماً كما رتب خلاصاً من الخطية وذلك تم على نفس الصليب الذى علق عليه المسيح، فعلى الصليب جرح المسيح ليشفى جراحنا. إن الصليب هو ترتيب الله لنا والخدمة الشفاعية التى قام بها المسيح هى مفتاح شفاء أعمق الجروح والعذابات فى قلب كل مؤمن به.

ولكى تفهم هذا السر دعونا نتأمل هذا الفداء العظيم الموصوف فى إشعياء ٥٣:٥ و١ بطرس ٢:٢٤ :

«وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا»

«الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة (كما على مذبح قدم نفسه عليه) لكى نموت (لا نكون فيما بعد) عن الخطايا فنحيا للبر. الذى بجلدته شفيتم»

(×) مز ١٤٧:٣ – راجع أيضاً مز ٣٤:١٨؛ إش ٥١:١٥، إش ٦١:١؛ لو ٤:١٨.



(شكل ٣٧)

إن هذه الأعداد توضح جانبين هامّين من جوانب خدمة المسيح على الصليب وهذان الجانبان مرتبطان بما قلناه من قبل عن الشهوة وأرجوحة الألم/واللذة التى قد يتأرجح بينها الإنسان.

ويُصَوِّر شكل ٣٧ بندول الألم واللذة متأرجحاً بين اللذة الشهوانية الناتجة عن الخطية من ناحية وبين الألم الداخلى الناتج عن الجراح التى تصيبنا من ناحية أخرى وهذا التأرجح لا يمكن أن يوقفه إلا الصليب حيث نجد تطهيراً للخطايا وشفاءً للجروح. إن هذه الأحمال ثقيلة جداً علينا ولا نحتاج لأن نحملها، ولو حاولنا حملها سوف نخور تحت ثقل العار والخجل والألم بسبب الخطية والمرارة والذنب والمعاناة بسبب الجروح. لقد جاء المسيح لكى يهبنا بموته على الصليب حياة. لقد عانى الظلم والألم والمعاناة على الصليب حتى يحمل هو نفسه الظلم الواقع علينا فى جسده معطياً شفاءً للنفوس الجريحة.

عملية التجديد

الآن وبعد أن بحثنا بعض مبادئ عملية التجديد، ماذا يحدث عندما نطبق هذه العملية على ظروفنا الحاضرة؟. ما هى الخطوات التى نأخذها لكى نحصل على هذا الشفاء فى قلوبنا؟ كيف نبدأ فى التحرك نحو الشفاء والاكتمال والقداسة؟

الاعتراف

إن إنكار وجود جرح داخلى لهو شكل من أشكال المناورة مع الذات. وبنفس الطريقة فإننا عندما نكبت الألم والجروح فنحن نختزن داخلنا مشاعر غير صحية. وهذا يمكن أن يؤدى للاكتئاب أو غيره من

الأمراض النفسجسمية، فإذا كنا نعانى من الألم فمن المهم أن نقبل هذا كحقيقة واقعة ونعترف بها أمام أنفسنا. يعتقد البعض أن المؤمنين لا يجب أن يتألموا وليس هذا سوى صورة روحية من صور الإنكار والكبت.

إن المسيح نفسه شعر بالألم بل وبكى على قبر لعازر (يو ١١ :٣٥) وبعد ذلك فى بستان جسثيمانى لم يؤد ألم المسيح الداخلى إلى البكاء فقط بل كان عرقه كقطرات دم تخرج من جسمه (لو ٢٢ :٣٩-٤٥). من الواضح إذن أن الألم ليس خطية بل الطريقة التى نتعامل بها مع الألم هى التى يمكن أن تكون خاطئة.

الإيمان

لقد حمل المسيح ألمنا وحزننا على الصليب، يجب أن نؤمن أيضاً أنه مستعد وقادر أن يحمل ألمنا وحزننا اليوم. «بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله» (أف ٢ :٨). وكما قبلنا الخلاص من الخطية بالإيمان يجب أن نثق أنه يشفى أيضاً أمراضنا وذلك بخطوة إيمان وبينما نحن نصارع مع عدم الإيمان، يمكننا أن ننتصر بأن نغرس فى نفوسنا الحق الإلهى فى مواجهة ما تثيره مشاعرنا وأحاسيسنا.

ولعلك الآن تسأل نفسك، «هل يستطيع الله فعلاً أن يجددنى ويغيّر هذا الجانب من حياتى؟ لقد مرت علىّ سنين طويلة وأنا على هذا الوضع. هل يمكن أن أتغير الآن؟!. نعم، إنه يستطيع والإيمان يعطينا الانتصار!

الاعتراف

نقرأ فى رومية ١٠:٩-١٠ أن الفم يعترف به للخلاص أو الشفاء ولكننا نحتاج أيضاً لأن نعترف بخطايانا وجراحنا أيضاً ونتحمل مسئولية حياتنا بالكامل. من السهل أن نلعب لعبة اللوم، فنلوم الوالدين أو المدرسين أو حتى الجيران وبالطبع فإن الوالدين ليسوا أشخاصاً كاملين، كما أنهم أيضاً مسئولون عن أفعالهم، وبالرغم أن تأثير الوالدين من الممكن أن يترك ندبات فى حياتنا، لكن يجب علينا نحن أيضاً أن نتحمل مسئولية خطايانا وقبل أن نصلى معترفين بخطايانا، نحتاج لأن ننظر للخلف ونراجع خبراتنا المؤلمة. إن الشفاء هو مهمة الروح القدس لذا فمن المهم أن نخضع لقيادته وليس لمهارة شخص أو أسلوبه. خذ وقتاً كافياً فى الصلاة من أجل كل مراحل حياتك سامحاً للروح القدس أن يظهر لنا بطريقة فوق طبيعية المواقف المهمة التى نحتاج لمراجعتها. ربما يشير إلى أحداث تعود حتى لفترة ما قبل الولادة أو لفترة الرضاعة أو الطفولة المبكرة أو المراهقة. قد يشير إلى علاقات مهمة وربما إلى علاقة الزواج، وعادة ما يكون التعبير العاطفى مدخلاً فعّالاً للصلاة الشافية ويصبح الاعتراف الباكى أكثر من مجرد تنفيس وعندما يختلط الاعتراف بالإيمان، فإن التعبير عن مشاعرنا لله بدموع يمكن أن يستبدل بالذكريات الجارحة ببلسان محبة يسوع وفهمه العميق لأعماق قلوبنا. إن المسيح يستطيع ويريد أن يحمل جراحنا لو اخترنا أن نفتح له أعماق قلوبنا.

الرغبة

لقد اختبرت أكثر من مرة أن أرواحنا، لكى تشفى، يجب أولاً أن

نرغب فى الشفاء. البعض يفضلون أن يستخدموا جراحهم ويحصلوا منها على امتيازات وبالتالى لا يريدون أن يتخلصوا منها وقد يقومون بالصلاة ولكنهم فى الداخل لا يحتملون أن يفقدوا ذلك العجز المفضل الذى يحصلوا من خلاله على الاهتمام والعطف خوفاً من أن يتجاهلهم الناس أو يهملوهم وعادة ما يتنقلون من مشير إلى آخر وفى النهاية يقررون أن لا شىء ينفعهم ولا يعترفون أن الحقيقة هى أنهم ليسوا مستعدين أن يجعلوا هذه المفاتيح تعمل فى حياتهم «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون» (مت ٥:٦) وعادة ما لا نشعر بالعطش إلا إذا وقعنا فى أزمة أو معاناة كبيرة.

الممارسة (التدريب)

فى ١ تيموثاوس ٤:٧، نقرأ كيف أن التمرين الجسدى مفيد وكيف أننا أيضاً نحتاج أن ندرب أنفسنا فى القداسة والصلاح وهذا أمر فى غاية الأهمية والقيمة. وفى إطار التجديد والشفاء يتضمن هذا التدريب التخلى عن الممارسات وردود الأفعال القديمة واستبدالها بردود أفعال جديدة.

«أن تخلعوا من جهة التصرف السابق، الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور (الذى كان يميز طريقتكم السابقة فى الحياة والذى أصبح فاسداً بسبب الشهوات والرغبات التى تنبع من الضلال والظلام الفكرى) وتتجددوا بروح ذهنكم (وتصبحوا متجددين دائماً فى روح ذهنكم) وتلبسوا الإنسان الجديد (تتبنوا الطبيعة الجديدة) المخلوق بحسب الله (على صورة الله) فى البر وقداسة الحق» (أف ٤:٢٢-٢٤).

كيف يمكننا عملياً أن نخلع العتيق ونلبس الجديد؟ يناقش الدكتور جارى «سويتن» فى كتابه **التفكير المسيحى العقلانى** كيف يصل كل منّا إلى منظومته الإيمانية الخاصة وكيف أيضاً يغيرها(×) ويقول «سويتن» إننا نختبر أولاً حدثاً منشطاً (يكون بمثابة تحريك المشكلة). وهذا الحدث يسبب (مشاعرمتولدة عنه ثم نتخذ تجاهه قراراً (الموقف) وهكذا نبنى حول هذا التسلسل (عقيدة) فيكون الترتيب عبارة عن. تحريك المشكلة ←— المشاعر المتولدة ←— الموقف ←—عقيدة. وهذه هى الكيفية التى يتكون بها لدينا نمطاً للسلوك وفيما يلى توضيح أكثر:

تحريك المشكلة

افترض أن هناك كلباً أسود هاجم طفلاً صغيراً وقطع له ملابسه.

المشاعر المتولدة

خوف، قلق، توتر

الموقف

يجرى الطفل بأقصى سرعة مبتعداً عن الكلب على قدر استطاعته ومثل هذه الخبرة فى الطفولة قد تكون شديدة الإيلام حتى أنها تؤدى إلى موقف يدوم لسنوات فى حياته عندما يصير رجلاً ويؤدى لمنظومة اعتقادية.

(×) Gary Sweeten, Alice Peterson and Dorothy Geverdt Rational Christian Thinking.

عقيدة

حيث أن ذلك قد حدث فى الماضى بصورة مؤلمة، فإن الرجل البالغ يعتقد أن كل الكلاب السوداء عنيفة وخطيرة حتى أنه إذا رأى كلباً أسود اللون أثيرت عنده كل المشاعر التى صاحبت الموقف القديم ويعيش الموقف مرة أخرى وبالنسبة لمثل هذا الشخص فإنه لكى يغير مشاعره وسلوكه تجاه هذا المثير (الكلاب السوداء) عليه أولاً أن يتحدى منظومته الاعتقادية ويغيرها ويحدث هذا فقط عندما يستطيع أن يقبل حقيقة أن كثيراً من الكلاب السوداء وديع وهادئ وأنه يمكنه أن يشعر بالهدوء تجاه هذا النوع من الكلاب.

وبنفس الطريقة يمكننا أن نخلع التصرف السابق وأنماط السلوك التى تعلمناها فى الماضى ونلبس سلوكيات جديدة إذا ركزنا على حق كلمة الله وصدقناها فى قلوبنا واعترفنا بها بأفواهنا [انظر إلى «تعال جانباً» فى نهاية الفصل].

وإذا ألقينا نظرة أخرى على ١ تيموثاوس ٤ :٧ نلاحظ أننا نحن الذين نروض أنفسنا للتقوى نخلع العتيق ونلبس الجديد.

الحق ينبغى أن يقال
والغضب تحت السيطرة وكذا الانفعال
السارق لا يأتي بعد ليسرق ويحتال
يصير اللسان مروضاً ممتحن الأقوال
واللطف يمتد كما بالقول كذلك بالأفعال

ولتطبيق هذا، يجب أن يصاحب التغيير توبة مستمرة واعتراف وأمانة دائمة، وإلا فلن يستمر التغيير ويصير مستقراً لقد تاق بنو

إسرائيل لأن يشفى الله جروحهم، ولكن الله كان يتساءل ماذا يفعل بهم (هو ٦ :١-٤) ويقارن توبتهم بسحاب الصبح والندى الذى لا يكاد يظهر ثم يختفى كيف يمكن أن يشفيهم الله. بهذه الطريقة؟ إن أهم المعضلات التى تقف أمام الله ليس أننا لا نقبل عطايا نعمته بل أننا كثيراً ما نرفض أن نصير مشابهين له وما لم يصاحب التغيير خلعاً للسلوك القديم ولبساً للجديد فإنه يظل تغييراً مؤقتاً. وليس قبل أن نروض أنفسنا للتقوى يمكن لنا أن نحافظ على النمو ونؤسس شفاءً حقيقياً.

الغفران

يجب أن نكون دائماً مستعدين لأن نغفر لبعضنا البعض كما غفر لنا الله فى المسيح (أف ٤ :٣٢). ولكننا كثيراً ما نقع فى فخ المرارة والكراهية وربما أكثر الصور إيضاحاً هى صورة العبد الذى لم يغفر لصاحبه بعد أن سامحه سيده بدين أكبر من الدين الذى له عند صاحبه (متى ١٨ :٢٣-٢٥). والأمر الذى لا يلاحظه الكثيرون منا هو أن ذلك العبد لم يقبل فعلاً غفران السيد غير المشروط له وكل ما قبله هو ما طلبه بالفعل وهو فرصة من الوقت لسداد الدين الذى تصل قيمته لما يعادل عشرة ملايين دولار ولكونه لم يقبل الغفران فى قلبه لم يستطع أن يعطيه للآخر - فأصبح غير المغفور له غير غافر والذى لم يقبل لم يستطع أن يعطى لذا لم يستطع أن يغفر عدم سداد دين لا يتجاوز العشرين دولاراً! ووضع المديون فى السجن. يعترف الكثيرون أنه مغفور لهم خطاياهم، ولكنهم لم يقبلوا الغفران فى قلوبهم حتى يحصلوا على الحرية فى حياتهم بل على العكس يجمعون الإساءات محتفظين بكل مضايقة أو إهانة أو جرح ويصنفون أرشيفاً كاملاً وسجلاً لكل خطأ

واضعين عنوان على كل إساءة باسم المُسيء وتاريخ الإساءة ونوعها. ولكونهم مأسورين فى شبكة من الإساءات والجروح فهم يسيئون للآخرين ويجرحونهم ولكونهم لا يتمتعون بالغفران فهم يصارعون لكى يغفروا للآخرين ولكونهم يعتبرون أنفسهم فاشلين فهم يحبطون الآخرين ولإيمانهم بأنهم مرفوضون فهم يرفضون الآخرين وهكذا. فإن «غفراننا لأنفسنا» يصبح له قيمة فقط عندما نحصل على غفران الله.

فإذا لم نكن قد حصلنا على غفران الله فى قلوبنا فإننا لا نستطيع أن نغفر من قلوبنا لا للآخرين ولا لأنفسنا. إننا يجب أن نضع أمام الله كل شعور بالذنب والعار لكى نحصل منه على العفو والغفران وعندما لا نفعل ذلك نصبح مثل هذا الشاب المأساوى الذى خرج من السجن بعد عقوبة أشغال شاقة مؤبدة ولكونه لا يصدق العفو الذى حصل عليه فإنه لا يستطيع أن يخطو خارج أسوار السجن لينعم بالحرية. إننا لكى نشفى يجب أن نتعلم أن نغفر لأنفسنا من القلب.

النمو

إن التحدى الذى يضعه بولس أمامنا هو أن نُفْطَم عن اللبن ونحاول هضم طعام البالغين الروحى (عب ٥:١١-١٤). ويقول «اكبروا!» داعياً إيانا أن ننمو إلى قامة المسيح بأن نقول الصدق فى المحبة لبعضنا البعض (أف ٤:١٣-١٥). أحياناً يقول البعض الصدق بطريقة جارحة ومدمرة بينما يحاول البعض الآخر أن يحب فى صمت ولا يقول الحق خوفاً على السلام ولكى ننمو فى التقوى نحتاج إلى التوازن. إن الجراح القديمة المتقيحة يمكن أن تخلف نُدباً قبيحة فى شخصياتنا وتوقف نمونا الروحى والنفسى.

المساعدة

إننا كما أخذنا يجب أن نعطى. إن الله يعد بأن يتم شفاؤنا سريعاً إذا اجتهدنا فى أن نطلق المأسورين أحراراً ونطعم الجائعين ونأوى الذين بلا مأوى ونكسى العراة ونقدم أنفسنا ذبيحة محبة (إش ٥٨ :٨) . لقد واجه أحد الجراحين فى أفريقيا موقفاً صعباً عندما أراد أقارب أحد المرضى أن يزوروه يومياً ويطمئنوا على جرحه برفع الضمادة عنها والنظر للجرح أخيراً قام الطبيب بصنع ضمادة بها فتحة لكى تظل موضوعة على الجرح حتى يكتمل الشفاء. إننا كثيراً ما نتصرف مثل هؤلاء الأقارب ونرفع الغطاء كل يوم لننظر لجراح قلوبنا.

يجب علينا بمجرد أن يقوم الجراح الأعظم بعمل جراحة روحية فى قلوبنا أن نترك الأمر فى يده حتى تمام الشفاء ونهتم باحتياجات المساكين والمتألمين فالرب سوف يهتم بنا ... « ... ***يشرق فى الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر ويقودك الرب على الدوام ويشبع فى الجدوب نفسك وينشط عظامك فتصير كجنة ريّا وكنبع مياه لا تنقطع» (إش ٥٨ :١٠، ١١)*** .

إن كل الخطوات التى قد راجعناها هى خطوات فى غاية الأهمية بالنسبة لعملية التغيير ولن يبدأ شفائنا فى الظهور إلا إذا طبقناها على حياتنا بكل جد واجتهاد. الآن قد غرسنا ست دعامات حديدية فى حجر الأساس لكى نتمكن من بناء أسوار الخلاص. فى الفصل الأخير سوف نغرس الدعامة الأخيرة ثم نستعرض أسوار الشخصية بعد أن اكتملت مع أسوار الخلاص وأبواب التسبيح.

تعال جانباً

تأمل الأحداث التى قد أدت إلى جراح فى حياتك.

ما هى المشاعر السيئة والأنماط السلوكية التى ظلت فى حياتك منذ حدوث هذه الأحداث.

ما هى المنظومة الاعتقادية الخاطئة التى قد تبنيتها منذ ذلك الوقت نتيجة لهذا الحدث؟

إذا لاحظت حاجة ورغبة للتغيير:

١- اسمح للرب أن يشفى ذكريات هذا الحدث.

٢- قل لله إنك ترفض هذه المعتقدات واقبل معتقدات جديدة واعترف بها بصوت مسموع أمام الله وأمام نفسك أكثر من مرة (رومية ١٠ :٩-١٠).

الفصل الخامس عشر

شخصية جديدة تظهر

إن الدعامة الأخيرة التي يجب أن توضع في حجر الأساس هي التي سوف تساعدنا أن نبني السور ونجعل حجارته تتماسك معاً وتصير جداراً قوياً، إنها دعامة **إعادة البناء** وهذه الدعامة تعني أن السور سوف يستمر في البناء في ضوء الحق حيث أن الخلاص هو عملية مستمرة من التغيير حتى نصير أكثر شبهاً بالمسيح. ويعبر بولس الرسول عن هذا الهدف في رسالته لأهل غلاطية «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غل ٢:٢٠).

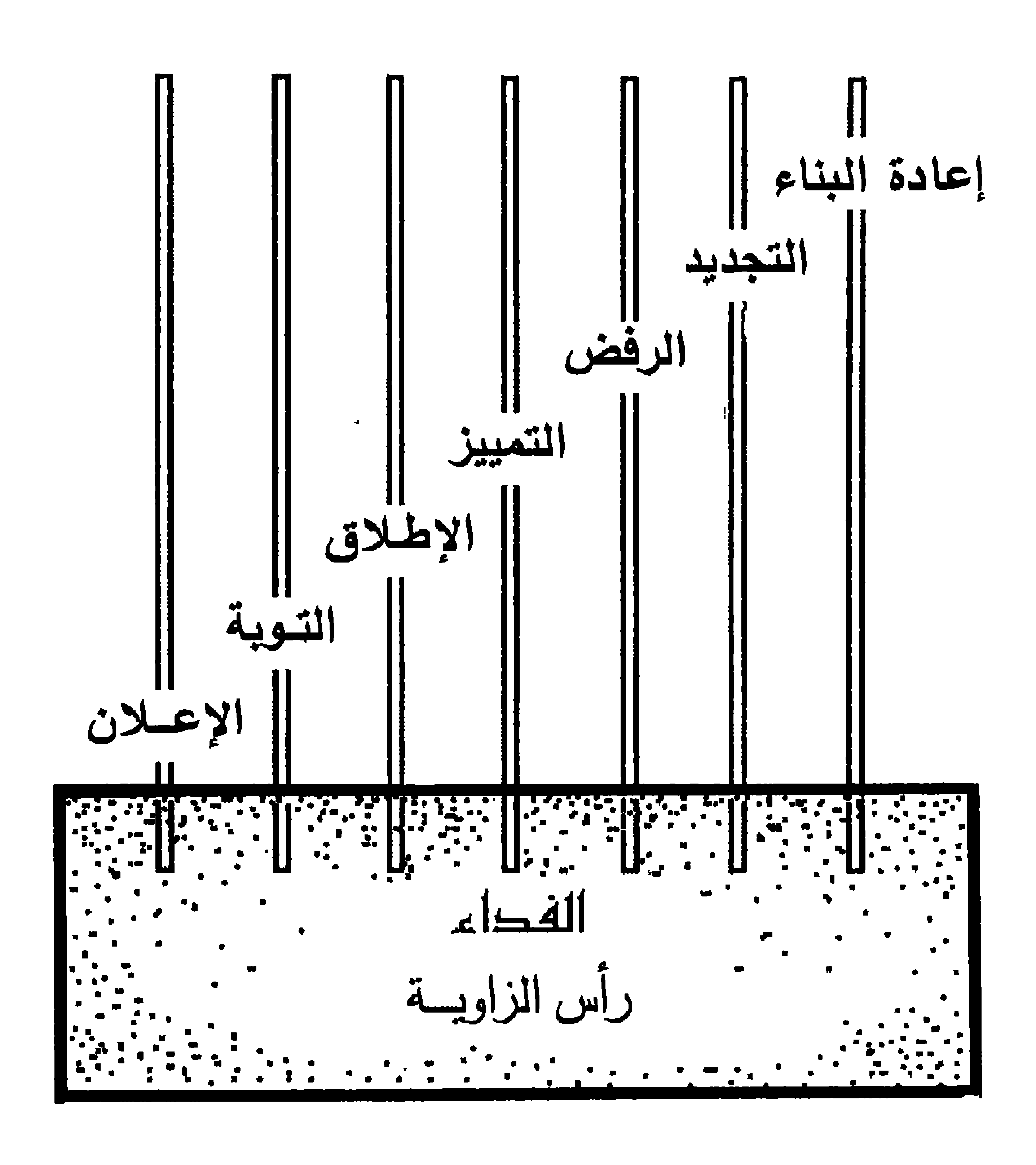
ونقرأ في نحميا ٢:١٨، «وأخبرتهم عن يد إلهي الصالحة عليّ وأيضاً عن كلام الملك الذي قاله لي. فقالوا **لنقم ولنبن**. وشددوا أياديهم للخير». وهكذا بدأ نحميا والعاملون معه في البناء وعندما أوشكوا على الانتهاء – يقول الكتاب – إن السور اتصل ولم تكن هناك ثغرات (نحميا ٦:١) ولم يتبق سوى وضع البوابات في المداخل والمخارج.

وقبل أن ندخل في رموز اكتمال أسوار أورشليم دعونا نلقي نظرة على هذه البوابات وماذا تمثله وأهميتها بالنسبة لنا اليوم عندما نضعها في أماكنها في أسوار الخلاص. لقد كانت بوابات أورشليم هي نقاط الدخول والخروج للمدينة، اللازمة لحياتها اليومية وصيانتها وصحة أبنائها وعادة ما يكون هناك حراس يراقبون المرور خلال هذه البوابات

أسوار الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٣٨)

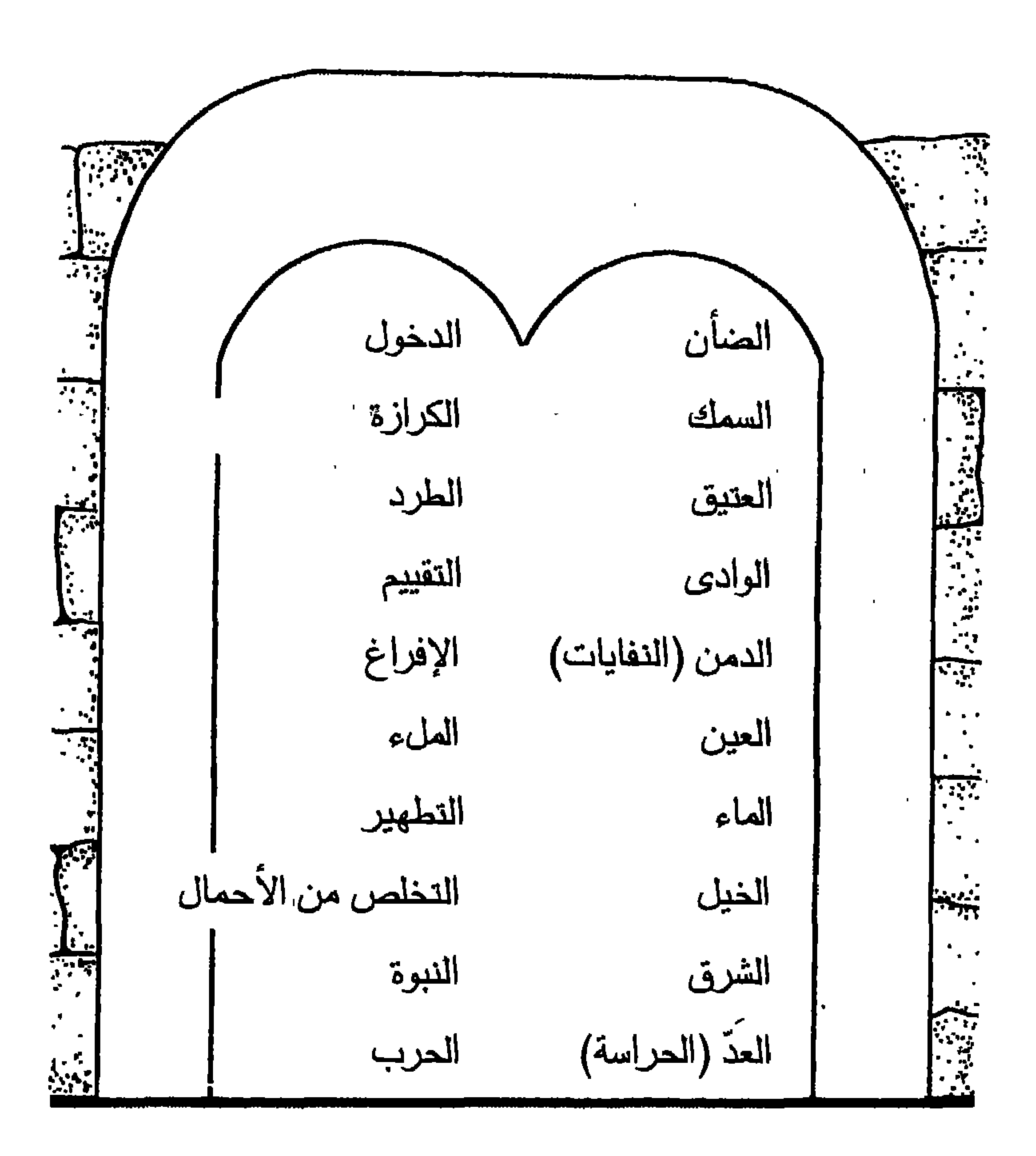
للتأكد من أن كل من يمر من هذه البوابات مقبول من أهل المدينة وحكامها وعندما ندرس مواصفات بوابات المدينة، سوف ننظر إليها باعتبارها مداخل ومخارج حياتنا الشخصية.

حراسة البوابات

عندما تنهدم البوابات أو تترك دون حراسة فإن العدو يدخل بسهولة وينهب ويسرق ويدمر المدينة. إن حياة الكثيرين قد نهبت وربما دمرت تماماً لأنهم أهملوا حراسة بوابات العيون أو الآذان وفي نفس الوقت إذا كانت البوابات صدئة وموصدة فإن المدينة تختنق بنفاياتها وتصبح تربة صالحة لتفشى الأمراض والموت، وقد تتفاقم الأزمة عندما لا تحصل المدينة من خلال بواباتها على إمدادات الغذاء والمياه التى تحتاجها. إننا يجب أن نلاحظ بوابات حياتنا بكل عناية فما يدخل منها قد يستحوذ على قلوبنا وربما يفسدها أيضاً والكتاب المقدس يوصينا: «فوق كل تحفظ (بكل يقظة) احفظ قلبك لأن منه مخارج (ينابيع) الحياة» (أمثال ٤ :٢٣) . ولأن البوابات هى مداخل قلوبنا فإننا يجب أن نحرسها حتى نحافظ على قلوبنا.

نرى فى شكل ٣٩ قائمة بأسماء البوابات المتناثرة على طول أسوار أورشليم وهى مأخوذة من نحميا ٣ وهى ليست مجرد قائمة بأسماء الأبواب فقط بل هى قائمة أيضاً بأسماء الذين تطوعوا لبنائها وكذا النبلاء الذين رأوا أن عمل البناء لا يتناسب مع مكانتهم الرفيعة وعندما نتأمل كل باب من هذه الأبواب سوف نفحص دلالة كل اسم من أسمائها وتطبيق ذلك فى حياتنا اليوم.

بوابات أورشليم



(شكل ٣٩)

باب الضأن (الخراف) --- الدخول

«فقال لهم يسوع أيضاً. الحق الحق أقول لكم أنى أنا باب الخراف، جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص ولكن الخراف لم تسمع لهم. أنا هو الباب إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى» (يو ١٠ :٧-٩).

وإذ نقرأ هذا النص نرى كيف أن يسوع كان يقارن بين دوره كالراعى الصالح وبين أدوار السارقين واللصوص الذين يحاولون إهلاك الخراف واستهلاكهم ويقول يسوع إن السارقين لن يدخلوا من بوابة خلاصه بل سوف يتسللون من فوق الأسوار فى سرية وتلصص محاولين سرقة حياة وميراث هؤلاء المسترخيين غير الساهرين.

وبنفس الطريقة يجب علينا أن ندخل الحياة الروحية من باب الخراف هذا وإلا فلن نحصل على ميراثنا كأبناء لله فمن خلال عمل المسيح الكفارى الكامل على الصليب نستطيع أن ندخل ونخرج ونجد شركة مع الآب. يجب أن يكون المسيح بمثابة الباب لقلوبنا ويملك عليها رباً وسيداً ومخلصاً. إن باب الخراف يشير إلى **الدخول** إلى ميراثنا فى الحياة.

باب السمك --- الكرازة

عندما قابل يسوع أندراوس ويعقوب وبطرس ويوحنا لأول مرة كانوا يلقون بشباكهم فى بحر الجليل فقال لهم تعالوا ورائى فأجعلكم صيادى ناس (مت ٤ :١٨-٢٢) فللوقت تركوا شباكهم وتبعوه.

واليوم يوجه المسيح نفس الدعوة لنا فى نفس الوعد أن يجعلنا صيادى الناس. وباب السمك يشير إلى تلك الإرسالية العظمى المعطاة لنا فى متى ٢٨ :١٨-٢٠ أن نذهب للعالم أجمع ونكرز بالإنجيل لكل أمة وقبيلة وشعب ولسان.

إننا يجب أن نستثمر كل فرصة للامتداد ومشاركة الآخرين بالأخبار السارة عن يسوع المسيح فالله يقول إن «رابح النفوس حكيم» (أمثال ١١ :٣٠) ونحن لا يجب أبداً أن ننسى القيمة التى لا تقدر بثمن للنفس الضالة الواحدة حتى أصغر المؤمنين يستطيع أن يقود شخصاً آخر لمعرفة صديقه ومخلصه يسوع المسيح.

وفى جامعة آسيا والمحيط الهادئ المسيحية (PACU) حيث أخدم كعميد لكلية المشورة والرعاية الصحية، نعتبر أن مهمتنا العظمى هى أن نصل بإنجيل المسيح لكل أفراد هذا الجيل. وتدور كل برامج التدريب والدراسات المؤهلة للشهادات حول هذا الهدف المركزى فمن الرعاية الصحية حتى اللاهوت يكون الهدف هو الوصول للبعيدين. إننا نتعلم كيف نواجه الاحتياجات التى نلمسها ممتدين تدريجياً للمس احتياجات أبدية أعمق فى قلب الإنسان من خلال تعليمنا عن الكرازة.

الباب العتيق ---- الطرد

يشير الباب العتيق إلى «إنساننا العتيق» بكل ما يحمله من غضب ولعنة وافتراء وكذب وممارسات شريرة عديدة. إن هذا الإنسان العتيق غير المتجدد يجب أن **يطرد** خارج الأسوار ويتم التخلص منه تماماً (كو ٣ :٨-٩) وبدلاً منه نلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله

وعلى شبهه. «ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣:١٠).

ولكن خلع العتيق هذا عادة ما يكون العقبة التى تقف فى وجه التغيير وما لم نتبنى هذه العملية بكل قلبنا، فلن ننمو نمواً حقيقياً أصيلاً والمعادلات التالية تظهر ذلك بوضوح.

خلع - لبس = لا تغيير

لبس - خلع = تغيير قصير المدى

خلع + لبس = تغيير حقيقى

الكثيرون منا يتغيرون لمدى قصير ويظلون يصارعون لسنين. إن التغيير يمكن أن يحدث ولكنه لن يدوم إلا بعد أن يصلب الإنسان العتيق مع المسيح على الصليب ليبطل جسد الخطية كى لا نعود عبيداً للخطية (رو ٦:٦) ولكن أغلبنا يخشى الصليب لكن المسيح قال بوضوح إننا إن لم نصلب الطبيعة الخاطئة يومياً لن نستطيع أن نكون له تلاميذ وإذا حاولنا أن نكون مسيحيين مؤمنين دون استخدام الصليب **لطرد** الذات العتيقة غير المتجددة سنتعثر ونسقط.

باب الوادى ـــ التقييم

«أيضاً إذا سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً لأنك أنت معى ...» (مز ٢٣:٤).

إننا جميعاً نسير خلال أودية مختلفة ومواقف صعبة وتجارب مريرة وعندئذ فقط نعرف حقيقة قلوبنا.

فى سنة ١٩٨٠ وخلال ذروة خروج الشعب الڤيتنامى/الكمبودى كنت أعمل فى مستشفى للاجئين فى تايلاند على حدود كمبوديا. وفى أحد الأيام خلال مرورى الصباحى على عنابر المستشفى شاهدت طبيبين أمريكيين يبدو عليهما التعب وأخبرانى أنهما قد جاءا ليحلا محل طبيب آخر فى مستشفى صغير فى كمبوديا لكنهما احتجزا فى نقطة إطلاق نار ولم يستطيعا النوم طوال الليل بسبب القصف المتواصل لذلك اعتبرا أن الشجاعة تنطوى على الانسحاب فى الوقت المناسب وبعد يوم أو اثنين فقط فى كمبوديا قررا التراجع وعبرا الحدود عائدين إلى تايلاند.

وبينما كنت أستمع إليهما بتعاطف، شعرت بصوت منخفض خفيف يدفعنى لأن أحل محلهما وبعلمى بأن هذا هو صوت الرب أطعت وقلت لهما إنى سأذهب مكانهما وفى الحال تقريباً بدأت أجتاز وادي ظل الموت (مز ٢٣:٤) مواجهاً احتمال القتل على أيدى الڤيتناميين أو الوقوع فى الأسر وعلمت أنى قد لا أرى زوجتى وأولادى مرة أخرى.

وبمجرد أن صدمتنى تلك الحقيقة، بدأت فى البكاء إذ قد اندلعت حرب عميقة داخلى: ترى من الذى أحبه أكثر الله أم أسرتى؟ هل أحب الله من كل قلبى؟ هل أستطيع أن أثق به؟ هل هو معى؟ كنت أعرف أن التجربة تكمن فى مقدار طاعتى.

وعند عودتى لغرفة نومى الصغيرة المزدحمة بدأت فى كتابة رسالة لأسرتى «أحبائى وأغلى من عندى ...» فجأة أجهشت فى البكاء

دون القدرة على السيطرة على نفسى وانهمرت الدموع على الورقة التى كنت أكتب فيها إذ هاجمتنى فكرة أننى قد لا أرى عائلتى مرة أخرى فبعقلى عرفت أنى لابد أن أطيع الله وأذهب ولكن قلبى ومشاعرى اعترضت فى ألم نفسى شديد.

وقلت لنفسى، ربما كان لا يجب أن أذهب على أى حال. ربما كان يجب أن أبقى حيث أنا! ولكنى فى النهاية أنهيت كتابة هذه الرسالة المبللة بالدموع وبعدما أوصيت أحد الأصدقاء أن يسلم الرسالة وأخبرته كيف يفعل ذلك بدأت فى البكاء مرة أخرى وإذ واجهت فكرة النتيجة المحتملة لطاعتى، حسبت حساب النفقة واخترت الطاعة والذهاب لأحل محل الطبيب فى المستشفى بكمبوديا. أما ما قد حدث فهو أن الله قد ذهب معى وبالرغم من أن المستشفى قد قصف بعد رحيلى إلا أن الله أتى بى سالماً لأسرتى فى هاواى. وعرفت عن طريق الخبرة الشخصية أن أوقات التجارب تقوى عزيمتنا وتنقى قلوبنا ودوافعنا ونحن نجتاز وادى الدموع ونحن متغربين قاصدين المدينة المقدسة أورشليم السمائية «عابرين فى وادى البكاء يصيرونه ينبوعاً أيضاً ببركات يغطون مورة (الأرض المرة) يذهبون من قوة إلى قوة ...» (مز ٨٤:٦، ٧).

باب الدمن (النفايات) ـــ الإفراغ

«لكن ما كان لى ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة بل انى أحسب كل شىء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح» (فيلبى ٣:٧، ٨).

من الواضح أن بولس الرسول لم يكن يحتفظ بالقمامة! فكان يتخلص من كل ما ليس له نفع ويفرغ حياته منه تماماً. ولكن البعض منا يجمع كمية كبيرة من القمامة خلال مسيرة حياته حتى أنها تشل حركته تماماً. وكثيراً ما نكبل أنفسنا بقيود ما نمتلكه ناسين أننا بجملتنا ملك للمسيح. لقد نحى بولس جانباً كل ثقل الخطية حتى لم يعد يعوقه شيء عن الفوز بجعالة الحياة نفسها، عندما نتعثر فى القمامة التى تملأ حياتنا يجب أن ندفع بها من باب النفايات ونتركها خارجه للأبد.

إن فرق (شباب له رسالة) للرعاية الصحية فى الفلبين تخدم فى منطقة لجمع كميات هائلة من القمامة فى مانيلا حيث يقوم الآلاف من ساكنى القرية بغربلة وتصنيف القمامة للبحث عن أى شيء يمكن إعادة تصنيعه.

كم منا نحن أيضاً يبحث فى القمامة عما يعيد تصنيعه محاولين البحث فى نفايات حياتنا على أمل أن نجد شيئاً ننتفع به؟ إننا بدلاً من هذا نحتاج لأن نفرغ حياتنا من كل هذه النفايات مرة واحدة وإلى الأبد.

باب العين --- الملء

«إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب. من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى» (يو ٧: ٣٧، ٣٨).

يتكلم المسيح هنا عن الروح القدس الذى ينبع من خلالنا كينابيع ماء حى عندما نسمح له بالدخول من باب العين. لقد عرف يسوع أن بدون ملء الروح القدس سوف لا يمتلك التلاميذ القوة للشهادة أو الخدمة

لذا فقد طلب منهم أن ينتظروا فى أورشليم لكى يحصلوا على هذا الملء الموعود به (أع ١ :٤) وفى سفر أعمال الرسل نقرأ قصة عمل الروح القدس فى هؤلاء المنفتحين عليه والمتاحين له. بل قد أوصانا الكتاب أن «نستمر فى الملء» بالروح القدس ولا نسكر بخمر العالم (أف ٥ :١٨). إننا إن تجاوزنا باب العين سوف نخدم الله بمجهوداتنا البشرية العاجزة أمام حياة الخدمة للمسيح «لا بالقوة ولا بالقدرة بل بروحى قال رب الجنود» (زكريا ٤ :٦).

باب الماء ــــ التطهير

«أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف ٥ :٢٥-٢٧).

إن كلمة الله هى كالماء الذى يطهرنا. فنحن نحتاج لأن نغسل أنفسنا فى حق كلمة الله يومياً متأملين بها ومحاولين حفظها وبينما نفعل ذلك، تظل قلوبنا نظيفة من التلوث بالخطية المحيطة بنا كل يوم.

فى مرة من المرات، كنت فى أجازة صيفية من كلية الطب وكنت أعمل فى وضع بالوعات مع مجموعة من الرجال الذين يمكن أن نسميهم «أولاد الشوارع» ولم يمضى وقت طويل قبل أن ألاحظ أن أفواههم مليئة بألفاظ بذيئة حتى أنها لم تكن أنظف كثيراً من المجارى التى كنا نضع بالوعات لصرفها. وبعد بضعة أيام وجدت نفسى أبدأ فى التفكير بلغتهم وصرخت للرب بخوف فقادنى نحو برنامج مكثف لحفظ

آيات كتابية وكلما جاءت كلمة نابية فى ذهنى، كنت أقتبس آيات من الكتاب المقدس بدلاً منها ووجدت الكلمة قوية فهى لم تحفظ عقلى وقلبى طاهرين خلال يوم العمل فقط بل كانت سيفاً ذا حدين يصد كل هجمات العدو.

باب الخيل ---- التخلص من الأحمال

«تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين وثقيلى الأحمال وأنا أريحكم (سوف أخفف عنكم وأنعش أرواحكم)» (مت ١١ :٢٨).

إن الخيل تحمل الأثقال واستخدمها الإنسان فى كل المواقف على مر العصور لذا فإننا عند باب الخيل، نتخلى عن أحمالنا من القلق والخطية والذنب والكراهية والجراح النفسية وغيرها الكثير لنضعها بين يدى يسوع. وكما نقرأ فى متى ١١، فهو يعد بأن يستبدل حملنا الثقيل بحمله الخفيف لكن مازال الكثيرون منا يسيرون حاملين أحمالهم الثقيلة. إنه يود أن يحملها عنّا ويعطينا حمله الخفيف، حمل أن نتعلم طاعته ونثق به من كل قلوبنا ويوصينا الكتاب أيضاً ألاّ نقلق ونحمل الهموم بل فى كل الأمور نأتمن الله على حياتنا كلها فى الصلاة (فى ٤ :٦). ولكننا كثيراً ما ننسى هذا ونبدأ فى القلق والهم ولا نصلى إلا إذا وقعنا فى أزمة شديدة «انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها. ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحداً» (مت ٦ :٢٦، ٢٧). وكلما زادت الأحمال التى

نحملها قل نصيبنا من الحياة الحقيقية ولكن تظل هناك راحة لكل واحد منا.

«فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يُرَى أحد منكم أنه قد خاب منه لأننا نحن أيضاً قد بشرنا كما أولئك أيضاً لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان فى الذين سمعوا لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة» (عب ٤:١-٣).

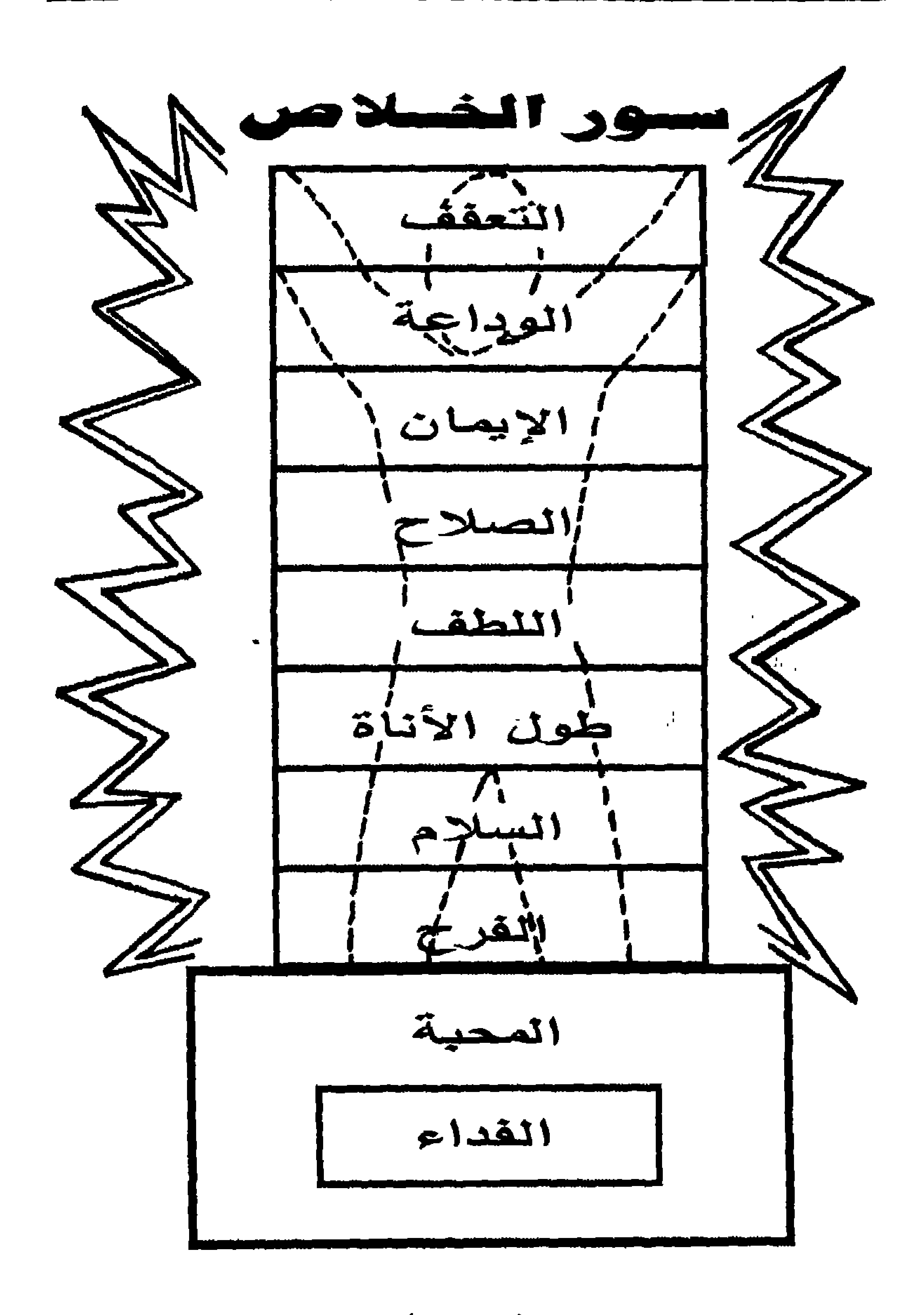
باب الشرق ـــ النبوة

تتحدث كثير من النبوات فى الكتاب المقدس عن الشرق الأوسط. إن صِدْق النبوات الكتابية تثبته أحداث تاريخية حدثت بخصوص المسيح واليهود لذا فيجب أن ندرس ونفهم النبوات جيداً ونصلى لتتحقق خطط الله التى سوف تظهر فى نهاية هذا الدهر وبداية الدهر الآتى «ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض» (مت ٦:١٠).

باب الحراسة ـــ الحرب

«على أسوارك يا أورشليم أقمت حراساً لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام. يا ذاكرى الرب (يا خدامه) لا تسكتوا (فى صلواتكم ذكروا الرب بوعوده) ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبيحة فى الأرض» (إش ٦٢:٦، ٧).

فى هذه الأعداد يوجد أعظم تحدٍ للكنيسة اليوم فإذا لم نكن، من خلال الصلاة ندخل فى حرب وصراع فى السماويات سوف


سور الخلاص
التعفف
الوداعة
الإيمان
الصلاح
اللطف
طول الأناة
السلام
الفرح
المحبة
الفداء

(شكل ٤٠)

لا نَثبُت ولا نواجه الشيطان وهجماته المنظمة على الكنيسة. لقد جهزنا الله بأسلحة ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم الحصون (١كو ١٠:٣-٥). ولكننا إذا لم نستخدم هذه الأسلحة - فسوف نخسر المعركة. إن من أكثر الاحتياجات إلحاحاً فى الكنيسة اليوم هو للمصلين المتشفعين الذى لا يدعون الله يسكت حتى يستجيب. إننا فى (شباب له رسالة) استطعنا أن نبدأ فى تحقيق دعوة الله لنا كإرسالية عندما بدأنا نجعل التشفع أسلوب حياة لنا وبنفس الطريقة سوف لا تختبر الكنيسة تجديداً إلا إذا كان فيها مجموعة أو فريق من «الحراس» المستعدين لشن الحروب فى السماويات من خلال الصوم والصلاة والإيمان وبالإضافة إلى ذلك فنحن الأفراد سوف نرى تحقيق الله لوعوده فى حياتنا فقط عندما ننخرط شخصياً فى صلاة منتظمة وحرب روحية لا تهدأ. اسهر وصل وكن ثابتاً!

إننا عندما نتطلع إلى **باب الضأن** ونرى الأبواب الأخرى فى أماكنها وتقوم بأدوارها فى أسوار الخلاص نستطيع أن ندخل من باب الخراف هذا إلى علاقة مباركة غنية مع المسيح. «ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته» (يو ١٠:٤).

إننا عندما نعرف أن المسيح يذهب أمامنا ونعرف صوته ونميزه من بين أصوات كثيرة فنحن عندئذٍ فى أفضل وأغنى وضع فى الحياة كلها وإذا كنا مستعدين أن نطيعه فسوف يكون لنا كلنا هذا الفرح وذلك الامتياز العظيم.

فى مزمور ٢٤ نقرأ إشارة أخرى **للأبواب** عندما يخبرنا داود أن الطاهر اليدين والنقى القلب هو فقط الذى يدخل هيكل الرب ويستمتع بحضوره ويحثنا أن نطلب وجه الرب ونلتمس ذلك الحضور الشافى

حتى نقف أمامه ثم يرفع داود صوته بالقرار «ارفعن أيتها الأرتاج رؤسكن وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد .. من هو هذا ملك المجد ؟» (مز ٢٤ :٧، ٨).

إننا نحتاج أن نضع بوابات حياتنا فى أماكنها من السور لنفتح الطريق أمام ملك المجد وكما يتردد سؤال داود **من هو هذا ملك المجد** ؟ يأتى الجواب عندما نضع طوبة فوق طوبة لإكمال **سور الخلاص**.

«لأنه هكذا **أحب الله** العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣:١٦).

إن هذه الكلمات تكشف حقيقة ملك المجد هذا ففى خطة الله العظيمة للفداء، يتضح أن المحبة هى حجر الزاوية التى عليها يبنى كل السور لأن الله محبة والمسيح قد دفع الفدية العظمى حتى لا نهلك وإلى أن نختبر هذه المحبة، لا نستطيع أن نكمل أسوار الخلاص.

«ليرجُ إسرائيل الرب لأن عند الرب الرحمة وعنده فدىً كثير» (مز ١٣٠ :٧).

إن ملك المجد هو:

المحبة	**الصلاح**
الفرح	**الإيمان**
السلام	**الوداعة**
طول الأناة	**التعفف**
اللطف	

والشخص الوحيد الذى تنطبق عليه كل هذه الأوصاف هو ملك

المجد وعندما يصبح ملك المجد هذا ساكناً ورئيساً فى حياتنا يبدأ شبهه فى الظهور علينا عندئذ يبدأ سور الخلاص يكتمل ويتشكل باكتمال شخصياتنا.

«إلى أن ننتهى جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل (اكتمال الشخصية التى لا تقل عن مقياس كمال المسيح نفسه) إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤:١٣).

ختام

الآن وقد اجتزنا كل مراحل إعادة بناء جدران قلوبنا فى استقامة مع الزيج الإلهى، أثق أن الله قد فتح حياتك على نور وحق وطريق جديد لقد رأينا كيف يغرر بنا العدو لكى نبنى فى حياتنا جدراناً معوجة متقلقلة من الرفض والتمرد مستخدمين فى ذلك زيجاً بشرياً. يجب أن نتوب عن الكبرياء وعدم الإيمان ونتعامل معهما قبل أن نهدم هذه الأسوار المائلة ونستبدلها بأسوار قوية راسخة مستقيمة مع الزيج الإلهى وأسوار الخلاص هذه تعكس الصورة الحقيقية والطبيعية الثابتة لله ونحن إذ نستمر فى تبنى الزيج الإلهى والحياة بمقتضاه نصبح أولاداً وبناتاً لله.

وعندما تستمر جدران قلوبنا فى أن تُبنَى متفقة مع الزيج الإلهى سوف نجد ينابيع قلوبنا تمتلئ وتفيض بالخلاص فنستقى مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص وسرعان ما سوف يهرع إلينا الآخرون ليستقوا هم أيضاً من ينبوع الماء الحى هذا إذ نختبر اكتمالاً شخصياً وقداسة لم نعرفها من قبل.

إننا نقرأ أن عينى الرب تجولان – رائحة غادية – تبحث عن هؤلاء الذين قلوبهم كاملة من نحوه الذين تستقيم قلوبهم مع زيجه الإلهى» (٢أخ ١٦ :٩) .

لنقرر إذن أن نكون من بين هؤلاء الذين يسمحون لله بإعادة بناء حياتهم وعندئذ سوف لا نجد أنفسنا قد تقوينا وبوركنا وحصلنا على كامل ميراثنا فقط بل يستخدمنا الله أيضاً لنظهر مجد صورته ونتمم مقاصده على الأرض عندئذ سوف نجد حياتنا مثل تلك المدينة التى يصفها النبى إشعياء التى ليست قوية فقط بل متلألئة بالمجد السماوى:

«أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هأنذا أبنى بالأثمد (الفيروز) حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك، وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة» (إش ٥٤ :١١، ١٢) .



القيادة

كتــاب يبحــث موضوعــات متعــددة مثــل مخــاطر السـلطة وتحديـد الأهـداف – الرؤيـا.

وكيف تصبـح قـائداً خادمـاً.

كتـاب لا غنـى عنـه لأي شــخص يعمـل في مجــال القيـادة المسـيحية.

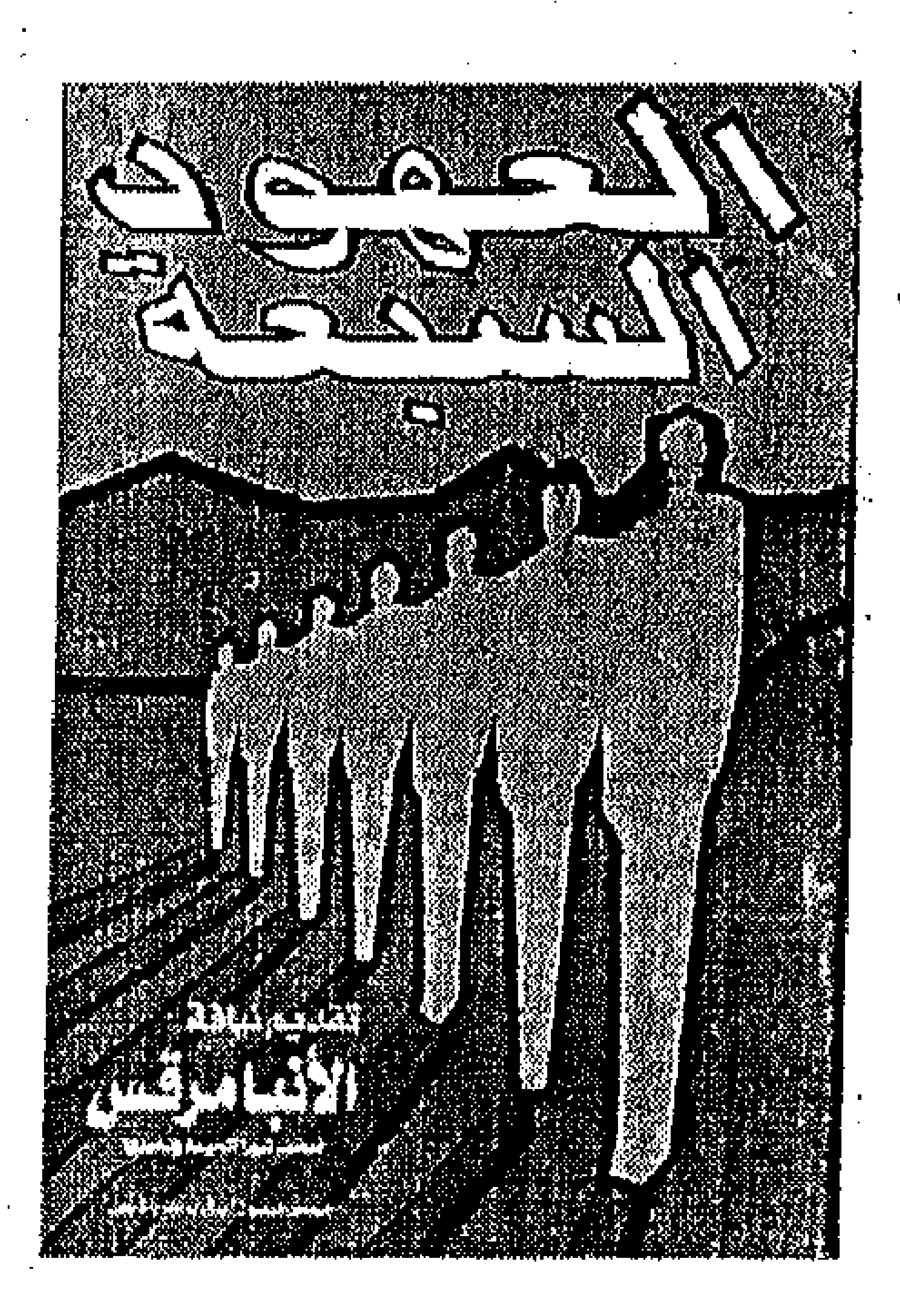
٨ جنيه ٢٩٣ صفحة



اخرج من مخبأك

كتـاب يـأخذك إلى الخـروج مـن المخبـأ نحــو خطـوة كبيرة بالنســبة لــك ولأي إنســان ويسـاعدك علــى التوصل إلى طريـق آمـن لتتجـه نحـو النـور.

١,٥ جنيه ٣٣ صفحة



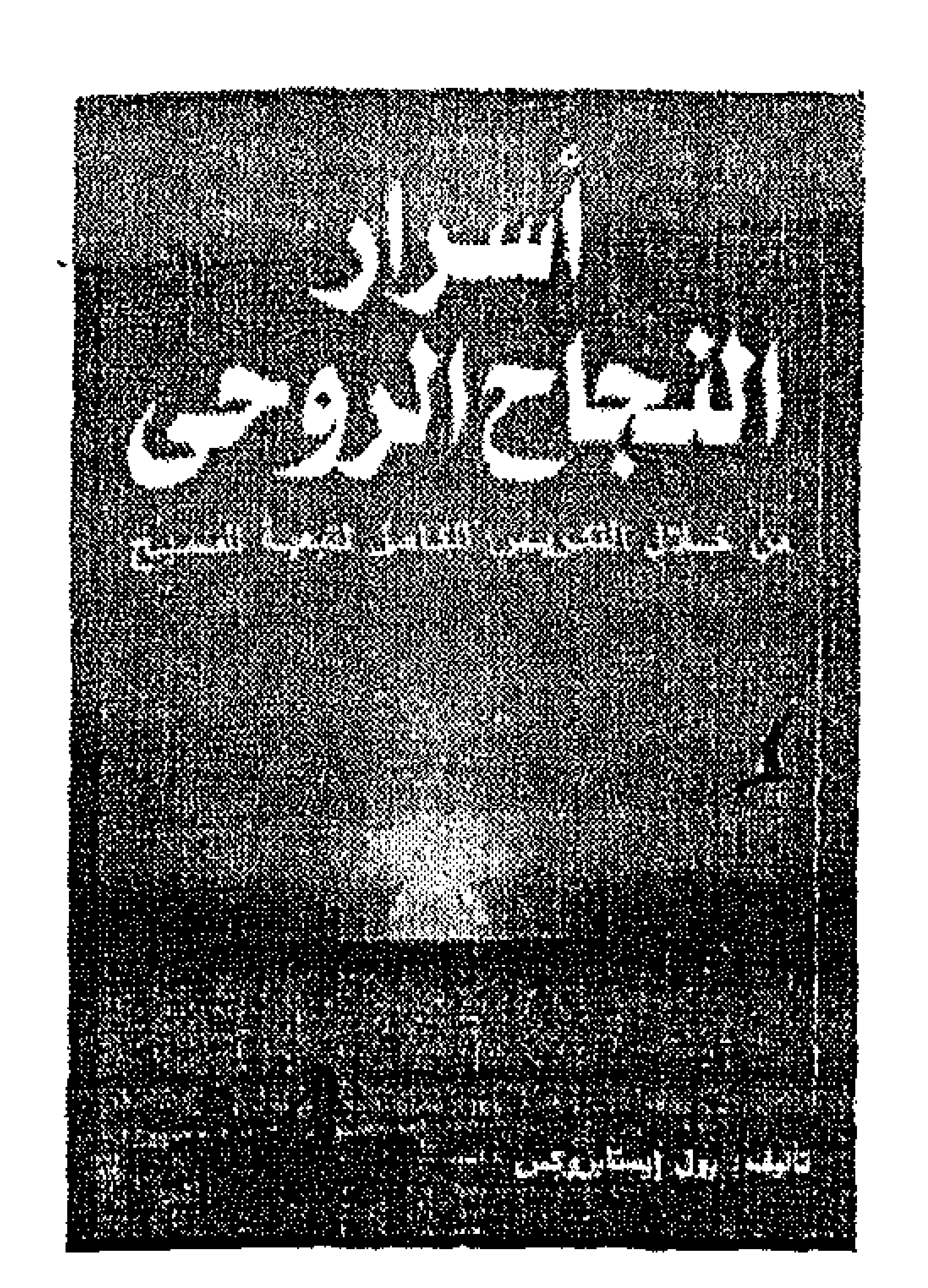
العهود السبعة

جيمس ربيسون – بيل برايت

وآخرون

مرجـع ثميـن يحتـوي علـى برنـامج متكــامل يعــالج جوانـب عديـدة في حيــاة الرجــال ويسـاعدهم علــى بناء دورهم القيـادي الـذي لا غنــى عنـه.

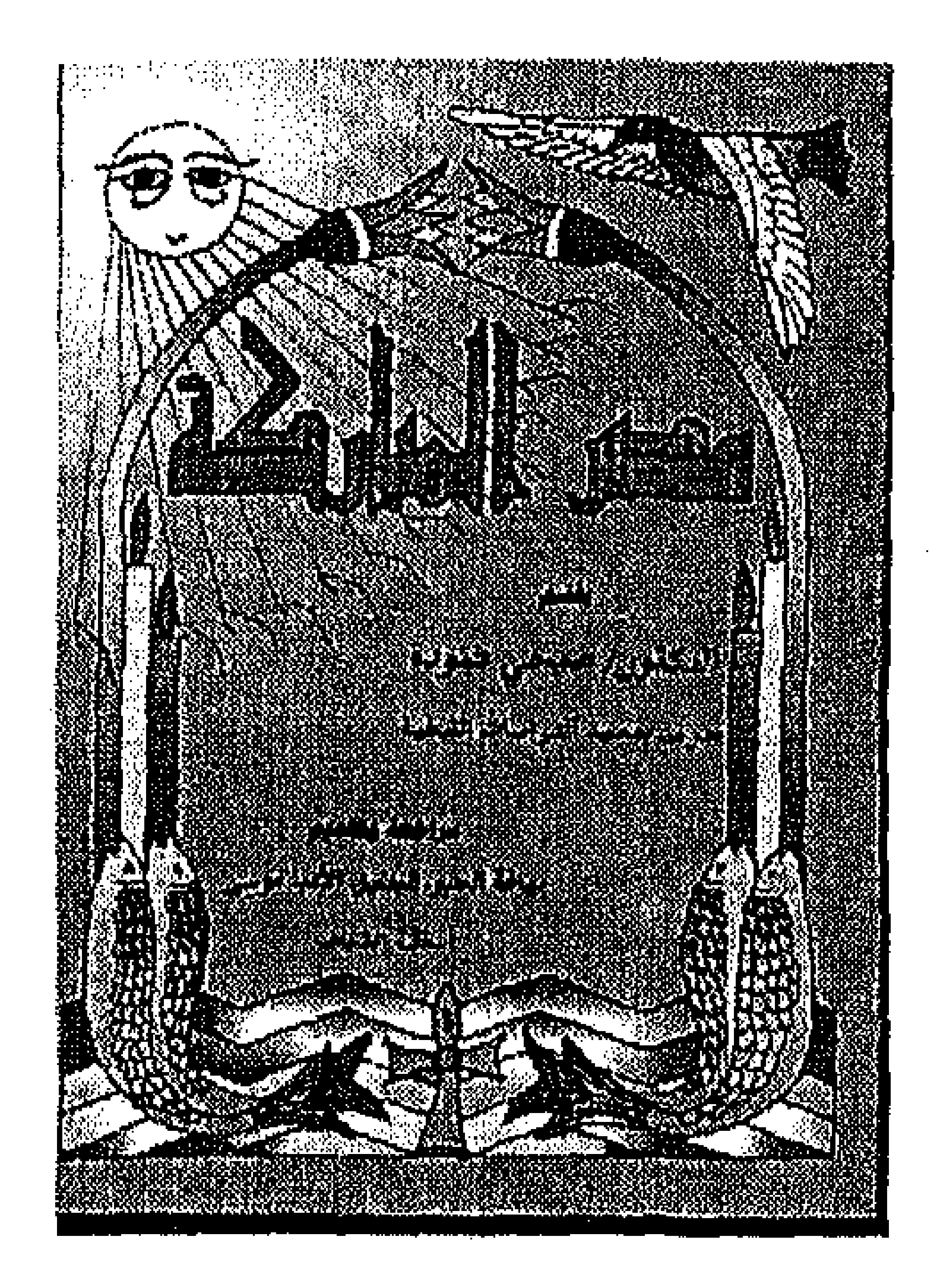
٨ جنيه ٣١٤ صفحة



أسرار النجاح الروحي

كتاب يحتوي على اختبارات روحية وأمثلة حية لأشخاص دفعوا ثمناً غالياً مقابل إيمانهم إنهم سحابة الشهود.

٦ جنيه ٢٨٠ صفحة

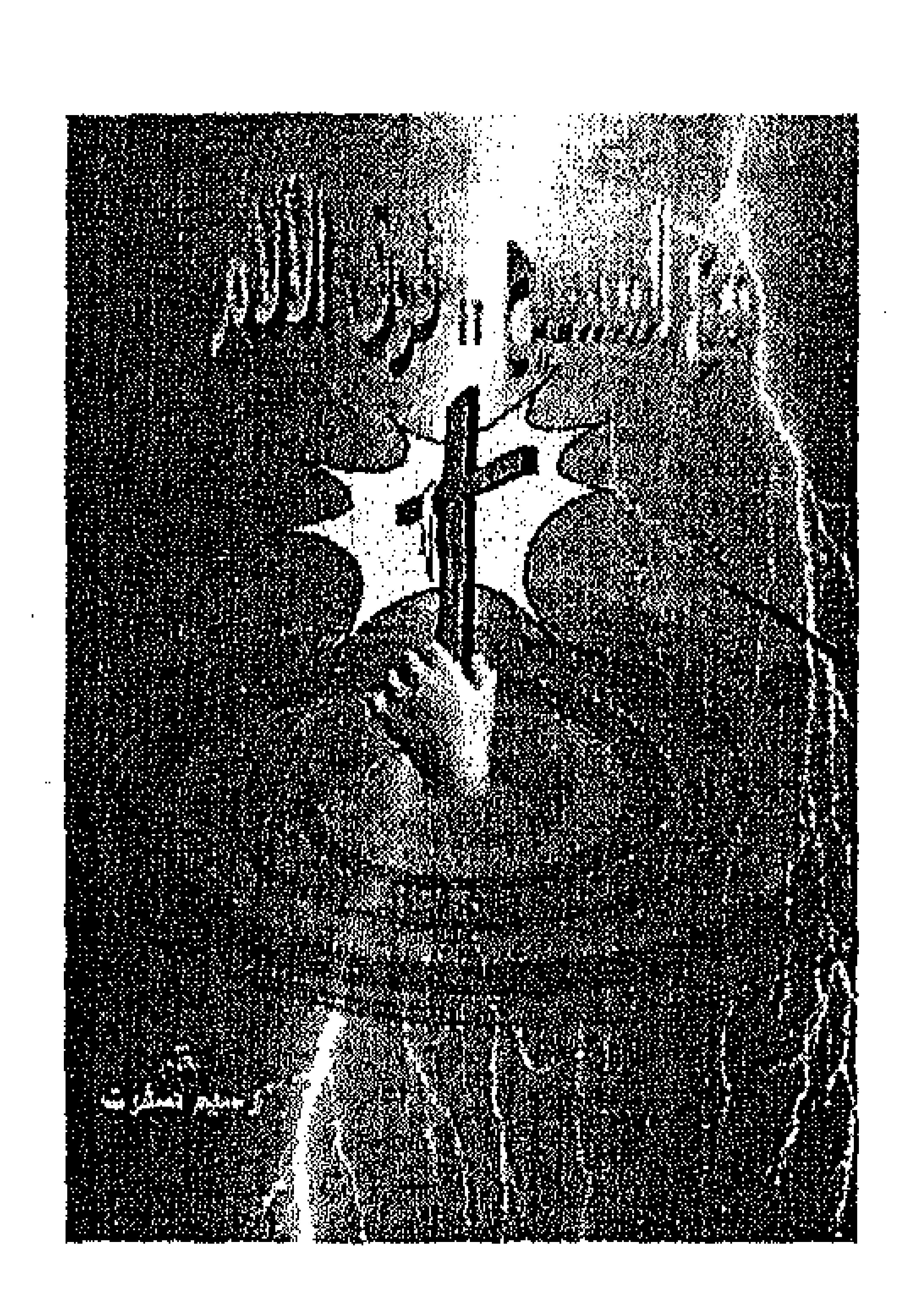


مصر المباركة

د/ صبحي شنودة تقديم/ الأنبا موسى

يعرفنا بجذور الشعب المصري ولماذا صار شعباً لله. وأنبياء العهد القديم الذين جاءوا إلى مصر. والترجمة السبعينية للكتاب المقدس في مدينة الإسكندرية ورحلة العائلة المقدسة وتلاميذ السيد المسيح وكرازة مارمرقس فضلاً عن مصرية الرهبنة وانتقالها إلى العالم المسيحي كله.

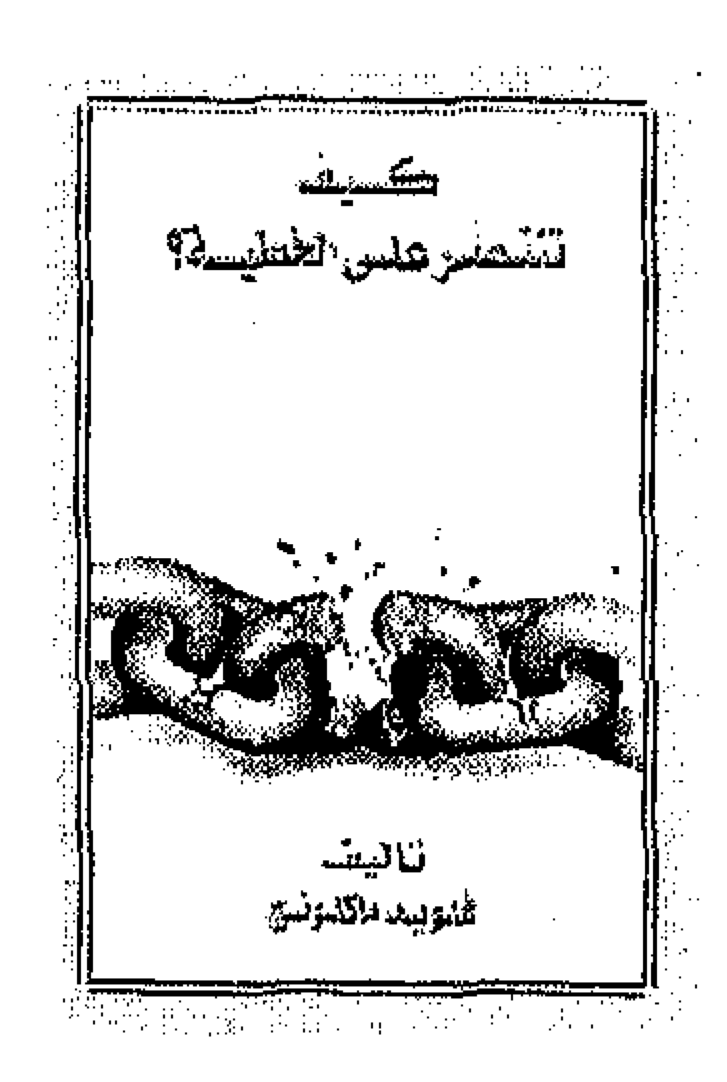
٧ جنيه ٢٠٨ صفحة



مع المسيح.. فوق الآلام

يوضح لنا أنواع الآلام وحقيقتها، والآلام والجروح النفسية التي تصيبنا ولماذا يسمح بها الله وهل تنشغل بالأمتاع الحاضرة أم بالمجد الأبدي الذي ينتظرك؟

٣.٥ جنيه ١٠١ صفحة

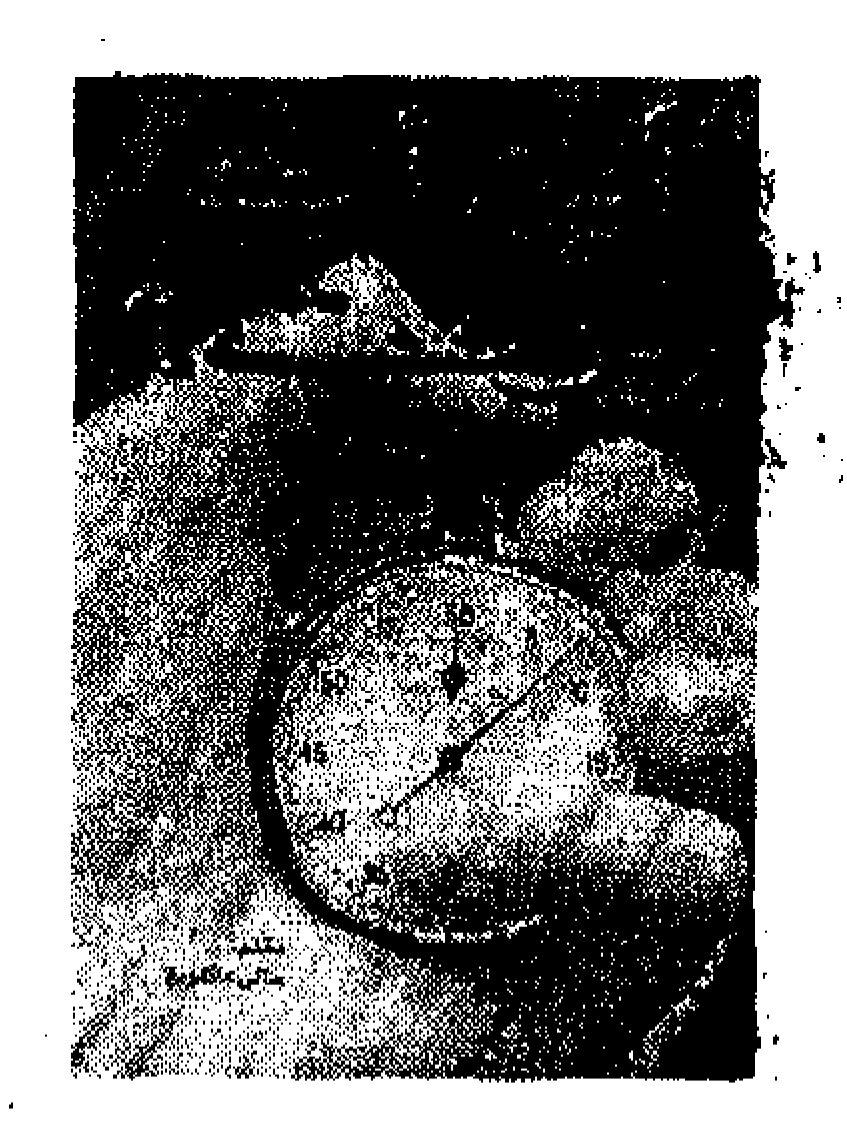


How to Overcome Sin?

By Floyd McClung

ما هي التجربة؟ وما هي الخطية؟ وكيف تتجنبـهما؟ بين صفحات هذا الكتيب تدرك أن قوة الله أقوي من قوة الخطية وتعرف سر النصرة في الحياة المسيحية.

٢,٥ جنيه ٨٠ صفحة

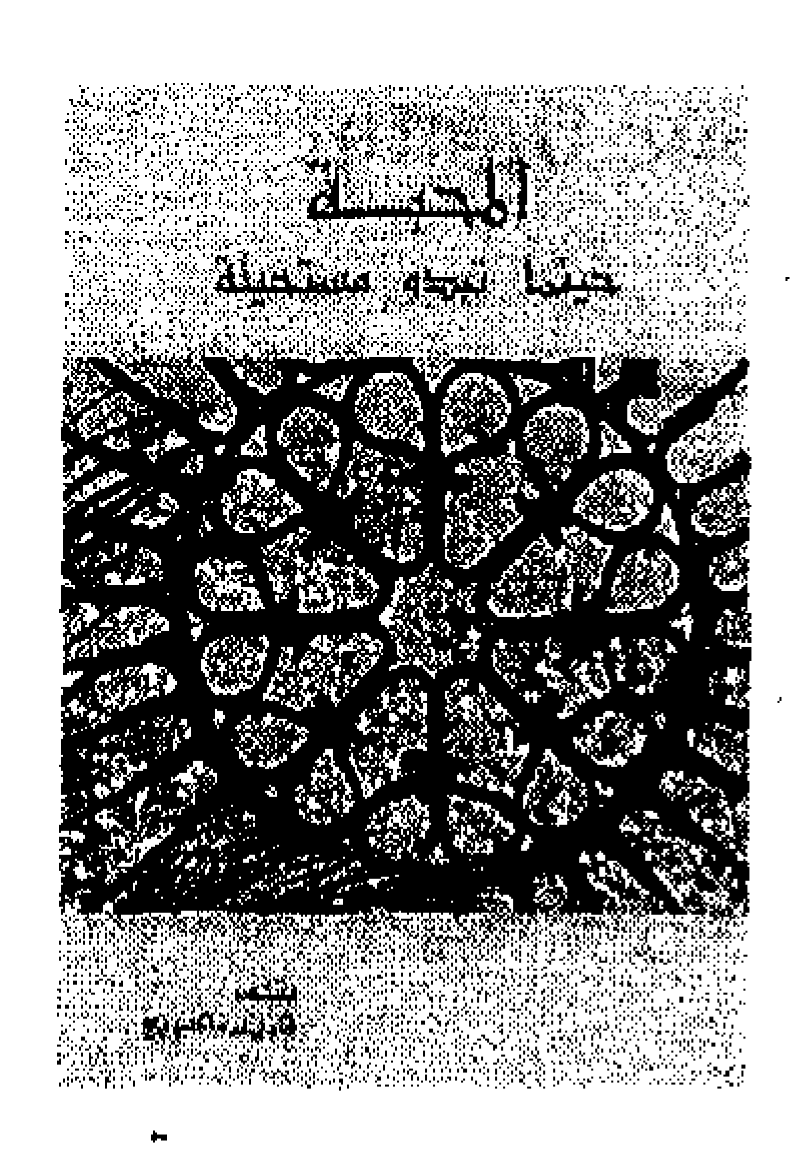


Where will I Find the Time?

By Sally McClung

هـذا الكتـاب يضـع بـين يديـك المبـادئ الأسـاسـية البسيطة التي وضعها الله لكي نستمتع بكل ما وهبه لنا.ونعرف كيف نخصص وقتاً للأسرة، وقتاً للزواج، وقتاً للصداقة، وقتاً للعمل، وقتاً للمرح، وقتاً للشفاء، وقتاً للتجديد.

٦ جنيه ٢٠٨ صفحة



Learning To Love People you Don`t Like

By Floyd McClung

تتعلم من هذا الكتاب كيف:

- تنتصر على الخلافات وعدم الفهم.
- تغفر للذين يسيئون إليك.
- تختبر قوة شفاء الله لجروحك القديمة.
- تبنى علاقات مبنية على الثقة والقبول.

٥ جنيه ١٧٦ صفحة



Spiritual Warfare

By Dean Sherman

كتاب يقدم دراسة عميقة متزنة عن المواجهات والتحديات التى تقابلنا كل يوم من العالم الغير مرئى ويوضح ما ينبغي أن تكون عليه الحرب الروحية. إنه موضوع حي، متصل بواقعنا المعاصر.

٧ جنيه ٢٣٢ صفحة



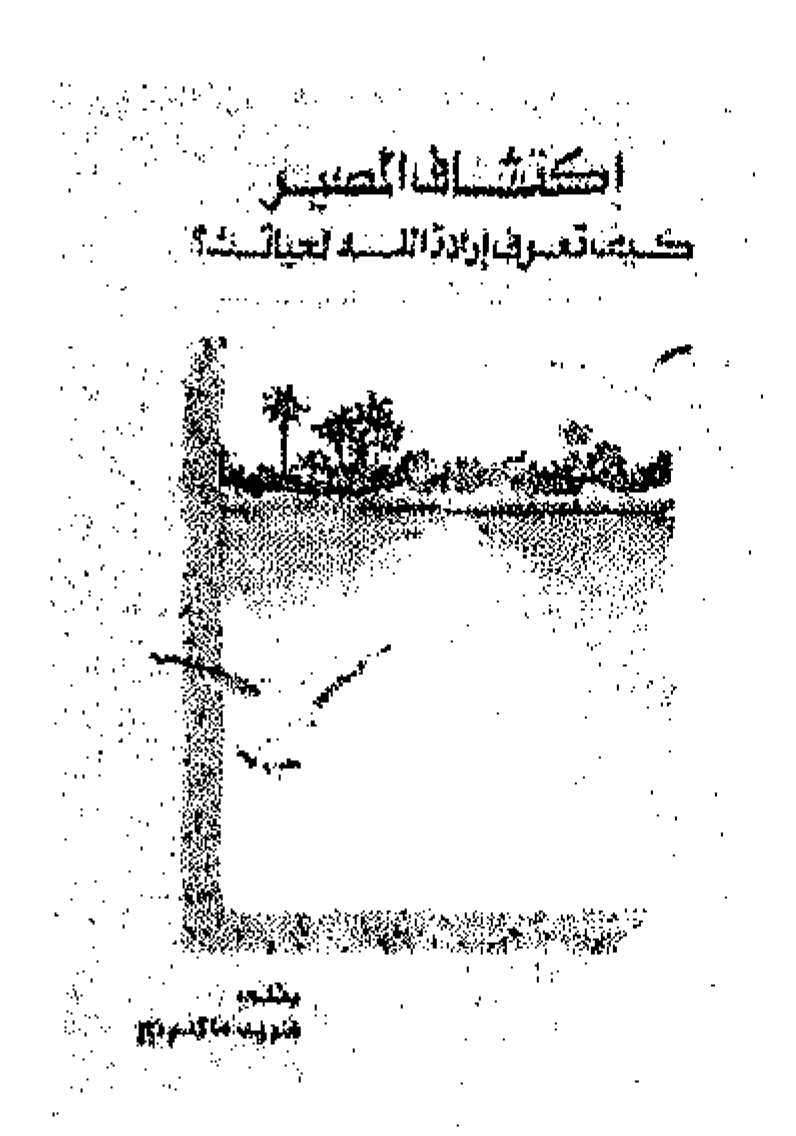
Daring to Live on the Edge

By Loren Cunningham

يعلمنا هذا الكتاب أنه يوجد إله قادر على تسديد كل الاحتياجات بغنى

ويشجعنا أن ننطلق في مغامرة الإيمان والطاعة والسخاء، ويكشف لنا عن سر "الاقتصاد الإلهي"

٧ جنيه ٢٥٦ صفحة



Discovering Your Destiny

By Floyd McClung

كيف تكتشف مصيرك، وتعرف إرادة الله لحياتك؟

هناك الكثير من القرارات المهمة التي تحدد مصيرنا ومستقبلنا، ماذا أعمل، بمن أتزوج، أين أعيش؟

إنه كتيب يدربك على معرفة مشيئة الله في حياتك.

٢,٥ جنيه ٧٢ صفحة



ولد د . بروس تومسون وزوجته في نيوزيلاندا . وقد تقابلا في أثناء القيام ببعض الأعمال المرسلية في غرب أفريقيا وتزوجا ، وقد خدما معا في خدمة كنسية طبية .

وعند عودتهما إلى نيوزيلاندا بدآ برنامجا للرعاية الصحية في كنيستهما . وعندما التحقا باحدى الهيئات المسيحية في عام ١٩٧٩ بدآ في تطوير ما يسمى الآن بكلية المشورة والرعاية الصحية في جامعة الأمم . وقد أسسا مدارس في أنحاء العالم تحت رعاية هذه الكلية . وهما يعقدان حلقات دراسية للمهتمين بالرعاية الصحية سواء من المهنيين أو قادة الكنيسة في العديد من الدول .

وهما يعيشان الآن في مدينة لوزان بسويسرا حيث يسا
عمل يتعلق بالجامعة .

ولبروس تومسون وزوجته ابنان يعدان دراسات في الج
الولايات المتحدة الأمريكية في علم الاتصال والعلوم السياسية

مكتبة المنار
Lighthouse Book Center